

تاريخ القدس

مقرر
تأسيسي
0104

جامعة
القدس
المفتوحة

مقرر تأسيسي

رقم المقرر 0104

تاريخ القدس

إعداد

أ.د. تيسير جبارة　　　　د. احمد رأفت غضية

د. امين ابو بكر　　د. سعيد عبدالله البشاوي　　د. هاني ابو الرب

2009

جامعة القدس المفتوحة

مقرر: تاريخ القدس / رقم (0104)

إعداد المادة العلمية	أ.د. تيسير جبارة د. احمد رأفت غضية - د. امين ابو بكر د. سعيد عبدالله البشاوي - د. هاني ابو الرب
التحكيم	أ.د. علي مفلح محافظة
التحرير اللغوي	د. ايمان اللحام
التصميم التعليمي	أ. صادق زايد
التصميم الفني	أ. محمد ج. الطيطي
التدقيق الطباعي	أ. صادق زايد
التنضيد الطباعي	أ. عيسى الهندي أ. رامي النابلسي
المراجعة النهائية	....

منشورات جامعة القدس المفتوحة

2009

ص.ب. (77) أم السماق تلفون (5522561) - عمان - الاردن بريد إلكتروني amman@qou.edu

رقم التصنيف:

المؤلف ومن هو في حكمه:

عنوان المصنف:

رؤوس الموضوعات:

رقم الايداع:

الملاحظات:

(تم اعداد بيانات الفهرسة الاولية من قبل المكتبة الوطنية)

[redacted]

أهلاً بك، عزيزي الدارس، في مقرر 0104 «تاريخ القدس»، وهو من المقررات التأسيسية التي يتوجب على الدارس أن يدرسها بتدبر وتعمق كبيرين نظراً لأهمية المدينة المقدسة عند أصحاب الديانات السماوية، منفردة بذلك عمّا سواها من المدن الأخرى في العالم، فالقدس ظاهرة حضارية وتاريخية.

يعرض هذا المقرر جغرافية المدينة المقدسة كالموقع والتكوينات الجيولوجية والخصائص الطبوغرافية والطبيعية والديموغرافية بالإضافة إلى الرحالة العرب والأجانب الذين حجوا إلى مدينة القدس، ومن ثم يستعرض تاريخ القدس في العصور القديمة: الحجرية والبرونزية والحديدية، والقدس تحت الاحتلالات المختلفة كاحتلال فارس والاسكندر المقدوني والسلوقيين والرومان وغيرهم؛ إلى أن تم فتحها في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، وتعاقب الخلفاء الراشدون والأمويون الذين حافظوا على المدينة المقدسة حتى صارت مدينة التسامح والعيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين. ويتناول المقرر أوضاع المدينة المقدسة في عهد الدولة العباسية ومدى اهتمام الخلفاء العباسيين بالقدس حتى ضعفت الدولة العباسية. فظهرت عدة ممالك كالطولونيين والإخشيديين والفاطميين والسلاجقة والأيوبيين والمماليك تفاوتت في مدى الاهتمام بالمدينة المقدسة وتنظيمها وإعمارها.

ولا تنسى، عزيزي الدارس، دور العثمانيين في إعمار مدينة القدس واهتمامهم الشديد بها إدارياً وتنظيمياً حيث خضعت القدس لإدارة مركزية تحت إمرة السلطان العثماني مباشرة بعدما استقلت عن ولاية دمشق.

وبقي الحال هكذا، حتى احتلها الإنجليز في نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1917م، فظهرت سياسة إنجليزية خاصة بالقدس اعتمدت تشجيع اليهود على الاستيطان في القدس والإقامة فيها على حساب الممتلكات العربية الإسلامية وعلى حساب أصحابها الأصليين.

الأمر الذي قوبل بمظاهر احتجاج بلغت حد قيام الثورات من قبل السكان الأصليين للدفاع عن مدينتهم. واحتلال اليهود القسم الغربي من المدينة بمساعدة الإنجليز عام 1948. وبقيت القدس الشرقية تحت الحكم الأردني حيث حافظ الأردن على الجزء الشرقي من المدينة حتى عدوان الخامس من حزيران عام 1967م. وبذلك خضعت المدينة المقدسة كلها للاحتلال الإسرائيلي. وقد اتبع الاحتلال سياسة عنصرية تقوم على ضم الأراضي وتهويدها وطمس كل المعالم العربية والإسلامية مخالفاً بذلك القوانين والأعراف الدولية. وقد ساعده على ذلك الضعف العربي الإسلامي وسيطرة نظام القطب الواحد على العالم. وقد صوت الكنيست الصهيوني عام 1980م على قرار يقضي بضم مدينة القدس لتصبح عاصمة الكيان الإسرائيلي الأبدية. وبذلك أصبحت هذه المدينة تحت السيطرة الإسرائيلية المطلقة وتنفذ فيها سياسة عنصرية تقوم على تهجير أهلها الفلسطينيين وإحلال المستجلبين من شتى بقاع العالم ليحلوا محل أصحابها الشرعيين في أغرب ظاهرة عرفها التاريخ البشري.

الأهداف العامة للمقرر:

عزيزي الدارس، ينتظر منك بعد دراستك لهذا المقرر أن تكون قادراً على أن:

1- تتعرف على جغرافية القدس والخصائص الجيولوجية الطبيعية والديموغرافية للمدينة بالإضافة إلى تاريخها القديم: من العصور القديمة المختلفة وحتى عصور الفتح الإسلامي للمدينة.

2- تفهم مكانة القدس عند المسلمين، ووضع القدس في عهد الخلفاء الراشدين والعهدة العمرية، بالإضافة إلى تاريخ القدس في عهد الدولة الأموية.

3- تطلع على أوضاع المدينة المقدسة خلال عهد دولة بني العباس واهتمامهم ببنائها وتنظيمها وحتى سقوط المدينة في يد الصليبيين عندما ضعفت الدولة العباسية. كما

نتعرف على جهود الأمويين والمماليك في التصدي للمحتلين حيث هزموهم في معركتي حطين وعين جالوت.

4- تتعرف على القدس في ظل الحكم العثماني، والتشكيل الإداري للمدينة والحياة الاقتصادية والاجتماعية وكذلك النشاط العمراني: من سرايا وتحصينات دفاعية ومبانٍ سكنية وغيرها من الآثار التاريخية الشاهدة على عظمة هذه المدينة المقدسة.

5- تدرك دور الاحتلال البريطاني في مساعدة اليهود للإستيلاء على أغلب مناطق القدس وتسهيل إقامة دولة لليهود في فلسطين عام 1948م، واحتفاظ الأردن بالقسم الشرقي من المدينة المقدسة والوحدة بين الضفتين عام 1950م.

6- تتعرف أوضاع القدس تحت الاحتلال الاسرائيلي والإجراءات العنصرية والممارسات العدوانية واللاإنسانية بحق السكان الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين وبحق مقدساتهم والعمل على تهويد المدينة المقدسة وذلك بإحكام طوق استيطاني حول المدينة المقدسة.

محتوى المقرر:

عزيزي الدارس، يحتوي المقرر على ثماني وحدات دراسية تشكل في مجموعها دراسة متكاملة عن المدينة في العصور القديمة والوسطى والحديثة على النحو الآتي:

الوحدة الأولى: جغرافية القدس.

الوحدة الثانية: القدس في العصور القديمة.

الوحدة الثالثة: القدس في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين.

الوحدة الرابعة: أوضاع مدينة القدس منذ بداية الدولة العباسية وحتى معركة حطين 132-583هـ / 750-1187م.

الوحدة الخامسة: القدس في العهدين الأيوبي والمملوكي.

الوحدة السادسة: القدس في ظل الحكم العثماني 1516-1917م.

الوحدة السابعة: القدس في ظل الاحتلال البريطاني ووحدة الضفتين 1917-1967م.

الوحدة الثامنة: القدس تحت الاحتلال الاسرائيلي 1967-2007م.

آملين، عزيزي الدارس، أن نكون وفقنا في تقديم كل ما هو مفيد وممتع في هذا المقرر، سائلين المولى عز وجل أن يوفقنا لما فيه خير البلاد والعباد.

والله ولي التوفيق

محتويات المقرر

[redacted]

الوحدة الأولى

جغرافية القدس

إعداد

د. احمد رأفت غضية

محتويات الوحدة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس، أهلا بك في الوحدة الأولى من مقرر "تاريخ القدس 0104"، التي نأمل أن تكون ممتعة ومفيدة لك، وتزودك بالمعرفة الضرورية لفهم الخصائص الجغرافية للمدينة المقدسة ومحيطها، سواء أكانت بشرية أم طبيعية أم اقتصادية، ولتمكينك، عزيزي الدارس، من الإحاطة بتلك الخصائص، فقد قسمنا الوحدة إلى أقسام رئيسة هي: الموقع الجغرافي، والموضع ويضم الجيولوجيا والتراكيب، والخصائص الطبوغرافية، والمناخ، والتربة، والمياه، والديموغرافيا.

إنه لمن الصعب تناول هذه الموضوعات بالتفصيل، نظرا لطبيعتها المتشعبة، وارتباطها الوثيق بالعلوم الأخرى، حيث إن كل ظاهرة لها بعد مكاني يمكن أن تندرج تحت هذه الموضوعات، لذا فقد عمدنا إلى الاختصار ما أمكن، مع التركيز على الموضوعات التي تخدمك في فهم الموضوعات الجغرافية الأخرى.

اشتملت الوحدة على عدد من الخرائط والرسومات والأشكال لمدينة القدس ومحيطها، لتساعدك على استيعاب الخصائص الجغرافية للمدينة وإقليمها، كما أدرجت بعض المراجع المتخصصة في جغرافية القدس كي تعود إليها في أثناء دراستك الوحدة، وحتى نطمئن على استفادتك العلمية من هذه الوحدة اقترحنا بعض الأنشطة والتدريبات وأسئلة التقويم الذاتي.

أهلا بك مرة أخرى في وحدة "جغرافية القدس"، ونأمل أن تشكل هذه الوحدة ركيزة أساسية في فهم العلاقة التفاعلية بين الإنسان والبيئة فهما موضوعيا.

2.1 أهداف الوحدة

بعد دراستك، عزيزي الدارس، لهذه الوحدة، وعمل الأنشطة والتدريبات، والإجابة عن أسئلة التقويم الذاتي، نأمل أن تكون قادراً على أن:

1- تدرك أهمية الموقع الجغرافي للقدس.

2- تعرف الخصائص الطبيعية والبشرية لمدينة القدس واقليمها الجغرافي.

3- تعرف مصادر المياه في المدينة.

4- تدرك أهمية المكان في فهم الحدث التاريخي.

5- تعرف علاقة المدينة بالرحالة العرب والأجانب.

3.1 أقسام الوحدة

هذه الوحدة تساعدك، عزيزي الدارس، على تعرف الخصائص الجغرافية لمدينة القدس ومحيطها، وتتألف هذه الوحدة من ستة أقسام رئيسة:

القسمان الأول والثاني: الموقع والموضع: وفيه تتعرف أهمية الموقع الجغرافي للمدينة ماضيا وحاضرا. كما يتناول هذا القسم جيولوجية المدينة وتراكيبها. ويحققان الهدف الأول.

القسمان الثالث والرابع: الخصائص الطبيعية للمدينة ومحيطها: وفيه تتعرف طبوغرافية المنطقة، ومناخها، وتربتها، وموارد المياه فيها. ويحقق الهدفين الثاني والثالث.

القسم الخامس: الخصائص الديموغرافية للمدينة والتجمعات السكانية التابعة لها، من حيث تطور عدد السكان والتركيب العمري. ويحقق الهدف الثاني.

القسم السادس: علاقة الرحالة العرب والأجانب بالمدينة وأقوالهم فيها، وكتاباتهم عنها. ويحقق الهدف الخامس. ويتحقق الهدف الرابع من خلال الأقسام الستة المكونة لهذه الوحدة.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس، حاول أن تنوع مصادر معلوماتك في الخرائط والعلوم المرتبطة بها بالاطلاع على القراءات التي لها علاقة مباشرة بالموضوع:

1- بنفنستي، ميرون، أطلس الضفة الغربية وقطاع غزة، القدس، 1985.

2- جامعة القدس المفتوحة، جغرافية فلسطين، عمان، 1997.

3- العسلي، كامل، بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عمان، 1992.

4- غضية، أحمد رأفت، الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس وحسم مصيرها السياسي، مجلة باحث للدراسات، بيروت، 2005.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

تحتاج، عزيزي الدارس، إلى الحصول على القراءات المساعدة، وتهيئة الجو الدراسي الملائم لكي تحقق الفائدة المرجوة من الوحدة، وأن يكون لديك مجموعة من الخرائط الطبوغرافية والموضوعية لمدينة القدس حتى تساعدك على فهم الخصائص الجغرافية للمدينة، وربط المعلومات الواردة في الوحدة بالتوزيع المكاني لها. كما أن توفر الإحصاءات الخاصة بالمدينة يساعدك على فهم خصائصها الديموغرافية.

[redacted]

تقع مدينة القدس فلكيا على خط طول 35^{o} و13 شرقي خط غرينتش، و31^{o} و47 شمالي خط الاستواء. وتحتل المدينة موقع القلب من فلسطين؛ فهي تتوسط إقليم المرتفعات الوسطى من فلسطين الذي يتكون من جبال نابلس في الشمال، وجبال الخليل في الجنوب، وجبال القدس في الوسط. وتمثل المدينة حلقة وصل بين إقليم السهل الساحلي في الغرب وإقليم الأغوار في الشرق. كما تصل المدينة بين مدن شمال فلسطين وجنوبها ومدن السهل الساحلي بالأغوار. وتبعد المدينة هوائيا 25 كم عن البحر الميت، و55 كم عن البحر المتوسط. وقد برزت أهمية هذا الموقع المتوسط في الانتفاضتين، الأولى عام 1987، والثانية عام 2000، عندما أغلقت إسرائيل الطريق الذي يمر من المدينة إلى محافظتي بيت لحم والخليل في الجنوب، وإلى محافظات رام الله ونابلس في الشمال، حيث اضطر السكان الفلسطينيون إلى سلوك طرق وممرات وعرة وخطرة. مثل طريق وادي النار الذي يمتد على طول السفوح الشرقية لمرتفعات القدس والخليل والتي تعرف ببرية القدس والخليل. وتتميز تلك السفوح بانحدارها الشديد. انظر الشكل رقم (1) ويبين الموقع الجغرافي لمدينة القدس.

الموضع هو المكان الذي قامت عليه مدينة القدس. ويمثل البيئة الطبيعية بخصائصها ومواردها (جغرافية فلسطين. جامعة القدس المفتوحة. 2000). إن مدينة القدس بمواردها الطبيعية الشحيحة شكلت موضعا طاردا للسكان. إلا أن الأهمية الدينية والتاريخية للمدينة شكلت عامل جذب كبير فاق إمكانيات الموضع الاقتصادية. فازدحمت المدينة بالسكان على مر العصور، ووقعت المدينة تحت سيطرة قوى خارجية عديدة: المصريين، والأشوريين، والبابليين، والفرس، والإغريق، والرومان، والبيزنطيين، والصليبيين، والأتراك، والبريطانيين، وأخيراً الإسرائيليين. وبالرغم من تلك الاحتلالات المتعاقبة بقي سكانها الأصليون فيها كما أشار Worrel، 1995؛ أي إنه لم يحدث تغير ثقافي مفاجئ في المدينة. وقد حكمت مختلف القوى والشعوب مدينة القدس لفترات طويلة. باستثناء الإسرائيليين الذين حكموا المدينة لفترة لا تتجاوز 78 سنة. (زمن داوود وسليمان عليهما السلام).

1.3 التكوينات الجيولوجية

التكوينات الجيولوجية هي الطبقات الصخرية التي تتكون منها القشرة الأرضية في منطقة القدس. وقد قسم الجيولوجيون تاريخ الأرض إلى أربع أحقاب زمنية (عابد. 1990) هي:

1. ما قبل الكمبري: وتمتد من نشأة الأرض قبل 4600 مليون سنة حتى 580 مليون سنة، وتقع صخور هذه الحقبة في شمال غرب خليج العقبة. وتغطي مساحة صغيرة من الصخور المتحولة والنارية.
2. الحياة القديمة (الباليوزي): وتمتد من 580 مليون سنة حتى 225 مليون سنة. وصخوره موجودة في جنوب فلسطين. ويغلب عليها الطابع الرملي.
3. الحياة المتوسطة (الميزوزوي): وتمتد من 225 مليون سنة حتى 65 مليون سنة، وصخوره منتشرة في مختلف أنحاء فلسطين.
4. الحياة الحديثة (السينوزوي): وتنتشر صخوره في معظم أنحاء فلسطين وخاصة في السهل الساحلي الفلسطيني والجليل وغور الأردن.

هذا ما يخصّ فلسطين بصورة عامة. أما منطقة القدس فتتكون التراكيب الجيولوجية من الوحدات الآتية مرتبة من الأقدم إلى الأحدث:

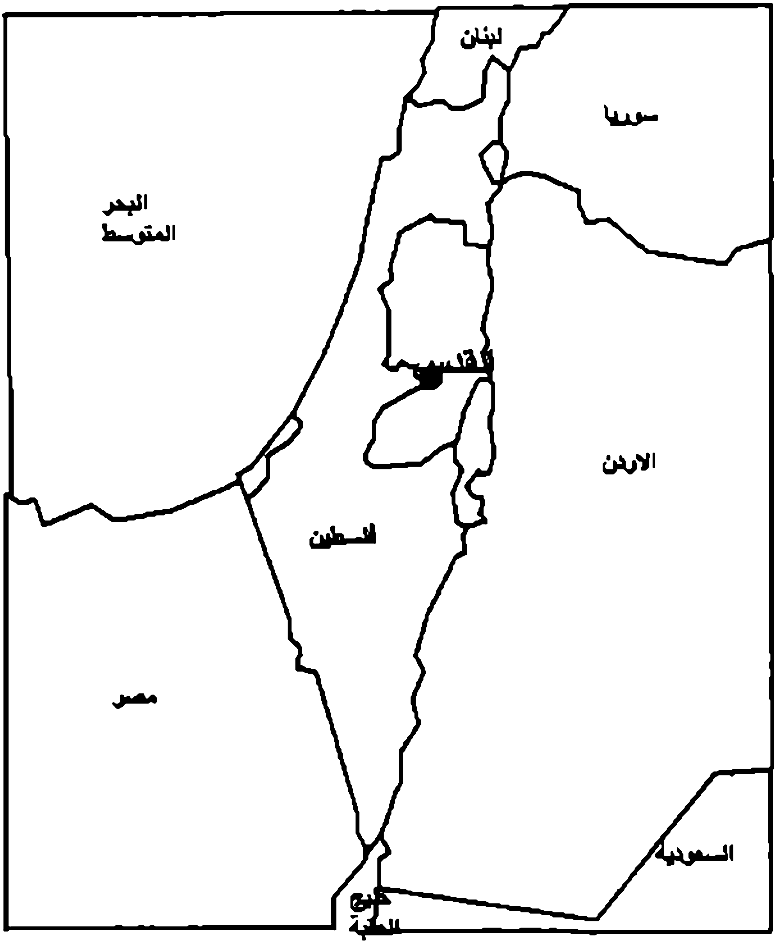
1. الحجر الرملي النوبي والدولوميت ومارل العصر الكريتاسي الأسفل.
2. الحجر الجيري والدولوميت ومارل العصرين: السينومانياني، والتورانياني.
3. الطباشير والشيرت التي تكونت في عصر السينونيان.
4. الصخور المتحولة لعصر الميوسين.
5. الطباشير والمارل والكونغلومرات التابعة لعصر البليستوسين حتى العصر الحديث.

إن صخور العصر الكريتاسي الأسفل تتكون بشكل أساسي من الحجر الجيري والدولوميت والمارل. أما صخور العصرين: الكريتاسي الأوسط والأعلى. فيمكن تقسيمها إلى التكوينات الآتية:

- تكوينات كوبروتتكون من الحجر الجيري والمارل.
- تكوينات بيت كاحل السفلى. وتتكون من الحجر الجيري الدولوميني التي تعدّ جيدة من حيث قدرتها على تخزين المياه الجوفية.
- تكوينات بيت كاحل العليا. وتتكون بشكل عام من الحجر الجيري المارلي والدولوميت.
- تكوينات يطا. وتتكون بشكل عام من الطباشير والحجر الجيري والمارل. وتتميز بغطاء كثيف نسبيا من التربة.
- تكوينات الخليل. وتتكون الأجزاء السفلى من الدولوميت والحجر الجيري الدولوميتي، بينما تتكون الأجزاء العليا من الحجر الجيري الدولوميتي. وهذه التكوينات مهمة في تشكيل الأحواض الجوفية.
- تكوينات بيت لحم. ويتكون الجزء الشمالي الشرقي من الدولوميت والحجر الجيري الدولوميتي، بينما يتكون الجزء الجنوبي الغربي من الطباشير.
- تكوينات القدس. وتتكون بشكل أساسي من الحجر الجيري والدولوميت والطباشير المارلية. ويستغل الحجر الجيري في المحاجر ويستخدم في البناء.
- تكوينات أبو ديس. وتتكون من الطباشير والشيرت. وتنتشر على المنحدرات الشرقية للقدس.
- تكوينات خان الأحمر. وتتكون بصورة أساسية من المارل والحجر الجيري.

أما من الناحية التركيبية فتسيطر على منطقة القدس طيتان رئيستان هما: طية صوريف المحدبة في الجنوب، وطية عين قينيا المحدبة في الشمال. ويقع بين هاتين الطيتين مقعر يمتد باتجاه الشمال الغربي والجنوب الشرقي بين قريتي بدو وبيت اكسا. وتنتشر الصدوع في الشمال الغربي من مدينة القدس أكثر من المناطق الأخرى. ومعظم هذه الصدوع تمتد باتجاه شمالي جنوبي وشرقي غربي. ويوجد حول القدس بعض الصدوع الكبيرة نسبيا تمتد من الشرق إلى الغرب من بيت حنينا إلى شعفاط نحو اللطرون.

وقد تعرضت المدينة عبر التاريخ إلى العديد من الزلازل، بلغ عددها بين عامي 1900 و1950 (37) زلزالا، أدى بعضها إلى حدوث خسائر.



شكل رقم (1): الموقع الجغرافي لمدينة القدس

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. حدد الموقع الفلكي لمدينة القدس.
2. وضح المقصود بالموضع.
3. قسم الجيولوجيون تاريخ الأرض إلى أربع أحقاب زمنية, اذكرها.
4. نسب العصور الجيولوجية الآتية إلى حقبها الزمنية: السينومانيان, التورانيان, الكريتاسي, البليستوسين.

تمثل منطقة القدس من الناحية الطبوغرافية جزءا من إقليم المرتفعات الفلسطينية الوسطى التي تتألف من جبال نابلس، والقدس، والخليل. ويمتد هذا الإقليم من النهايات الجنوبية لسهل مرج بن عامر بالقرب من مدينة جنين شمالا حتى وادي بئر السبع جنوبا. ويحد هضبة القدس السهل الساحلي الفلسطيني من الغرب، ووادي الأردن الأدنى والبحر الميت من الشرق، وجبال نابلس من الشمال، وهضبة الخليل من الجنوب (جغرافية فلسطين، جامعة القدس المفتوحة، 2000).

يتكون النظام التضاريسي في منطقة القدس من ثلاثة أقاليم رئيسة: المنحدرات الشرقية، والمنحدرات الغربية، والنواة. تقع المنحدرات الشرقية بين وادي الأردن والنواة أو الهضبة المركزية، وتتميز بانحدارات شديدة يتخللها مجموعة من الأودية حديثة التكوين والمتعامدة على محاور الطي. ويتراوح ارتفاع تلك المنحدرات بين 100 و250 متراً فوق مستوى سطح البحر. وتتميز هذه المنحدرات بوعورتها الطبوغرافية، وجفافها، وانجراف تربتها، مما شكل منها بيئة طاردة للاستقرار البشري، ويندر وجود التجمعات السكانية المستقرة على هذه المنحدرات.

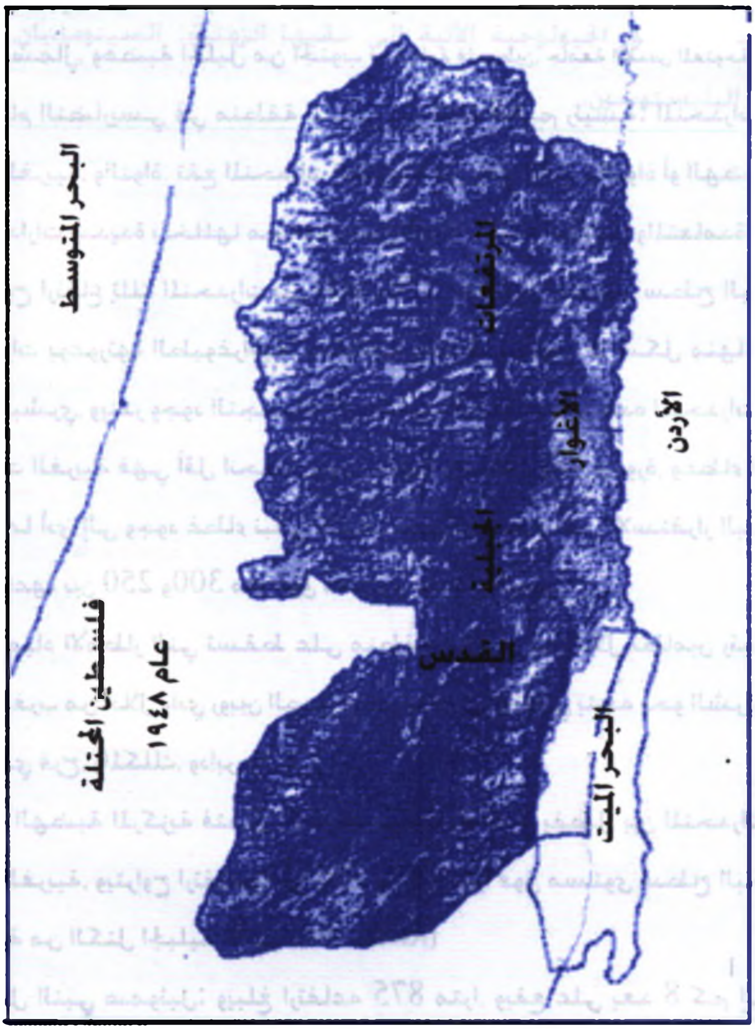
أما المنحدرات الغربية فهي أقل انحدارا، وأوفر رطوبة وأمطارا، وأقل وعورة، وغطاء التربة فيها أكثر عمقا، مما أدى إلى وجود غطاء نباتي كثيف نسبيا، وشجع على الاستقرار البشري فيها. ويتراوح ارتفاعها بين 250 و300 متر فوق مستوى سطح البحر.

ويتم صرف مياه الأمطار التي تسقط على منطقة القدس من خلال نظامين رئيسين: الأول يتجه نحو الغرب من خلال وادي روبين الصرار ووادي سلمان، والثاني يتجه نحو الشرق مثل: وادي سونيت، ووادي فرح، والمكلك، ودابر، والنار.

أما النواة أو الهضبة المركزية فتمثل خط تقسيم المياه الذي يفصل بين المنحدرات الشرقية والمنحدرات الغربية، ويتراوح ارتفاعها بين 750 و880 متراً فوق مستوى سطح البحر. وتتألف هذه الهضبة من الكتل الجبلية الآتية: (ARIJ, 1995)

1. جبل النبي صموئيل: ويبلغ ارتفاعه 875 مترا، ويقع على بعد 8 كم إلى الشمال الشرقي من المدينة، وقد بني على قمته مسجد عرف باسم مسجد النبي صموئيل.
2. جبل المشارف: ويبلغ ارتفاعه 825 متراً، ويبدأ من شمالي شعفاط وينتهي بالقرب من جبل الزيتون، ويفصله عن جبل الزيتون وادي الجوز.

3. جبل الزيتون: ويعرف باسم جبل الطور ويقع إلى الشرق من البلدة القديمة والى الجنوب من جبل المشارف. ويبلغ ارتفاعه 820 متراً. ويوجد على الجبل العديد من الأماكن المقدسة لدى المسيحيين. وقد سمي الجبل بهذا الاسم بسبب كثرة أشجار الزيتون التي كانت تغطيه في الماضي. ويفصل وادي قدرون هذا الجبل عن البلدة القديمة.



الشكل رقم (2): الخصائص الطبوغرافية للضفة الغربية بما فيها القدس

المصدر: معهد البحوث التطبيقية، القدس (اريج)

سنقوم، عزيزي الدارس، بدراسة هذه المواضيع كالآتي:

1.5 المناخ

تتميز منطقة القدس بتباينات واضحة في خصائصها المناخية، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى التباينات الطبوغرافية التي ذكرناها في الجزء السابق. ففي حين يصل ارتفاع المدينة إلى أكثر من 800 متر فوق مستوى سطح البحر، تنخفض المنحدرات الشرقية باتجاه البحر الميت إلى ما يقارب 400 متراً تحت مستوى سطح البحر. وهذا التباين الطبوغرافي نتج عنه تباين كبير في المناخ حيث إن كل 150 متراً فرق ارتفاع ينتج عنه اختلاف درجة مئوية واحدة، وهذا يعني أن المدى الحراري الناتج عن فرق الارتفاع والمناطق التابعة لها في منطقة البحر الميت يصل إلى 8 درجات مئوية.

تشير البيانات المناخية الخاصة بالقدس للسنوات 1964-1992 أن أقصى متوسط حرارة سجل لشهر آب ويبلغ 28.64 درجة مئوية، بينما أدنى متوسط حرارة سجل لشهر كانون ثاني ويبلغ 6.12 درجة مئوية (البيانات المترولوجية الإسرائيلية، 1994).

أما بالنسبة للأمطار السنوية فيصل متوسطها إلى 584 ملم، ويسقط معظمها في شهري كانون ثاني وشباط. أما متوسط عدد الأيام الماطرة فهو 55 يوماً. وتظهر البيانات المطرية أن كمية الأمطار التي سقطت عام 1991/1992 تقدر بـ 1134 ملماً، وهي كميات استثنائية. وتتساقط الثلوج على مدينة القدس بمعدل مرتين سنويا، ويتركز التساقط على المناطق المرتفعة في شهري كانون ثاني وشباط.

وتتميز منطقة القدس بارتفاع معدلات التبخر في فصل الصيف، ويعود ذلك إلى ارتفاع درجات الحرارة، وصفاء الجو وخلوه من الغيوم، وانخفاض الرطوبة الجوية. ويبلغ المتوسط السنوي للتبخر 1874 ملم تقريباً، ويبلغ أقصاها 252 ملم في شهر تموز، وأدناها 55 ملم في شهر كانون أول.

وهناك تباين فصلي في الضغط الجوي في منطقة القدس، حيث يبلغ متوسطه في الأجزاء

الغربية 921.25 ميليبار في شهر تموز. و925.21 ميليبار في شهر تشرين ثاني.
أما سرعة الرياح فيبلغ متوسطها في شهر تشرين ثاني 311.45 كم في اليوم. و489.21 كم في اليوم وذلك في شهر تموز.
أما بالنسبة للرطوبة النسبية فمعدلها السنوي 56.94%. وتؤثر رياح الخماسين الحارة القادمة من صحراء الجزيرة العربية سلبا في الرطوبة النسبية. وتنخفض الرطوبة النسبية إلى أدنى حد لها في شهر أيار حيث تصل إلى 45%. أما أقصاها فيمثله شهر كانون ثاني حيث تبلغ الرطوبة النسبية 66.9%.

تدريب (1)

1. تتألف الهضبة المركزية لجبال القدس من ثلاث كتل جبلية. بينها.
2. علل: المدى الحراري بين مدينة القدس والبحر الميت يصل إلى 8 درجات مئوية.
3. علل: بالرغم من شح الموارد الاقتصادية في مدينة القدس إلا أنها ازدحمت بالسكان على مر العصور.
4. في منطقة القدس بصورة خاصة تتكون التراكيب الجيولوجية من عدد من الوحدات. اذكرها مرتبة من الأقدم إلى الأحدث.

2.5 التربة

تتكون التربة في منطقة القدس من تسعة أصناف رئيسة هي (اريج، 1996):

1. تربة جرامو Grumusols: ويغطي هذا النوع من التربة ما يقارب 530 هكتاراً من الأراضي السهلية قليلة الانحدار. وتعدّ هذه التربة قليلة الخصوبة. وتصلح جزئيا لزراعة القمح.
2. التربة الحمراء والبنية والرندزينا Terra Rossa and Brown and Pale Rendzinas:

وتغطي هذه التربة 12576 هكتاراً تقريباً. وتستغل هذه التربة في منطقة القدس

في الزراعة الحقلية وخاصة القمح والشعير بالإضافة إلى العنب والزيتون. وتزرع هذه المحاصيل على السفوح العليا للأودية.

3. التربة البنية والرندزينا الشاحية: وتغطي هذه التربة مدينة القدس، والطور، والعيزرية، وأبو ديس، والسواحرة الشرقية، والمغير، وظهرة المغارة، وبيت اكسا، وتقدر المساحة المغطاة بهذا النوع من التربة ب 9652 هكتاراً، وتصلح هذه التربة لزراعة العنب والمحاصيل الحقلية ونباتات الأعلاف.

4. تربة الليثو البنية واللويس Brown Lithosols and Loessial serozems : يوجد هذا النوع من التربة على المنحدرات الجبلية. وتغطي 1759 هكتاراً في الأجزاء الشرقية من منطقة القدس، وتتكون بصورة رئيسة من الحجر الجيري والطباشير والدولومايت والصخور الصوانية. ويقوم البدو في هذه المنطقة بزراعة المحاصيل الشتوية.

5. تربة اللويس Loessial serozems: تتوزع هذه التربة على سطح الهضبة والمنحدرات اللطيفة في الأجزاء الشرقية. وتغطي 344 هكتار، ويغلب على هذه التربة الرسوبيات والحصى والرسوبيات الكلسية. وتستغل هذه المناطق في الرعي، ويزرع جزء بسيط منها بعلا.

6. تربة ريجو Regosols: وتتوزع هذه التربة على الحدود الشرقية لمنطقة القدس، وتغطي مساحة تقدر ب 911 هكتاراً، وتمثل هذه التربة ما يعرف بالأراضي الرديئة Badlands، ويغلب عليها الرمال والطين واللويس. وتستغل مناطق هذه التربة في الرعي.

7. الصخور الجرداء وتربة الليثو الصحراوية Bare Rocks and Desert Lithosols: وتغطي هذه التربة أجزاء من المنحدرات الشرقية، وتمتد على مساحة تقدر ب 842 هكتاراً، وتتكون من الحجر الجيري الصلب والدلومايت وصخور من أصل طباشيري، وتتميز هذه التربة برقتها وخلوها من الغطاء النباتي تقريبا باستثناء النباتات الشوكية. وتستغل الأراضي في هذه المناطق في الرعي.

8. تربة ريجو الرملية والبنية الجافة: وتغطي هذه التربة 418 هكتاراً، وتتوزع في الأودية الفيضية. والصخر الأم لها هو الرمل وترسبات اللويس، وهذه التربة فقيرة إلا إذا زرعت زراعة مروية.

3.5 الموارد المائية

عزيزي الدارس، إن المعلومات والبيانات المتوافرة عن هذا الموضوع قليلة، ويعود السبب في ذلك إلى وقوع هذه المصادر الطبيعية تحت السيطرة الإسرائيلية المباشرة.

في الماضي اعتمد السكان في مدينة القدس على العديد من الينابيع في تأمين احتياجاتهم المائية، وأهم تلك الينابيع نبع سلوان. ومع تزايد عدد السكان ظهرت الحاجة إلى تجميع مياه الأمطار في أحواض وبرك وآبار متصلة بقنوات تصل إلى مدينة القدس: فبرك سليمان تقع على مسافة 11كم جنوبي القدس في منطقة بيت لحم، وكانت المياه تنقل من هذه البرك إلى مدينة القدس عبر مسافة 21كم بالاعتماد على الجاذبية (الانحدار).

وقد تفاقمت أزمة المياه في المدينة بقدوم الجيش البريطاني بعد هزيمة العثمانيين عام 1917، وسكن المدينة عدد كبير من الجنود البريطانيين، مما زاد من استهلاك المياه. ولحل هذه المشكلة قام البريطانيون بتزويد المدينة ب 250 ألف جالون من المياه يوميا من ينابيع العروب التي تبعد 12 كم جنوبي المدينة. كما أقام البريطانيون العديد من البرك الاصطناعية لتجميع مياه ينابيع العروب عام 1918 (Abells & Arbit, 1995). وبعد ذلك بعدة سنوات قام الانتداب البريطاني بضخ المياه إلى المدينة من ينابيع رأس العين في منطقة السهل الساحلي الأوسط. وفي الوقت الحالي يزود نبع رأس العين مدينة تل أبيب ومناطق من السهل الساحلي بالمياه.

في عام 1967 احتلت إسرائيل الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية، وبدأت تخطط للسيطرة على الموارد المائية فيها، فقامت بحفر سبعة آبار عميقة فيها، وأصبح 50% من احتياجات المدينة من المياه تلبى عبر ما يعرف بالناقل القطري الإسرائيلي «Israeli National Carrier». وقد قامت إسرائيل بحفر المزيد من الآبار من أجل تزويد المستوطنات المحيطة بالقدس بالمياه على حساب احتياجات السكان الفلسطينيين.

هناك ثلاثة أحواض جوفية رئيسة في منطقة القدس هي: حوض السينومانيان الأسفل، ويتكون من الحجر الجيري والجيري الدولوميتي. ويتركز إلى الشمال والى الجنوب من المدينة، ويغطي جزءا من السفوح الغربية لمرتفعات فلسطين الوسطى المقابلة لكل من رام الله والخليل. والحوض الثاني هو حوض السينومانيان الأعلى، ويطغى عليه تكوينات الخليل وبيت

لحم والقدس. ويغطي هذا الحوض النسبة الكبرى من إقليم المرتفعات الفلسطينية والسهل الساحلي. أما الحوض الثالث فهو حوض الرباعي الذي توجد صخوره في منطقة البحر الميت. وتغذى مياه هذه الأحواض عن طريق الأراضي المرتفعة الواقعة في الجزء الأوسط من جبال القدس. أما الأراضي المنخفضة فتمثل مناطق تصريف للمياه على شكل ينابيع. ومن أهم الينابيع الموجودة في منطقة القدس نبع سلوان الذي يقع جنوبي المدينة القديمة. واستخدم قديما لتزويد المدينة بحاجتها من المياه. ووجوده كان سبباً رئيساً لاختيار موقع المدينة الحالي, ويقدر الجريان السنوي لهذا النبع ب 70 ألف متر مكعب من المياه (Abells & Arbit, 1995).

إن معظم قرى منطقة القدس مربوطة بشبكة للمياه. ويتم تزويد ما يقارب 20 تجمعاً سكانياً فلسطينياً يقع شمالي المدينة بالمياه من خلال شركة مياه القدس الفلسطينية. ومقرها مدينة رام الله, في حين أن باقي المناطق تزود بالمياه من خلال بلدية المدينة التي تسيطر عليها إسرائيل.

وقد أولت الأردن قبل عام 1967 مدينة القدس عناية خاصة. وقامت ببناء شبكة مياه للمدينة. وقد استخدمتها إسرائيل بعد احتلالها المدينة وبنت عليها خطوطا جديدة. وفي عام 1995 قامت بلدية القدس الإسرائيلية ببناء شبكة مياه جديدة في البلدة القديمة. وباب الساهرة. والشيخ جراح. وشعفاط. ويعاني مخيم شعفاط نقصاً كبيراً في المياه منذ عام 1988. حيث قطعت إسرائيل الشبكة عن المخيم إثر خلاف على أسعار المياه (Arab Studies Society, 1995).

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1. قارن بين المنحدرات الشرقية والمنحدرات الغربية لجبال القدس.
2. عرف الضغط الجوي والرطوبة النسبية.
3. أين تتوزع التربة الحمراء وتربة اللويس في منطقة القدس؟
4. كيف عالج البريطانيون مشكلة المياه في القدس بعد استيلائهم عليها بعد عام 1917؟

[redacted]

عزيزي الدارس، أولى الاحتلال الإسرائيلي أهمية خاصة للوضع الديموغرافي في مدينة القدس، وبنت إسرائيل استراتيجيتها على تحقيق تفوق ديموغرافي يهودي في المدينة من خلال مجموعة من الإجراءات التعسفية بحق المواطنين الفلسطينيين، السكان الأصليين للمدينة.

أشار الإحصاء الذي قامت به إسرائيل عام 1967 إلى أن هناك 66 ألف فلسطيني يعيشون في القدس وضواحيها، منهم 44 ألف فلسطيني عاشوا في منطقة عرفت قبل 1967 بالقدس الشرقية، و22 ألف فلسطيني عاشوا في مناطق في الضفة الغربية تم ضمها بعد عام 1967.

أما من غير الفلسطينيين فقد عاش في القدس الشرقية عدد قليل يقدر بالمئات، وهم من الفلسطينيين اليهود القدامى. وقد بينت الدراسات أنه تم إجبار ما يقارب 50 ألف فلسطيني مقدسي على الرحيل بفعل الضغوط الإسرائيلية بين عامي 1967 و 1993. وسكن هؤلاء خارج حدود بلدية القدس الشرقية (Kothari and Abu Shaqra, 1995).

بلغت الزيادة السكانية الطبيعية للفلسطينيين في القدس الشرقية بين عامي 1978 و 1994 تقريباً 3.01%، (Municipality of Jerusalem et al, 1996). وحسب الإحصاءات الإسرائيلية، فإن المستوطنين الإسرائيليين في القدس الشرقية بلغت نسبتهم 48.9% من مجموع السكان، والباقي من الفلسطينيين. وفي عام 1996 بلغ عدد الفلسطينيين في القدس القديمة 28 ألف نسمة، أي 17.1% من مجموع سكان القدس الشرقية. أما الكثافة السكانية في المربع الإسلامي فقد بلغت 47.3 نسمة لكل دونم، و26 نسمة لكل دونم في الحي المسيحي (Municipality of Jerusalem et al, 1996). أما بالنسبة لليهود فهناك 2300 يهودي بكثافة تقدر ب 17.7 نسمة لكل دونم (PASSIA, 1992, Municipality of Jerusalem et al, 1996).

أما بالنسبة للتركيب العمري للسكان الفلسطينيين في القدس، فقد أظهرت انتخابات عام 1996 أن نسبة الإناث كانت 50.12%، والباقي من الذكور (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 1996)، وأن ما يقارب 46.9% من السكان هم دون الخامسة عشرة. والجدول الآتي يبين النسبة المئوية للفئات العمرية في القدس الشرقية.

جدول رقم (1): التوزيع السكاني في القدس الشرقية حسب الفئة العمرية لعام 1996

الفئة العمرية	النسبة المئوية
0-4	16.2
5-14	24.6
15-24	20.5
25-44	24.5
45-64	10.2
اكبر من 65	4.0

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 1996.

بلغ متوسط حجم الأسرة 5.4 أشخاص ما بين عامي 1983 و1993 (Municipality of Jerusalem et al, 1996). وربع العائلات تقريباً تتكون من 7 أشخاص، ونصفهم يتكون من أكثر من 5 أشخاص، وبلغت درجة الازدحام 2.2 شخص للغرفة الواحدة، ما يستدعي توجيه عناية خاصة، ودعم متواصل لقطاع الإنشاءات، وإقامة مشاريع الإسكان لتعزيز صمود الفلسطينيين المقدسيين في مدينتهم، وإفشال المخططات الصهيونية الرامية إلى تهجير السكان الفلسطينيين واستكمال تهويد المدينة.

أما بالنسبة للقوى العاملة في المدينة، فقد تبين أن معظم الفلسطينيين يشتغلون في مهن منخفضة القيمة، عكس العمال اليهود الذين يسيطرون على المهن المهمة والمرتفعة الأجور، ما أثر سلبا في الأوضاع الاقتصادية للسكان الفلسطينيين. فقد أشارت نشرات جهاز الإحصاء الإسرائيلي عام 1993 إلى أن نسبة العمال الفلسطينيين الذين يعملون في حقل العلوم بلغت فقط 6.88%، أما الذين يعملون في الأعمال الإدارية فقد بلغت نسبتهم 3% فقط، وأما الذين يعملون في الزراعة فنسبتهم 42.86%. أما العاملون في المهن التي تحتاج إلى مهارة فنسبتهم 28.03%، والباقي يعملون في مهن لا تحتاج إلى مهارة.

مما تقدم، عزيزي الدارس، يتبين أنه منذ اللحظة الأولى لوقوع القدس في قبضة الإسرائيليين عام 1967، بدأت إسرائيل إجراءاتها العملية على الأرض لفرض واقع جديد يستهدف الإنسان

الفلسطيني، وربط مصيره بالإرادة الإسرائيلية، فربطت شبكتي الهاتف والمياه بها، وطبقت القانون الإسرائيلي على فلسطينيي القدس، ونقلت الوزارات والدوائر الحكومية إلى المدينة، وطبقت مناهج التعليم اليهودي على المدارس العربية (غضية، 2005)، وقامت بمجموعة من الإجراءات الهادفة إلى تهويد المدينة منها:

1. تعقيد مسألة الحصول على رخص البناء، حيث يستغرق الحصول على رخصة بناء أكثر من 5 سنوات، وبكلفة تصل إلى 20 ألف دولار، في حين يحصل اليهودي على الرخصة خلال أقل من ستة أشهر وبكلفة رمزية.
2. عدم السماح بعودة الفلسطينيين الذين أجبروا على مغادرة المدينة إثر حرب 1967، وقد بلغ عددهم أكثر من 30 ألف فلسطيني.
3. فرضت إسرائيل ما يعرف بضريبة الأرنونا (المسقفات) على الفلسطينيين.
4. مصادرة الأراضي حتى أصبحت نسبة الأراضي التي يمكن للفلسطينيين استخدامها 13% فقط.
5. عزل المدينة عن محيطها الفلسطيني، وعدم السماح للفلسطينيين من باقي المناطق الوصول للمدينة إلا بتصاريح خاصة.
6. ضرب الاقتصاد الفلسطيني في المدينة من خلال استهداف القطاع السياحي.
7. محاصرة المدينة بما يزيد على 18 مستوطنة، يسكن فيها ما يزيد على 200 ألف مستوطن.
8. إقامة جدار الفصل العنصري والطرق الالتفافية، وتقطيع أوصال التجمعات السكانية الفلسطينية.

عزيزي الدارس، نظراً للأهمية الخاصة لمدينة القدس لدى جميع الأديان السماوية، فقد أمها العديد من الرحالة العرب والأجانب. وقد لقي هذا الموضوع اهتماما خاصا لدى الغربيين الذين ألفوا العديد من الكتب والمجلدات التي تصف رحلاتهم إلى المدينة المقدسة. فعلى سبيل المثال نفذت بريطانيا مشروع ترجمة للعديد من كتب الرحلات التي كتبت بغير اللغة الإنجليزية في التسعينيات من القرن الماضي. وقد أبرزت هذه المؤلفات مكانة مدينة القدس الدينية لدى المسيحيين. في المقابل قامت جمعية كتابات حجاج فلسطين بنشر بعض الكتب الخاصة بالرحلات إلى القدس. وهذه الكتب هي: (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي، وكتاب (سفر نامة) للرحالة الفارسي ناصر خسرو، وكتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) لبهاء الدين بن شداد (العسلي 1992).

ويعود الاهتمام الخاص الذي يوليه المسلمون لمدينة القدس إلى عدة أسباب أهمها: أن القدس هي قبلة المسلمين الأولى، ومسرى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وثالث الحرمين الشريفين. بدأت الرحلات إلى القدس بعد الفتح العمري مباشرة، واستمرت حتى القرن الرابع عشر الهجري، وقد كتب الرحالة فصولا في مؤلفاتهم عن مدينة القدس. ومن بين الكتب التي تناولت المدينة بالوصف كتاب (المسالك والممالك) لعبيد الله بن خردانبة (280-205هـ)، وكتاب (البلدان) لأحمد بن إسحق اليعقوبي المتوفى سنة 292هـ وكتاب (الأقاليم) لمحمد بن أحمد المقدسي المتوفى سنة 390 هـ وغيرها من الكتب التي لا مجال لذكرها هنا.

وصف المقدسي مدينته بصورة دقيقة ومفصلة. فقد تحدث عن حجمها، وجوها المعتدل، وبنائها الحجري الجميل، ونظافة أسواقها، وعظم مشاهدها، وضخامة مسجدها، وعن فواكهها الكثيرة، وأطبائها الكثر، كما تحدث عن فضائلها الدينية، والعلاقات الطيبة بين المسلمين والمسيحيين، حيث أشار إلى مشاركة المسيحيين أعيادهم. وقد حذا حذوه جميع الرحالة الذين زاروا المدينة، إلا أنه كان أدقهم في الوصف بسبب كونه ابن المدينة.

وقد بلغ عدد الرحالة الذين زاروا مدينة القدس منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حتى القرن الرابع عشر (العشرين الميلادي) 40 رحالة من تسعة أقطار هي/ فلسطين،

وخراسان، والعراق، والأندلس، والشام، وبلاد المغرب، ومصر، والحجاز، وتركيا. والجدول الآتي يبين عدد الرحالة الذين زاروا القدس.

جدول رقم (3): عدد الرحالة إلى مدينة القدس حسب القرون

القـــرن	عدد الرحالة
القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي	2
القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي	3
القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي	3
القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي	5
القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي	1
القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي	2
القرن الحادي عشر الهجري - السابع عشر الميلادي	6
القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي	5
القرن الثالث عشر الهجري - الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي	2
القرن الرابع عشر الهجري - التاسع عشر والعشرون الميلادي	11
المجموع	**40**

(المصدر: العسلي، 1992)

إن كتابات الرحالة والمستشرقين الأوروبيين إلى البلاد العربية، وخاصة منطقة فلسطين، تعطي صورة للأوضاع التي كانت سائدة آنذاك في المنطقة. أما كتابات الرحالة الأوروبيين عن الشرق عامة والقدس خاصة، فجديرة بالتأمل والاهتمام في هذه الحالة. ومن الطبيعي أن تمثل هذه الكتابات، انطباعات أولئك الرحالة. فيذكر المؤرخ سليمان الموسى، صاحب كتاب (رحلات في الأردن وفلسطين)، أن أركولبي الفرنيس أول الرحالة الذين زاروا المنطقة العربية، خصوصاً فلسطين في عام 700 للميلاد، في أثناء حكم الدولة الأموية. وقد أقام الفرنيس تسعة أشهر في فلسطين، أمضاها متنقلاً بين القدس، وبيت لحم، والخليل، وأريحا، والناصرة، ويافا. وقد دهش أركولبي من كثرة أشجار الزيتون في فلسطين، كما دهش من بعده البريطاني ويليبالد الذي قام برحلته عام 721 للميلاد، ولشدة تعلق أركولبي بالقدس، نصح معظم المؤمنين بزيارة تلك الأماكن ومشاهدتها؛ لتنقية الروح والصفاء الجسدي.

أشار برنارد الحكيم في مذكراته عام 867 م إلى الأمن السائد في فلسطين، حيث قال: " إن الوفاق سائد بين السكان من مسلمين ومسيحيين". كما أن التعاون ميزة لم يشاهدها في أي مكان آخر. لكن رحلة ساولف التي قام بها عام 1102م، في أثناء الحروب الصليبية، لم تكن رحلة وصف في أحوال البلاد الطبيعية، إنما كانت أشبه ببعثة استطلاعية لأهداف عسكرية. وبيّن ساولف في كتاباته كيف كانت مقاومة العرب والمسلمين للغزاة تتبع أسلوب "الحرب الشاملة". أما البريطاني تريسترام فسجل تفاصيل رحلته في كتاب، وبيّن كيف أن عشيرة «العريفات» التي تقطن في قرية أبو ديس، القريبة من القدس، يرافقون الحجاج من القدس إلى أريحا، ثم إلى نهر الأردن من أجل حمايتهم من الهجمات، كما لاحظ تريسترام أن السكان كانوا يعملون في قطع الأشجار من أجل التدفئة، وبعضهم يفعل ذلك من أجل بيع الحطب والفحم إلى أهل القدس، كما أنه شاهد قوافل الجمال تحمل أكياس القمح من حوران إلى عكا.

وكانت رحلة الألماني فيلكس فابري آخر رحلات القرون الوسطى إلى القدس، حيث جاءت زيارته في إطار زيارة الأماكن المقدسة، قام فابري بثلاث رحلات إلى القدس، كانت الأولى في عام 1457م، بينما جاءت الثانية في عام 1484م، وكتب فيها مشاهداته اليومية بشكل رسائل إلى إخوانه الذين ينتمي إليهم في دير الدومينكان، وبعد أن أنهى كتابه، سافر مرة أخرى إلى القدس عام 1489. تقول الباحثة سهير نعينع التي حاولت تقديم صورة متكاملة عن الرحلة: "إن الجزء الأول من كتابه أشبه ما يكون بالمذكرات اليومية التي ربما دعته إليها ظروف رحلته، والوعد الذي قطعه على نفسه للرهبان من جماعة الدومنيكان". تميزت كتابات فابري بوصف كل ما يقابله ويشاهده في القدس في أثناء تجواله: "هي القدس التي ينتشر شذاها في كل مكان من العالم". ويغرق في التفاصيل، وسرد القصص عنها، مشيراً إلى وجود العرب المسلمين، والمسيحيين الشرقيين، وقليل من اليهود، وهذا يدل على روح التسامح والإخوة في القدس في أثناء حكم المماليك.

تتالت الرحلات إلى فلسطين ومصر وسورية والأردن، إلا أن رحلة الفرنسي شاتوبريان، كانت أم الرحلات في بدايات القرن التاسع عشر حيث اشتغل على كتاب ظهر لاحقاً بعنوان "الشهداء".

جمع شاتوبريان ملاحظات وقصاصات وانطباعات من رحلته التي قام بها إلى الشرق الأدنى ما بين عامي 1806م و 1807م. في كتاب عرف بـ "المسار من باريس إلى القدس". وصدر للمرة الأولى في عام 1811م. وعدّ الكتاب في وقته قمة أدب الرحلات في فرنسا. بالرغم من العديد من الرحالة جاؤوا إلى الشرق بعد شاتوبريان. لكنه يعدّ البدايات الجيدة للاستشراق الفرنسي الحديث. تحدث شاتوبريان عن الكتاب قائلاً: "إن مساري هو مسار رجل انطلق أصلاً إلى حيث يرى السماء والأرض والماء". وعندما انتهى من رحلته عاد إلى فرنسا وفي رأسه مجموعة صور جديدة ومشاعر إضافية عن الشرق والقدس (عرموش، 2005).

تدريب (2)

1. هناك ثلاثة أحواض مائية جوفية رئيسة في القدس، بينها.
2. كم بلغ عدد السكان الفلسطينيين في القدس القديمة؟ وكم بلغت نسبتهم من سكان القدس الشرقية عام 1996؟
3. ما خصائص القوى العاملة الفلسطينية في القدس؟
4. ما أسماء الكتب الخاصة بالرحلات إلى القدس التي نشرتها جمعية كتابات حجاج فلسطين؟
5. ماذا قال برنارد الحكيم في مذكراته عام 867 م عن الأمن السائد في فلسطين؟

1. بين الكثافة السكانية في القدس القديمة عام 1996.
2. علل: 46.9% من سكان القدس تقريباً أعمارهم دون الخامسة عشرة عام 1996.
3. علل: ارتفاع عدد الرحالة إلى مدينة القدس في القرنين التاسع عشر والعشرين.

8. الخلاصة

عزيزي الدارس، عالجت هذه الوحدة مجموعة من القضايا الجغرافية ابتداء من الموقع الجغرافي لمدينة القدس وأهميته، والموضع وتكويناته، مرورا بالخصائص الطبوغرافية والمناخ والموارد المائية والتربة والسكان، وانتهاء بعلاقة الرحالة العرب والأجانب بالمدينة المقدسة.

ومما يجدر ذكره أن موقع القدس، شأنه شأن موقع فلسطين بشكل عام، يتميز بأهمية كبيرة على الصعيدين: المحلي، والعالمي، فهي تتوسط الأرض الفلسطينية، وتربط شمال فلسطين بجنوبها من جهة، وتربط سهلها الساحلي في الغرب بغورها في الشرق. إن هذا الموقع المهم عرضها للعدوان والغزو الخارجي على مر العصور، كان آخره الغزو الصهيوني الذي ما زال قائما حتى يومنا هذا.

رأينا، عزيزي الدارس، الطبيعة الجبلية لمنطقة القدس، والارتفاع الكبير نسبيا لها، حيث يزيد ارتفاعها على 800 متر فوق مستوى سطح البحر، بالإضافة إلى التنوع في خصائصها الطبوغرافية، فهناك المنحدرات الشرقية المطلة على وادي الأردن والبحر الميت والتي تتميز بالجفاف والوعورة، وهناك المنحدرات الغربية المطلة على السهل الساحلي والبحر المتوسط والتي تتميز باعتدال المناخ ووفرة الأمطار، وهناك الهضبة المركزية التي تتوسطها المدينة المقدسة.

كما رأينا، عزيزي الدارس، كيف تسيطر إسرائيل على الموارد المائية للمدينة من أجل توفير المياه للمستوطنات على حساب السكان الفلسطينيين الأصليين، وهذه المستوطنات تخنق المدينة من الجهات الثلاث: الشمالية، والجنوبية، والشرقية.

أما بالنسبة لسكان المدينة الفلسطينيين فإنهم يتعرضون لإجراءات منظمة تهدف إلى ترحيلهم عن أرضهم, منها مصادرة الأراضي حتى لم يبق للفلسطينيين سوى 13% من الأرض للتوسع عليها، ومنها أيضاً عدم إصدار رخص للبناء، وفرض الضرائب الباهظة.

كما ناقشنا في الجزء الأخير علاقة الرحالة العرب والمسلمين والأجانب بمدينة القدس منذ القرن الخامس الهجري حتى القرن الرابع عشر.

9. لمحة عن الوحدة الدراسية الثانية

بعد أن اطلعت، عزيزي الدارس، على جغرافية القدس، فإنك في الوحدة الثانية ستتعرف تاريخ القدس في العصور القديمة التي تمتد من بداية العصور الحجرية وحتى نهاية العصر البيزنطي؛ حيث ستدرس الحضارات التي قامت على أرض المدينة قبل بنائها في العصور الحجرية (عصور ما قبل التاريخ)، مثل الحضارة الكبارية، والحضارة النطوفية، والحضارة الطاحونية من خلال ما تركته من شواهد وآثار. ثم تتبع بعد ذلك تاريخ المدينة منذ تأسيسها في مطلع العصور التاريخية من ناحية الشعوب التي استقرت فيها: أسماء تلك الشعوب كالكنعانيين، والدول التي تعاقبت على حكمها، والثورات التي قام بها اليهود في عهدي اليونان والرومان، وما سببته للمدينة من خراب ودمار.

10. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. الكتل الجبلية الثلاث هي:

- جبل النبي صموئيل: ويبلغ ارتفاعه 875 متراً، ويقع على بعد 8كم إلى الشمال الشرقي من المدينة، وقد بني على قمته مسجد عرف باسم مسجد النبي صموئيل.

- جبل المشارف: ويبلغ ارتفاعه 825 متراً، ويبدأ من شمالي شعفاط، وينتهي بالقرب من جبل الزيتون، ويفصله عن جبل الزيتون وادي الجوز.

- جبل الزيتون: ويعرف باسم جبل الطور، ويقع إلى الشرق من البلدة القديمة والى الجنوب من جبل المشارف، ويبلغ ارتفاعه 820 متراً. ويوجد على الجبل العديد من الأماكن المقدسة لدى المسيحيين. وقد سمي الجبل بهذا الاسم بسبب كثرة أشجار الزيتون التي كانت تغطيه في الماضي، ويفصل وادي قدرون هذا الجبل عن البلدة القديمة.

2. إن المدى الحراري بين مدينة القدس ومنطقة البحر الميت يصل إلى 8 درجات مئوية؛ بسبب فارق الارتفاع: فالقدس واقعة على ارتفاع يزيد على 800 متر فوق مستوى سطح البحر، والبحر

الميت يقع على ارتفاع 400 متر تحت سطح البحر. أي أن الفارق بينهما هو 1200 متر. وبما أن كل 150 متراً فرق ارتفاع تعادل درجة مئوية واحدة. فإن قسمة فرق الارتفاع على 150 متراً ينتج 8 درجات مئوية.

3. بالرغم من شح الموارد الاقتصادية في مدينة القدس إلا أنها ازدحمت بالسكان على مر العصور. والسبب في ذلك الأهمية الدينية والتاريخية للمدينة.

4. في منطقة القدس بصورة خاصة تتكون التراكيب الجيولوجية من الوحدات الآتية مرتبة من الأقدم إلى الأحدث:

- الحجر الرملي النوبي، والدولوميت، ومارل العصر الكريتاسي الأسفل.
- الحجر الجيري، والدولوميت، ومارل العصرين السينومانياني والتورانياني.
- الطباشير والشيرت التي تكونت في عصر السينونيان.
- الصخور المتحولة لعصر الميوسين.
- الطباشير، والمارل، والكونغلومرات التابعة لعصر البليستوسين حتى العصر الحديث.

تدريب (2)

1. هناك ثلاثة أحواض جوفية رئيسة في منطقة القدس هي:

- حوض السينومانيان الأسفل الذي يتكون من الحجر الجيري، والجيري الدولوميت، ويتركز إلى الشمال وإلى الجنوب من المدينة، ويغطي جزءا من السفوح الغربية لمرتفعات فلسطين الوسطى المقابلة لكل من رام الله والخليل.

- حوض السينومانيان الأعلى الذي يطغى عليه تكوينات الخليل وبيت لحم والقدس. ويغطي هذا الحوض النسبة الكبرى من إقليم المرتفعات الفلسطينية والسهل الساحلي.

- حوض الرباعي الذي توجد صخوره في منطقة البحر الميت.

2. في عام 1996 بلغ عدد الفلسطينيين في القدس القديمة 28 ألف نسمة، أي 17.1% من مجموع سكان القدس الشرقية.

3. تبين أن معظم الفلسطينيين يشتغلون في مهن منخفضة القيمة، عكس العمال اليهود الذين يسيطرون على المهن المهمة والمرتفعة الأجور، ما أثر سلباً في الأوضاع الاقتصادية

للسكان الفلسطينيين. فقد أشارت نشرات جهاز الإحصاء الإسرائيلي عام 1993 إلى أن نسبة العمال الفلسطينيين الذين يعملون في حقل العلوم بلغت فقط 6.88%, ونسبة الذين يعملون في الأعمال الإدارية بلغت 3% فقط. أما نسبة العاملين في الزراعة فبلغت 42.86%. وأما نسبة العاملين في المهن التي تحتاج إلى مهارة فبلغت 28.03%. والباقي يعملون في مهن لا تحتاج إلى مهارة.

4. قامت جمعية كتابات حجاج فلسطين بنشر بعض الكتب الخاصة بالرحلات إلى القدس. وهذه الكتب هي: (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي. وكتاب (سفر نامة) للرحالة الفارسي ناصر خسرو. وكتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) لبهاء الدين بن شداد.

5. أشار برنارد الحكيم في مذكراته عام 867 إلى الأمن السائد في فلسطين. حيث قال: "إن الوفاق سائد بين السكان من مسلمين ومسيحيين". كما أن التعاون ميزة لم يشاهدها في أي مكان آخر.

---

11. مسرد المصطلحات

- تربة جرامو **Grumusols**: تعدّ هذه التربة قليلة الخصوبة, وتصلح جزئيا لزراعة القمح. وتغطي المناطق قليلة الانحدار من جبال القدس.

- تربة اللويس **Loessial Serozems**: وهي تربة منقولة بوساطة الرياح, وتنتشر على المناطق قليلة الانحدار, ويغلب على هذه التربة الرسوبيات والحصى والرسوبيات الكلسية. وتستغل هذه المناطق للرعي, ويزرع جزء بسيط منها بعلا.

- تربة ريجو **Regosols**: تمثل هذه التربة ما يعرف بالأراضي الرديئة badlands. ويغلب عليها الرمال والطين واللويس. وتستغل مناطق هذه التربة بالرعي.

- الحوض المائي الجوفي **Underground Water Basins**: وهو الطبقة الصخرية التي تتجمع فوقها المياه بعد تسرب مياه الأمطار من سطح الأرض عبر الطبقات الصخرية المنفذة للماء لتصل إلى تلك الطبقة الصماء غير المنفذة للماء.

- الناقل القطري **National Carrier**: وهو مشروع مائي إسرائيلي يتم من خلاله سحب المياه من بحيرة طبريا عبر أنابيب ضخمة تمر بمحاذاة السهل الساحلي الفلسطيني إلى النقب الشمالي: لاستغلالها في الزراعة, كما يقوم الناقل القطري بتزويد المستوطنات الإسرائيلية في منطقة يافا والقدس بالمياه.

12. المراجع

أ- العربية:

1. جامعة القدس المفتوحة. جغرافية فلسطين. عمان. 2000.
2. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. سكان المناطق الصغيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة. رام الله. 1994.
3. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ووزارة التربية والتعليم العالي. كتاب الإحصاء السنوي 1994/1995. رام الله. 1995.
4. عابد, عبد القادر. فلسطين: الموضع والموقع. بيروت: الموسوعة الفلسطينية. 1990.
5. عرموش. سناء. الملحق الثقافي. جريدة الثورة السورية. 18/5/2005.
6. العسلي. كامل. بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين. عمان. 1992.
7. غضية. أحمد رأفت. الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس وحسم مصيرها (دراسة في الجغرافيا السياسية). دراسات باحث. بيروت. 2005.

ب- الأجنبية:

8. ARIJ, Environmental Profile for the West Bank, District of Jerusalem, Published by ARIJ. Bethlehem, Palestine, 1995.
9. Abells, Zvi and Asher Arbit, The City of David Water systems, The Faculty of Printing Techniques, Hadassah College of Technology, Jerusalem, 1995.

10. Arab Studies Society, Map Center, Unpublished Document, 1995.

11. Kothari, Miloon and Jan Abu Shaqra, Planned Dispossession: Palestinians, East Jerusalem and the Right to a Place to Live, COHRE, Occasional Paper Number 4, September 1995, Geneva, 1995.

12. Municipality of Jerusalem and the Jerusalem Institute for Israel Studies, Statistical Yearbook of Jerusalem 1994/1995, No.13, Jerusalem, 1996.

13. PASSIA, Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs, Jerusalem, 1992.

14. PCBS, The Established Census 1994, Final Results, Ramallah, West Bank, August, 1995.

الوحدة الثانية

القدس في العصور القديمة

إعداد

د. هاني ابو الرب

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

أهلاً بك، عزيزي الدارس، في الوحدة الثانية من مقرر تاريخ القدس وعنوانها "القدس في العصور القديمة"، التي تتحدث عن استقرار الإنسان، ونشأة الحضارات الأولى على أرض فلسطين وحتى نهاية العهد البيزنطي، حيث تتناول الحضارات الأولى التي نشأت على أرض القدس في عصور ما قبل التاريخ قبل بناء المدينة وأهمها الحضارة الكبارية والنطوفية، وما خلفته لنا هذه الحضارات من آثار وشواهد تدل على أن هذه البلاد كانت مأهولة منذ أقدم العصور، ثم نعرض لك الحضارات التي قامت في القدس في العصور التي سبقت الفتح الإسلامي للمدينة، ويأتي في مقدمتها الحضارة الكنعانية التي يعود لها الفضل في بناء المدينة وتسميتها، وقد ربطتها صلات قوية بحضارات اليونان ومصر وما بين النهرين. ثم تدرس الاحتلالات التي تعاقبت على المدينة؛ كالاحتلال اليهودي، والآشوري، والكلداني، والفارسي، واليوناني، والروماني، والبيزنطي، وما تركته من تخريب ودمار، ومحاولة طمس هوية المدينة العربية، والثورات التي قام بها اليهود في العهدين اليوناني والروماني، والتي انتهت بطرد اليهود من المدينة. وتجدر الإشارة، عزيزي الدارس، إلى أن الوجود العربي في القدس لم ينقطع طوال تلك الحقب، وحافظ أهلها على عروبة مدينتهم، باحتفاظهم بطابعهم الثقافي حتى مجيء الفتح الإسلامي الذي أكد عروبة المدينة أرضاً، وإنساناً، وسيادةً سياسية، وليس أدل على ذلك من احتفاظ المدينة بأسمائها الكنعانية والإسلامية بالرغم من كل المحاولات التي جرت لطمسها.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك، عزيزي الدارس، بعد دراستك هذه الوحدة أن تكون قادراً على أن:

1- تعرف الحضارات التي قامت على أرض القدس في العصور الحجرية.

2- تحدد تاريخ بناء المدينة وتعرف الشعوب التي استقرت فيها، وعلى رأسها الكنعانيون بناة المدينة.

3- تتتبع الدول التي حكمت مدينة القدس أو غزتها حتى نهاية العهد البيزنطي.

4- تلم بالثورات التي قام بها اليهود في المدينة ضد الحكم الروماني والبيزنطي.

5- تتحقق من الهوية العربية للمدينة من خلال أسمائها ودلالتها.

3.1 أقسام الوحدة

تنقسم هذه الوحدة إلى ستة أقسام رئيسة ترتبط بمجملها بقائمة الأهداف سابقة الذكر، وهذه الأقسام هي:

1. القدس في العصور الحجرية (عصور ما قبل التاريخ): 050000-3300 ق. م.

2. القدس في العصور المعدنية (التاريخية): 3300-333 ق.م.

أ- القدس في العصور البرونزية: 3300-1200 ق. م.

ب- القدس في العصور الحديدية: 1200-333 ق. م.

3. القدس تحت الحكم اليوناني: 333-63 ق. م.

4. القدس تحت الحكم الروماني: 63 ق.م – 324م.

5. القدس تحت الحكم البيزنطي: 324 م -638م.

6. أسماء المدينة.

4.1 القراءات المساعدة

حاول، عزيزي الدارس، الاستفادة ما أمكن من القراءات المساعدة الآتية؛ لارتباطها المباشر بموضوع الوحدة، والتي تمكنك من استيعاب ما فيها من معلومات بشكل أفضل، وهي:

1. الأحمد، سامي سعيد، فلسطين حتى التحرير العربي، دار الشؤون الثقافية (بغداد: 1998).
2. أولبريت، وليم، آثار فلسطين، ترجمة زكي إسكندر، دار الاسوار (عكا: 1988).
3. تومبسون، توماس، وآخرون القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ترجمة فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: 2003م).
4. الحديدي، عدنان و إبراهيم، معاوية، تاريخ الشرق الأدنى القديم، منشورات جامعة القدس المفتوحة (عمان: 2007م).
5. سوسة، أحمد، أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل في النشر والتوزيع (إربد: 2003م).
6. أبو غربية، عز الدين، فلسطين تاريخها وحضارتها، منشورات اتحاد المؤرخين العرب (بغداد: 1981م).
7. الكفافي، زيدان وآخرون، القدس عبر العصور، منشورات جامعة اليرموك (إربد: 2001م).
8. الماجدي، خزعل، تاريخ القدس منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الروماني، دار الفارس، (عمان: 2005م).
9. الموسوعة الفلسطينية، القسم الخاص، م2 (بيروت: 1990م).
10. نعناعة، محمود، تاريخ اليهود، دار الفكر للطباعة والنشر (عمان: 2001م).

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الدارس، هيئ لنفسك الجو الدراسي الملائم، واقرأ الوحدة قراءة متأنية، ثم استعن بالقراءات المساعدة لتحقيق أهداف الوحدة والإجابة عن أسئلة التقويم الذاتي الواردة فيها.

2. القدس في العصور الحجرية (عصور ما قبل التاريخ).

اصطلح الباحثون في علم الآثار والتاريخ على تسمية الحقبة التي سبقت اختراع الإنسان للكتابة في حدود سنة 3200 ق.م عصور ما قبل التاريخ (التدوين). وأطلقوا عليها اسم العصر الحجري؛ لأن الإنسان فيها صنع أدواته وأسلحته من الحجارة. وهي تمتد مدة طويلة قدرها علماء الآثار في الشرق القديم بنصف مليون سنة. وقسّموها إلى أربع مراحل زمنية هي:

- العصر الحجري القديم (500000 – 19000 ق. م)
- العصر الحجري الوسيط (19000 – 8000 ق. م)
- العصر الحجري الحديث (8000 – 5000 ق.م)
- العصر الحجري النحاسي (5000 – 3300 ق.م)

(الحديدي، 2007، ص:31)

1.2 القدس في العصر الحجري القديم (500000 – 19000ق.م)

تعتمد دراسة حقبة ما قبل التاريخ على البقايا الأثرية التي اكتشفت في كهوف فلسطين وتلالها. وتتألف هذه الآثار من أدوات حجرية، وخشبية، وعظمية، وأسلحة من قطع الصوان، صنعها الإنسان البدائي لاستخدامها كفؤوس أو رؤوس حراب وأسهم تساعده على صيد الحيوانات، أو الدفاع عن النفس، أو قطع الأشجار وحفر الأرض.

كان إنسان هذه المرحلة منتصب القامة، متوسط الطول، وقد عثر على هيكل عظمي لإنسان منتصب القامة في موقع العبيدية قرب بيت لحم. ومن أبرز آثار العصر الحجري القديم التي اكتشفت في فلسطين عامة ومنطقة القدس خاصة فؤوس حجرية، ومثاقب يدوية صنعها الإنسان الفلسطيني القديم، وقد عثر عليها في مواقع الكرمل، والعبيدية، والقدس. كما عثر في كهف العراق الأحمر في جبال القدس الشرقية على رؤوس سهام، ومخارز، ونصال طويلة.

وكان إنسان هذه المرحلة متنقلاً، وجامعاً للغذاء الضروري لإبقائه على قيد الحياة، ويعيش في الكهوف مثل: كهف جبل الكرمل. (الماجدي، 2005، ص: 20-14. إبراهيم، معاوية، فلسطين من اقدم العصور، الموسوعة الفلسطينية، م2، ص:22)

2.2 القدس في العصر الحجري الوسيط (19000 – 8000 ق.م)

ـثل هذه المرحلة في فلسطين والقدس المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في مغارة كبارة في لطرف الغربي لجبال الكرمل. والتي لم تقتصر على منطقة الكرمل بل امتدت لتشمل كل رجاء فلسطين. وفيها صنع الإنسان أدوات حجرية دقيقة إضافة إلى الأدوات التقليدية. وفي ـقدمتها الأدوات الزراعية البازلتية: كالأجران. والمدقات. والرحى التي كانت تستخدم لتخزين لحبوب وجرشها. وفيها أيضا لوحظ خروج الإنسان من الكهوف إلى الوديان وبناؤه دائرية لشكل. ذات جدران وأرضية من الطين والحجر. ومسقوفة بالجلود والأغصان. غير أن استقراره بها لم يكن دائماً. وفيها انتقل الإنسان من جامع للغذاء إلى منتج له: فظهر ما يعرف قرى الصيادين. وقد اعتمد فيها الإنسان على صيد الحيوانات البرية كالحصان والإبل. وحاول ستئناس بعضها: كالكلاب. والماشية. كما اتجه نحو صيد الأسماك. واستعمال الحبوب التي جمعها كوجبة في غذائه اليومي. وقد استخدم الإنسان الفلسطيني في أواخر هذه المرحلة دوات حجرية أكثر تطوراً. اتخذت أشكالاً هندسية مثل: المثلث. والمعين. التي ثبتت على قضبان شبية أو عظمية. استخدمها في صيد الطيور والأسماك. وظهرت فيها أدوات جديدة أهمها لناجل الصوانية لقطع النباتات وحصد القمح والشعير البريّن. (الماجدي. 2005. ص: 22. إبراهيم. 1999. ص: 28).

وتمثل هذه المرحلة أيضاً الحضارة النطوفية. نسبة إلى وادي النطوف شمال ـربي القدس. حيث اكتُشف في مغارة شقبة الواقعة في هذا الوادي آثار متميزة للإنسان لفلسطيني. التي تُعدُّ استمراراً للحضارة الكبارية وتطوراً نوعياً لها. وقد انطلقت هذه لحضارة من جبال القدس. وعمت فلسطين والشام كلها. وفيها استخدم الإنسان أدوات ذات شكال هندسية متعددة: مثلثة. ومربعة. وهلالية. ورؤوس سهام. وأدوات عظمية. ومخارز. وإبر. بعض العظام المزينة بإشارات ورموز وصور لرؤوس حيوانات. وبعض الأدوات الزراعية: كالمناجل. الأجران. وبعض تلك المناجل ذات مقابض عظمية. وعليها صورة غزال. كما نحت رأس إنسان لى لوحة حجرية. فضلاً عن أدوات زينة. وحلق. وخرز. وأطواق. كما اكتشفت مقابر كبيرة بجوار

القرى مزودة بأشياء عديدة تدل على قداسة الحياة الأخرى. هذا إضافة إلى تماثيل حيوانية وبشرية، ومناضد حجرية تشير إلى عبادة الأحجار الكبيرة (الأنصاب). واتّجه الإنسان في منطقة القدس في هذه الحضارة إلى تدجين الحيوانات البرية، مما يشير إلى ميله إلى الاستقرار وهجران حياة الترحال والصيد. (الماجدي، 2005، ص: 27-23)

وبينت الاكتشافات الأثرية في هذا العصر التطور الكبير في أسلوب دفن الموتى، ووضع الأدوات والأسلحة والحلي مع الميت، وهذا يشير إلى نشوء شعائر ومعتقدات دينية تؤمن بفكرة الحياة بعد الموت. (الحديدي، 2007، ص: 322-323 إبراهيم.. معاوية، فلسطين من اقدم العصور، الموسوعة الفلسطينية، م2، ص:22)

تدريب (1)

اذكر أسماء الحضارات التي قامت في منطقة القدس في العصر الحجري الوسيط.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. اذكر أهم المخلفات الأثرية التي تعود إلى العصر الحجري القديم في منطقة القدس؟
2. اتّجه الإنسان في الحضارة النطوفية إلى الاستقرار، وترك حياة الترحال والصيّد. وضح ذلك.

3.2 القدس في العصر الحجري الحديث (8000-5000 ق.م)

وفيه اكتشف الإنسان الزراعة، وتحوّل إلى منتج للغذاء بدلاً من جامع له، وكانت أبرز مزروعاته الأولى الحنطة والشعير التي انتشرت زراعتها في كل فلسطين، وبخاصة في منطقتي أريحا وواد الطاحون في جبال القدس، وفي هذه الحقبة بُنيت مدينة أريحا بأسوارها وبيوتها المؤلفة من غرفتين أو أكثر، ويلاحظ تطور مستوى السكن، حيث استبدلت بالبيوت المستديرة بيوت

مستطيلة ذات غرفتين أو أكثر.

ولوحظ فيه تحكم الإنسان بالحيوانات الأليفة التي دجّنها، فأخذ يستفيد من لحومها وإنتاجها. ويلاحظ أيضاً تطور الحياة الاجتماعية بظهور مجتمعات القرى، وانتقال الإنسان من الأسرة إلى العائلة والقرية، وظهور العادات والقوانين، والحرف المتخصصة: كصناعة الأدوات الزراعية، والملابس، والسلال، والصناعات الحيوانية البدائية، وصناعة الفخّار، وظهور معتقدات دينية جديدة تختلف عن سابقتها تمحورت في مجملها حول مبدأ الخصب، فظهرت عبادة الآلهة الأم التي ترمز إلى الخصوبة، وعبادة الجماجم التي تشير إلى إجلال أرواح الموتى من الأجداد. (الماجدي، 2005، ص: 27-38، الحديدي، 2007، ص: 324، إبراهيم، معاوية، فلسطين من اقدم العصور، الموسوعة الفلسطينية، م2، ص: 50-35).

4.2 القدس في العصر الحجري النحاسي (5000–3300 ق.م)

يُعد هذا العصر خاتمة العصور الحجرية وفاتحة العصور المعدنية، إذ اكتشف الإنسان في أواخر هذا العصر معدن النحاس، واستخرج النحاس من موقعي وادي عربة وتل الفارعة، وعثر على أفران لصهر النحاس وعلى فؤوس ومخارز وأزاميل وهروات وأدوات زينة مصنوعة من النحاس. ومع ذلك بقيت الأدوات الحجرية والفخارية والصوانية هي الغالبة في الاستعمال، خاصة في أدوات القشط والقطع، وفي المثاقب والشفرات والفؤوس، كما وجدت أوان حجرية مصنعة من البازلت، وأخرى من الحجر العادي، هذا إضافة إلى الصناعات الفخّارية مثل الجِرار والزهريّات، كما ظهرت بعض الصناعات العاجيّة خاصة التماثيل البشرية المصنوعة من العاج، التي تعد تطوراً ملحوظاً في هذه الصناعة. أما القبور فاختلفت تبعاً لاختلاف التضاريس، فاستعملت توابيت من الصلصال في الغور، في حين استعملت الكهوف الكبيرة المحفورة في الصخر للدفن في الجبال، كما تطورت عبادة الخصب باتجاه المعبودات الذكرية إضافة إلى المعبودات الأنثوية، وظهرت دُمى تمثل الإله الذكر، وفي أواخر هذه الحقبة تكثفت الهجرات الأمورية إلى فلسطين، فأطلق عليها اسم بلاد الأموريين. (الماجدي، 2005، ص: 39-44، إبراهيم، معاوية، فلسطين من اقدم العصور، الموسوعة الفلسطينية، م2، ص: 51-50).

ويلاحظ، عزيزي الدارس، من خلال دراستنا (عصور ما قبل التاريخ في القدس) أن المدينة لم تكن قد بنيت بعد، لكن أرضها وجبالها شهدت وجوداً بشرياً منذ أقدم العصور، حيث سكنها

الإنسان المنتصب القامة في العصر الحجري القديم في جنوب القدس وشمال غرب البحر الميت. وفي كهف العراق الأحمر شمال شرقي القدس. وفي العصر الحجري الوسيط الذي تمثله الحضارة الطاحونية في جبال القدس حيث ظهرت بوادر الزراعة المنظمة. كما شهدت أرض القدس نشاطاً بشرياً في العصر الحجري ما قبل الفخّاري. ثم ظهرت مواقع أثرية قرب القدس في العصر الفخاري تحمل هذا الاكتشاف المهم.

وكان لموقع القدس في قلب فلسطين دور في جعلها مركزاً لصهر المراحل الحضارية القديمة وانبثاقها. فهي تُعدُّ إحدى المستوطنات الحجرية ثم الزراعية القديمة. وتشهد بذلك الآثار التي عُثر عليها في الجبال والوديان المحيطة بالقدس. والتي تعود إلى حقبة ما قبل التاريخ. (الماجدي. 2005. ص: 51-45)

تدريب (2)

عدد أبرز المظاهر الحضارية للعصر الحجري الحديث في منطقة القدس.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

لماذا سمّي العصر الحجري النحاسي بهذا الاسم؟

3. القدس في العصور المعدنية (العصور التاريخية) (3300 – 332 ق.م)

يقسم علماء الآثار والتاريخ هذه الحقبة إلى قسمين هما:

1.3 القدس في العصر البرونزي

هو الذي استعمل الإنسان فيه أدوات البرونز. وهو عبارة عن سبيكة من النحاس الممزوج بالقصدير (3300 – 1200 ق.م). وقسموا هذا العصر إلى ثلاث مراحل هي: (الماجدي، 2005، ص: 59)

1. العصر البرونزي القديم (3300 – 2000 ق.م).
2. العصر البرونزي الوسيط (2000 – 1550 ق.م).
3. العصر البرونزي الحديث (1550 – 1200 ق.م).

1.1.3 القدس في العصر البرونزي القديم (القدس الأمورية) (3300-2000 ق.م)

دخلت القبائل الأمورية، وهي حسب ما ورد في التوراة إحدى القبائل الكنعانية، إلى فلسطين في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، وأسست فيها ممالك ومدنا من بينها مدينة القدس التي تشير الآثار المكتشفة في الطبقة العشرين فيها إلى أنها بنيت مع بداية العصر البرونزي القديم في حدود 3200 ق.م، أي قبل مجيء اليبوسيين وبنائهم للمدينة كما هو شائع. وهذا يشير إلى أن القدس الأولى كانت على الأرجح ذات هوية أمورية. ويستدلون على ذلك بأن الجبل الذي بنيت عليه قبة الصخرة والأقصى يسمّى تل موريا. وتؤكد ذلك الوثائق البرونزية التي أطلقت على فلسطين اسم (عامو). ويعتقد بعض الباحثين أنه يشير إلى الأموريين. وكذلك أشارت ألواح أوغاريت إلى أن فلسطين في العصر البرونزي المبكر كانت تسمى موريا. كما بنى الأموريون مدينة تل مرسيم جنوب غرب القدس. والأموريون هم إحدى القبائل الكنعانية كما ورد في التوراة من أن أبناء كنعان كانوا أحد عشر ولداً منهم (اليبوسي والأموري). (الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح العاشر ص: 16. العسلي، مكانة القدس عربياً وإسلامياً. الموسوعة الفلسطينية م2، ص: 797-798. الماجدي، 2005، ص: 65، 70-71)

وتشير الوثائق المصرية إلى أن المدينة دمرت على يد الفرعون بيبي من الأسرة السادسة حوالي سنة (2340 ق.م) بعد أن تمرّد أهلها عليه. وقد ترك الأموريون كثيراً من الآثار والنقوش التي تمكّن الدارسين من تكوين صورة واقعية عن إنجازاتهم الحضارية. حيث يستطيع الدارس من خلالها معرفة أخبارهم وأعمالهم. فهي تشير إلى أنهم كانوا يتكلمون اللغة العربية بإحدى لهجاتها القديمة. وأن دياناتهم مثل سائر الديانات في الجزيرة العربية وبادية الشام من ناحية تعدد الآلهة وتقديس مظاهر الطبيعة فكان (أمورو) هو إله الحرب عندهم. وحدد هو إله الصواعق والأمطار. ثم أصبح في مرحلة لاحقة بعل الكبير الذي عرفه العرب باسم هُبل. وكان الإله الرئيس إله النار (رَشَف). وإله الخصب (داكان). وجعلوا للإله (أمورو) زوجة تُسمّى عشتار. التي ترمز إلى الحب والأمومة. (الحديدي، 2007م، ص: 336 - 337)

2.1.3 العصر البرونزي الوسيط (القدس الكنعانية)(2000-1550 ق.م)

بعد تدمير القدس الأمورية على يد الفراعنة بنيت ثانية على مرتفع أوفل (أي جبل الظهور) على يد الكنعانيين. وكانت محاطة بسور من الطين والحجر. يبلغ سمكه مترين تقريباً. وأمامه خندق بعرض أحد عشر متراً. وله بوابة في الجهة الشمالية تؤدي عبر طرق ملتوية إلى عين جيحون في الجهة الجنوبية من السور. ويبدو أن السبب في ذلك رغبة أهل المدينة في إبقاء العين بعيدة عن البوابة لأغراض دفاعية. وقد أرجعت كاثلين كُينون تاريخ بناء هذا السور إلى سنة (1800 ق.م) تقريباً. وكان من معالم المدينة آنذاك المقبرة العالية على المنحدر الغربي لجبل الزيتون. كما عثر على عدد من الآثار الفخّارية في مدافن مدينة القدس ومقابرها تعود إلى العصر البرونزي الوسيط. فيها جرار. وأباريق. وكؤوس ذات أشكال حيوانية. إضافة إلى بعض الجعران التي تعود إلى زمن الاحتلال المصري للمدينة. وكان الكنعانيون يقدّسون الصخرة التي بنيت عليها قبة الصخرة فيما بعد. ويقدمون لها القرابين والأضاحي.

ومن آلهة الكنعانيين المشهورة الإله (إيل). وابنه الإله (سالم أو شالم) وهو إله

الغروب عندهم، ويرمز إلى التمام والكمال والسلام عند نهاية النهار حيث تغيب الشمس. ومن أبرز ملوك القدس الكنعانيين وأمرائهم: ملكي صادق الذي ذكرته التوراة، وسالم وسِرْخَتّو وقد ذكرا في نصوص اللعنة المصرية وأوغريت. (الماجدي، 2005، ص: 85-70، 106-93، العسلي، مكانة القدس عربياً وإسلامياً، الموسوعة الفلسطينية ص: 798-797، الزعبي، 1996، م2 ص: 80-74).

تدريب (3)

لماذا سُميّ تل موريا في القدس بهذا الاسم؟

أسئلة التقويم الذاتي (3)

اذكر أبرز أسماء الآلهة الكنعانية في القدس في العصر البرونزي الوسيط.

3.1.3 العصر البرونزي الحديث(القدس اليبوسية) (1550-1200 ق.م)

شهد العصر البرونزي الحديث تغيرات جذرية في مدينة القدس من جميع النواحي: المناخية، والسياسية، والديموغرافية، حيث شهدت فلسطين جفافاً شديداً ونقصاً حاداً في المياه خلال فصل الصيف، ما أدى إلى جفاف الآبار والينابيع، وتراجع الإنتاج الزراعي، وهذا أدى بدوره إلى تراجع الاستقرار البشري في مدينة القدس في العصر البرونزي الحديث، وتلا ذلك الحرب بين المصريين والحثيين على أرض الشام وفلسطين، واحتلال المصريين لمدن فلسطين، ومن بينها مدينة القدس، الأمر الذي أدى إلى خراب كثير من المدن وما سلم منها كان صغير الحجم وغير محصن. وزاد حالها سوءاً بسبب مهاجمة البدو الرّحل لتلك المدن والمقرّات الحضريّة، ودخول جماعات جديدة إلى فلسطين تُعرف بالحوريين الذين تحالفوا مع المصريين. فصارت المدن الكنعانية، بما فيها القدس، مزيجاً من الكنعانيين والحوريين والبدو الرعاة. ويبدو أن مدينة القدس هُجرت في أعقاب الاحتلال المصري، فأعاد الكنعانيون اليبوسيّون ومعهم الحوريّون بناء المدينة من جديد، وأعادوا بناء سورها الذي تهدّم، ووسّعوا المدينة باتجاه الغرب، وأقاموا حصناً جديداً على جبل صهيون.

وقد ورد ذكر مدينة القدس في رسائل (تل العمارنة) بمصر، التي تمثل جزءاً من أرشيف (أمِنْحوتب الثالث وابنه أمِنْحوتب الرابع أخناتون)، وهي موجهة من أمراء كنعان في نابلس وأورشليم إلى حكام مصر يطلبون فيها مساعدتهم وحمايتهم من الهجمات الخارجية لجماعة تسمى (العابيرو)، فأرسل أخناتون حملة وصلت إلى القدس، ولكنها عجزت عن قمع المتمرّدين. (الماجدي، 2005، ص: 122-107، إبراهيم، 1990، ص: 103-102).

وبذلك نلاحظ، عزيزي الدارس، أن القدس بنيت لأول مرة على يد الأموريين في بداية العصر البرونزي القديم، وأنها كانت مأهولة بالسكان، وأن السكن فيها لم ينقطع طوال العصور البرونزية، لكنها كانت عبارة عن قرية صغيرة كما يستدل من الآثار التي وجدت في كهوفها ومقابرها، وتدل بعض تلك الآثار على وجود صلات تجارية للمدينة مع اليونان وقبرص ومصر، ووجدت فيها بعض الآثار المصرية كالجعران والأختام التي ربما تعود إلى فترة الاحتلال المصري لها، وقد تعرضت المدينة للخراب أكثر من مرة، وأعاد الكنعانيّون اليبوسيّون بناءها ورمّوا سورها. (الكفافي، وآخرون، 2001، ص: -23 26، العسلي، مكانة القدس عربياً وإسلامياً،الموسوعة الفلسطينية 1990، ص: 797).

ولُثبت التنقيبات الأثرية التي جرت في موقع القدس أن المدينة بنيت على التل الجنوبي الشرقي قرب نبع جيحون، ففي العصر البرونزي القديم منذ سنة 3000 ق.م تقريباً أقام عدد قليل من الناس على التل في دور متواضعة، وكان لهم مصلى صغير، وتركوا فيها بعض القبور، وخلال العصر البرونزي الوسيط قامت للمرة الأولى مدينة مُسوَّرة على مقربة من ذلك النبع. (تومسون وآخرون، القدس: أورشليم في العصور القديمة، ص: 110-109).

تدريب (4)

بيّن تأثيرات الجفاف على القدس الكنعانية في العصر البرونزي الحديث.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

- ما الدلائل على وجود صلات تجارية قوية بين القدس والدول المجاورة في العصر البرونزي الحديث؟

- أين يقع نبع جيحون؟ وما أهميته بالنسبة لمدينة القدس؟

2.3 القدس في العصر الحديدي (1200-333 ق.م)

1.2.3 العصر الحديدي الأول (القدس اليبوسية) (1200-1000 ق.م)

شهد هذا العصر في فلسطين تحولات مناخية وعسكرية وسياسية واجتماعية. فقد شهد جفافا شديدا انخفضت فيه نسبة الأمطار، وارتفعت فيه درجات الحرارة، الأمر الذي أدى إلى نقص في الغذاء، وخراب بعض المدن الكنعانية مثل حاصور. وتقلص حجم بعضها الآخر مثل بئر السبع. ورافق ذلك استيلاء القبائل الفلسطينية على مدن الساحل الكنعانية الممتدة من غزة إلى يافا. وتسلل القبائل العبرانية إلى المناطق الداخلية ولا سيما الجبلية من بلاد كنعان. فاختلط الفلسطينيون في التراث الكنعاني، واندمجوا فيه. وحاولت القبائل العبرانية انتقاء ما يروق لها من العقائد الكنعانية في سبيل تكوين هوية خاصة بها دون جدوى. أما شمال فلسطين فقد حافظ على هويته الكنعانية، وشهد إنتاجا زراعيا وفيرا. وظل جنوب فلسطين أموريا. وشهدت مدنه وقراه نشاطا تجاريا وشبه زراعي. كما تراجع دور المصريين في السيطرة على فلسطين. (الماجدي، 2005، ص: 148، 167-166، إبراهيم، 1990، ص: 113-111، 120).

قسم العبرانيون الأراضي الكنعانية التي استولوا عليها في المدة ما بين (1200-1020 ق.م) على قبائلهم الاثنتي عشرة، وأدار شؤون تلك القبائل ما عرف في التوراة باسم القضاة. وهم الحكام الذين قادوا قبائلهم في نزاعها مع أعدائهم الجاورين وفي مقدمتهم الفلسطينيون. ويبدو أنهم تأثروا بعد ذلك بالممالك الأدومية القائمة حولهم، فتحالفوا فيما بينهم، وأسسوا مملكة واحدة، ونصبوا شاؤل ملكا عليهم في حدود عام 1020 ق.م. وقد حاول شاؤل فرض السلطة المركزية على القبائل العبرانية، وضمها تحت لوائه، ومحاربة أعدائه من الفلسطينيين. وقد نجح في البداية في حربه معهم، وقتل ملكهم جالوت لكنه سرعان ما هزم أمامهم في معركة جلبوع -جلبون حاليا- هزيمة منكرة، وانتحر على أثر إصابته فيها بجراح بالغة، وخلفه داود على عرش المملكة. (الدجاني، 1983، ص: 104-101).

وتشير الدراسات الأثرية إلى قلة الآثار المكتشفة في مدينة القدس في العصر الحديدي الأول، إذ اقتصر ما تم كشفه على بعض الفخار والدلائل الخزفية، وأبرزها جرة فخارية وضعت فوق

إحدى المصاطب. ولا يصلح المنحدر الذي بنيت عليه تلك المصاطب لبناء بلدة عليه. ويعتقد بأنه كان حصنا بناه المصريون في أثناء سيطرتهم على فلسطين لحماية الطرق العسكرية والتجارية المؤدية إلى بيسان والكرك. ووضعوا فيه حامية من المرتزقة اليبوسيين. وعندما انسحب المصريون استمر أفراد تلك الحامية في الإقامة فيه. وتدل قلة الآثار من العصر الحديدي الأول على فقر المرحلة التاريخية. وعلى التراجع الذي أصاب المدينة بسبب الظروف المناخية التي مرت بها البلاد. وهي تدل في الوقت نفسه على الاستقرار الكنعاني فيها. وعلى عدم دخول قبائل جديدة إليها. وهذا لا يتناسب مع الأهمية التي تعطيها الرواية التوراتية عن تلك الحقبة. ويستدل الدكتور محمود أبو طالب على ضعف مدينة القدس في أواخر العصر الحديدي الأول بتمكن داود من احتلالها بعدد قليل من الرجال. دون مقاومة تذكر. (الماجدي. 2005. ص: 168. تومسون وآخرون. القدس: أورشليم في العصور القديمة. ص: 113-112. أبو طالب. 2006. ص: 203-202).

اذكر أبرز المكتشفات الأثرية التي تعود إلى العصر الحديدي الأول في القدس. وبيّن دلالتها.

- وضّح أسباب خراب بعض المدن أو تقلصها في العصر الحديدي الأول.
- بيّن آثار الجفاف الذي ساد في العصر الحديدي الأول على مدينة القدس ومدن فلسطين الأخرى.

2.2.3 العصر الحديدي الثاني (القدس تحت الاحتلال اليهودي) (1000-539 ق.م)

نجح داود بعد توليه عرش المملكة (1004-963 ق.م) في توسيع حدودها على حساب الدويلات الأخرى في فلسطين مثل الأدوميين، والفلسطينيين. وتزعم التوراة أن نفوذها وصل إلى دمشق وحماة. كما نجح داود في الاستيلاء على القدس اليبوسية، وجعلها عاصمة لمملكته، وبنى فيها قصرا شيده له معماريون كنعانيون من مدينة صور، أرسلهم له ملكها حيرام. واشتهر داود أيضا بالخطابة وقول الشعر، وينسب إليه سفر المزامير في التوراة. (الدجاني، 1983، ص: 104-105).

وكانت القدس مدينة يبوسية كنعانية سكانها من اليبوسيين، ولم يكن بها أحد من اليهود قبل احتلال داود لها، ويؤكد ذلك ما جاء في حوار بين عبراني من جبل الخليل وغلامه، إذ قال الغلام لسيّده عندما أدركه الغروب على مقربة من القدس: (تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه، فقال له سيّده: لا نميل إلى مدينة غريبة، ليس أحد من بني إسرائيل هنا). كما أنها لم تتحول إلى مدينة يهودية خالصة بعد احتلال داود لها، فقد بقي أهلها اليبوسيون فيها وفقا لما ورد في مواضع عدة من سفر القضاة الذي يذكر بأن بني بنيامين لم يتمكنوا من طرد أهلها منها (فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في القدس). وأن أهلها الكنعانيين قبلوا بدفع الجزية مقابل بقائهم في أرضهم (فعزم الكنعانيون على السكن في تلك الأرض، وكان لما تشدد إسرائيل أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية). وتشير الدراسات التاريخية الحديثة والأسفار التوراتية إلى أن بني إسرائيل كانوا قبائل بدوية بلا حضارة، فاقتبسوا اللغة والدين وأساليب المعيشة الكنعانية، فقد ورد في سفر القضاة أن بني إسرائيل الذين سكنوا وسط الكنعانيين (اتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم، ونسوا الرب إلههم، وعبدوا البعليم). وبذلك نلاحظ، عزيزي الدارس، أن القدس بقيت عربية كنعانية بسكانها وثقافتها حتى بعد احتلال داود لها، وهذا يفند ادعاءاتهم الحالية التي مفادها: أن القدس مدينة داود وعاصمتهم الأبدية. (الكتاب المقدس، سفر القضاة، الإصحاح الأول ص: 281، 380، والإصحاح التاسع عشر ص: 312، الدجاني، 1983، ص:105، الزعبي، 1996، ص: 81-80، العسلي، مكانة القدس عربيا وإسلامياً، الموسوعة الفلسطينية ص: 799-798).

وخلف سليمان أباه داود على عرش المملكة. وامتد حكمه ما يقرب من 30 سنة (963-933 ق.م). وتشير المراجع التاريخية إلى أنه اشتهر بإنجازاته التجارية والصناعية والعمرانية. فاستخرج المعادن. واستخدمها في صناعة الأسلحة والأدوات المنزلية. وبنى لنفسه قصرا. وبنى هيكلا في مدينة القدس. غير أن التنقيبات الأثرية لم تثبت شيئا من ذلك. ويبدو أن مملكته انكمشت في آخر عهده. وأن الناس ضاقوا بنظام السخرة الذي فرضه عليهم. الأمر الذي أدى إلى انقسام المملكة في عهد خلفه رحبعام. الذي رفضت عشر من القبائل الإسرائيلية الاعتراف به ملكا عليها؛ بسبب صغر سنه وتهوره. وشكّلت مملكة إسرائيل وعاصمتها شخيم أو السامرة.

وشكلت القبيلتان اللتان بقيتا معه مملكة يهوذا وعاصمتها القدس. واشتد الخلاف بين المملكتين. ونشبت بينهما حروب عدة. وحفل تاريخهما بالثورات. وتخلل ذلك موجتان من الغزو الأشوري والكلداني. أسفرت الأولى منهما. بقيادة سنحاريب. عن تدمير معظم بلدان مملكة يهوذا باستثناء القدس التي اكتفى بفرض الجزية على أهلها. وأسفرت الثانية. بقيادة نبوخذنصر ملك بابل. عن القضاء على مملكة يهوذا. وتدمير القدس. وأخذ أهلها سبايا إلى بابل في العراق سنة 586 ق.م. وظلت القدس تحت الحكم البابلي قرابة نصف قرن. إلى أن سقطت بيد الفرس سنة 538م. (الدجاني. 1983. ص: 105. إبراهيم. 1990. ص: 123-120).

ولا تثبت الدراسات المستندة إلى التنقيبات الأثرية شيئا من تلك الأخبار التي وردت في التوراة عن المدينة. حيث تصفها بأنها كانت مدينة كبيرة وجميلة. ذات قصور وتحصينات ومعبد رائع. إذ يؤكد تومبسون بأنها كانت مجرد بلدة صغيرة لعبت دور سوق محلي للمنطقة. في حين ترى شتاينر أن المدينة لم تكن ملكية كبيرة. كما أنها لم تكن قرية صغيرة. بل كانت مركزا إداريا يتمتع ببعض الأهمية. وأنها تحولت في نهاية هذا العصر (الحديدي الثاني) إلى مدينة سكنية كبيرة يقدر عدد سكانها بعشرة آلاف نسمة. لا أثر فيها للأبنية الإدارية التي حلت محلها بيوت النخبة من الحرفيين والتجار. ويبدو أن نجاة المدينة من الغزو الأشوري الذي دمر معظم بلدات مملكة يهوذا قد ساهم في اتساع المدينة. وازدياد عدد سكانها. بسبب الأعداد الكبيرة من اللاجئين الذين جاؤوا إليها من البلدات المدمرة. وتركزت فيها القوة السياسية والاقتصادية للبلاد. وزادت أهميتها الدينية.

ولم يعثر منقبو الآثار الإسرائيليون في حفرياتهم في المدينة على أيٍّ دلائل تشير إلى وجود بقايا ما يسمى بالهيكل أو معبد سليمان، وكذلك قصره، وهو ما أكده أيضا جورج أرتست الذي يقول: ليس ثمة اكتشاف واحد في القدس يمكن نسبته بأيٍّ درجة من التأكيد إلى عهدي داود وسليمان، وأن ما تم اكتشافه في المدينة يعود إلى الفترة الكنعانية، وأثاره تشبه الآثار في المدن الكنعانية الأخرى في فلسطين مثل: تل مجدو، وتل جازر. (تومسون واخرون، القدس: أورشليم في العصور القديمة، ص: 121-113، أبو طالب، 2006، ص: 210، الكفافي واخرون، 2001، ص: 29-28).

تدريب (6)

هل دلّت الحفريات الإسرائيلية في القدس على آثار لوجود الهيكل أو قصر سليمان فيها؟

أسئلة التقويم الذاتي (6)

بماذا تستدل على ازدهار القدس وتطورها في أوائل العصر الحديدي الثاني؟

3.2.3 العصر الحديدي الثالث (539-333 ق.م)

(القدس تحت الاحتلال الفارسي الأول)

قضت الدولة الأخمينية الفارسية (539 – 333 ق.م) على الدولة الكلدانية واحتلت بابل، وكان موقف اليهود فيها مؤيداً للفرس، فعطف الملك كورش على اليهود المسبيّن في بابل، وأمر بإعادتهم إلى القدس، وعيّن عليها حاكماً جديداً اسمه (شيش بصّر)، وأمره بأخذ ما سُبي من القدس وهيكلها وإعادتها إلى مكانها، ومما يجدر ذكره أن بعض المسبيين الذين أعيدوا إلى القدس كانوا من غير اليهود، وكانت لغة الجميع الآرامية. (الماجدي، 2005، 323-230، نعناعة، 2001، ص: 330).

وصارت فلسطين والقدس جزءاً من ولاية فارسية اسمها عبر النهر (أي نهر الفرات). ونشير الرواية اليهودية إلى أن أوّل ما عمله العائدون من السبي هو إعادة بناء الهيكل. لكنّ السامريين والكنعانيين كتبوا إلى ملك فارس أحشوريش يقولون: إن اليهود يُعيدون بناء المدينة وسورها وليس بناء الهيكل. الأمر الذي يضعف الرواية اليهودية. وقاومت القبائل العربية الموجودة في المنطقة إعادة البناء. فأمر ملوك الفرس اليهود بوقفه. ثم استؤنف البناء إلى أن اكتمل في عهد زعيم اليهود زروبابل. زمن الملك الفارسي دارا الأول سنة 515 ق.م. وقد زار المؤرخ اليوناني هيرودتس بلاد الشام بعد عودة السبي. لكنه لم يشر من قريب أو بعيد إلى عودة اليهود أو بناء الهيكل. كما أعيد بناء سور القدس سنة 444 ق.م. وبعد ذلك لا نعثر على أخبار مفصلة عن القدس. وتحولت القدس إلى مدينة دينية يسيطر عليها الصدوقيون تحت الحكم الفارسي. وأصبح شُغل أهلها محصوراً في رضى الوالي الفارسي عنهم. ودرء مخاطر جارتهم أدوم. واستمر النمو البطيء للمدينة في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد حتى ظهور الإسكندر وسيطرته على فلسطين سنة 333 ق.م. ولم يُبْن كنيس آخر غير الهيكل إلا في القرن الثاني قبل الميلاد. (الماجدي. 2005. ص: 238-233. العارف. 2007. ص: 69. نعناعة. 2001. ص 331. 391).

تدريب (7)

متى عاد اليهود إلى القدس من السبي؟ ومن الذي ساعدهم على ذلك؟

أسئلة التقويم الذاتي (7)

ما موقف القبائل العربية الكنعانية والسامرة في القدس وفلسطين من إعادة بناء الهيكل في أواسط العصر الحديدي الثالث؟

4. القدس تحت الحكم اليوناني

1.4 القدس في عهد الإسكندر المقدوني (333 – 323 ق.م)

احتل الإسكندر المقدونيّ غزة بعد حصار دام شهرين. ثم توجّه إلى القدس. فلما سمع اليهود باقترابه من المدينة خرجوا جميعهم لاستقباله في ظاهرها. فالتقى الإسكندر بشيوخهم وكهنتهم على جبل سكوبس شمال مدينة القدس. فرحبوا به طالبين عفوه. ويقال أنه التقى بهم في مكان يسمى صفا (بيت صفافا) جنوب بيت المقدس. وفيها يتمكن القادم من رؤية القدس والهيكل. (الماجدي. 2005. ص: 262. العارف. 2007. ص: 83. نعناعة. 2001. ص: 338).

فمنح الإسكندر اليهود العفو. وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية كاملة. وأن يحكموا أنفسهم وفق أنظمتهم وعاداتهم الخاصة. وأعفاهم من دفع الجزية مرّة كل سبع سنين. ويبدو أن تسامحه معهم جاء مكافأةً لهم على عدم مقاومتهم له كما فعلت غزة وصور. وقد سكّوا في عهده نقوداً نقشوا على أحد وجهيها: (أورشليم المقدسة. خلاص صهيون. عصا هارون. إناء على شكل كوب دون مقبض). ونقشوا على الوجه الآخر باللغة العبرية. (شاقل إسرائيل. نصف شاقل. ربع شاقل). (عارف. 2007. ص: 86-85. الاحمد. 1988. ص: 60. نعناعة. 2001. ص: 344-338).

2.4 القدس في عهد البطالمة (323 – 198 ق.م)

خضعت القدس بعد وفاة الإسكندر لحكم البطالمة قرابة مائة عام (198-301 ق.م). وقد قسم البطالمة فلسطين إلى مقاطعات قسمت بدورها إلى وحدات أصغر. وكانت الحكومة مركزية. والإدارة المحلية من مواطني البلدة. (الأحمد. 1988. ص: 61-60). ولم يتعرض الحكم البطليمي لعقائد أهل المدينة وعاداتهم وتقاليدهم. وفي عهد بطليموس فيلادلفيوس (محب العلم) ترجمت التوراة إلى اليونانية على يد سبعين عالماً يهودياً كلفهم بهذه المهمة. وحاول البطالمة نشر الثقافة اليونانية في فلسطين بالترغيب والإقناع وبأسلوب سلمي. وأصرّ بطليموس الرابع على ذلك. ولما رفض بعض اليهود الاستجابة لمطالبه زاد عليهم الضرائب. (الدجاني. 1983. ص: 110).

ولما نشبت الحرب بين السلوقيين بقيادة أنطيخوس الثالث والبطالمة بقيادة بطليموس الخامس. وتمكن الأول من الانتصار على بطليموس الخامس عند بانياس سنة 198 ق.م. وعندما وصلت أخبار الهزيمة إلى اليهود في القدس هاجموا الحامية البطلمية فيها. ورحبوا بالجيوش السلوقية. (الأحمد. 1988. ص: 62-61).

تدريب (8)

ما هو موقف اليهود من استيلاء الإسكندر على القدس؟ وبين أثره فيهم.

أسئلة التقويم الذاتي (8)

ما هي أهم إجراءات البطالمة ضد اليهود في القدس؟

3.4 القدس في عهد السلوقيين (198 – 63 ق.م)

1.3.4 إجراءات السلوقيين

عزيزي الدارس. بعد خضوع القدس للسلوقيين أصبحت المدينة تابعة لمقاطعة السامرة. وتأثر بعض ساكنيها بالهيلينية بشكل كبير. فتركوا الختان. وتناولوا لحم الخنزير. وقدّسوا شخص الملك السلوقي. وأدخلت الآلهة اليونانية إلى العبادة اليهودية. مما أدى إلى صراع بينهم. ونشوء طبقات اجتماعية غير متجانسة. وتم بناء بعض المعابد الوثنية اليونانية في القدس حيث أقيم معبد للإله زيوس. وهذا يعني أن بعض سكان المدينة تخلّوا عن يهوديتهم وأصبحوا وثنيين. وعندما أراد أنطيخوس الرابع (Antiochus) صهر اليهود في بوتقة الحضارة الهيلينية بالقوة والإكراه. منعهم من القيام بشعائرهم الدينية كتقديم الأضاحي. والقيام بمراسيم يوم السبت. وفرض عليهم عبادة شخصه والإله زيوس. وأكل لحم الخنزير. وتدخل في تعيين الكاهن الأكبر لليهود فعينه من المؤيدين لنشر الثقافة الهيلينية. وشرع في تطبيق هذه الأوامر في القدس سنة 167 ق.م. فقامت الثورات اليهودية ضد السلوقيين ومنها:

2.3.4 الثورة المكابيّة (ثورة اليهود المكابيين)

قاد هذه الثورة الكاهن ماثياس وأولاده الخمسة، وسمّيت المكابية نسبة إلى يهوذا بن ماثياس الذي كان يلقب بالمكابي، ومعناه بالآرامية (المطرقة الثقيلة)، إذ خاض المكابيّون حرب عصابات ضد الجيوش السلوقية، ودحروها أكثر من مرة، إلى أن انتهى الأمر باتفاق السلوقيين والمكابيين على منح اليهود حرية العبادة، ودخل المكابيون القدس في يوم 25/12/165 ق.م. وصار ذلك اليوم عيداً عندهم سموه الخانوكاه (تكريس البيت). لكن محاولة المكابيين الانتقام من السلوقيين ومؤيديهم من العرب دفعت السلوقيين إلى حربهم مرة أخرى، وفي هذه المرة تمكّن السلوقيون من القضاء على يهوذا وإخوته بمساعدة قبائل عربية، وأجبر اليهود على تقديم القرابين في المعبد السلوقي، لكن المكابيين عادوا إلى الظهور مرة أخرى في أثناء الحرب بين البطالمة والسلوقيين، المنازعات الداخلية على العرش السلوقي، وأسّسوا الدولة الحشمونية (142-63 ق.م) التي قامت بمذابح ضد الفلسطينيين في غزة وأشدود ويافا، وأكرهت الكثيرين على التهود، ولم يسلم منها حتى اليهود السامرة الذين هدم المكابيون هيكلهم في جرزيم، واستمرت إلى أن هاجم أنطيخوس السابع المكابيين في القدس والمناطق التي استولوا عليها، وأجبرهم على دفع الجزية، وهدم أسوار القدس، ثم تبع ذلك محاولة الحارث الثالث ملك الأنباط الاستيلاء على القدس، فحاصرها حصاراً شديداً، مما اضطر اليهود فيها للاستنجاد بروما التي كان يربطها بالمكابيين عداوتها للسلوقيين، فأيدت الحشمونيين في حربهم، فأرسل الإمبراطور بومبي إنذاراً إلى الحارث الثالث بالانسحاب، وتقدم بومبي من دمشق، بتأييد قسم من اليهود، إلى القدس واحتلها سنة 63 ق.م، وهدم أسوارها، وأعمل السيف بمعارضيه من اليهود فيها، وصارت القدس جزءاً من الدولة الرومانية. (الأحمد، 1988، ص: 62 - 65، الكفافي وآخرون 2001، ص: 33، نعناعة، 2001، ص: 373-352).

تدريب (٩)

بيّن أسباب قيام الثورة المكابيّة في القدس؟

- تكلّم عن آثار ونتائج الثورة المكابيّة؟

- لماذا سميت الثورة المكابيّة بهذا الاسم؟

5. القدس تحت الحكم الروماني (63 – 324 ق. م)

1.5 إجراءات الرومان

استولى الرومان بقيادة بومبي على القدس سنة (63 ق.م). فأبقى هيروكانوس الثاني حاكماً وكاهناً لليهود في المدينة. وجعلها خاضعة للرومان ضمن إطار ولاية سورية. وعندما ولّى بومبي صهره على ولاية سورية (57 – 55 ق.م) جرّد الأخير الكاهن اليهودي هيركانوس من رتبته الملكية. وفرض ضرائب ثقيلة على اليهود في القدس. وعمل على إنعاش الثقافة الهيلينية فيها. وأعاد المنفيين زمن المملكة الحشمونية: كالسامريين. والأدوميين. إلى أماكنهم السابقة. لأن ملوك الحشمونيين في القدس كانوا كلما تغلبوا على قبيلة يكرهون أفرادها على الدخول في الديانة اليهودية. وينفون من يرفض منهم ذلك. وكان من دخلها مكرها انتيباس (انتباتر) الأدومي من أهالي عسقلان. ولما نشب الصراع بين بومبي وقيصر وقف انتيباس (انتباتر) إلى جانب قيصر في ذلك الصراع فعيّنه قيصر بعد انتصاره على بومبي سنة (48 ق.م) حاكماً إدارياً على الدولة اليهودية. وجعل معه أفراد العائلة الحشمونية أمراء فيها. فعيّن انتيباس الأدومي ابنه البكر فصايل والياً على القدس. وابنه الآخر هيرودس على الجليل. لكن هذه الترتيبات لم تُعمّر طويلاً إذ اغتيل يوليوس قيصر عام (44 ق.م). وقتل بعده حليفه انتيباس بإيعاز من الكاهن اليهودي الأعظم هيركانوس الثاني. (نعناعة. 2001. ص: 504-404. الأحمد. 1988. ص: 69-67. الدجاني. 1983. ص: 117-116).

عمّت الفوضى فلسطين بعد ذلك. فهرب هيرودس إلى روما. وبنى صداقة مع مارك أنطونيوس.

الذي خلف قيصر على عرش إمبراطورية روما. وتبع ذلك إعلان هيرودس ملكاً على القدس فعاد إلى فلسطين ليحارب من أجل لقبه الجديد. فحاصر القدس، واستولى عليها في حدود سنة (37 ق.م). وانتقم من اليهود الحشمونيين، وقتل ملكهم انتجونس، الذي انتهى بموته ملك المكابيين الذي دام حوالي 125 عاماً تقريباً. وقد شهدت القدس في عهد هيرودس (37 - 4 ق. م) ازدهاراً ملحوظاً تمثّل في اتساع مساحتها، وزيادة عدد سكانها، وقد كشف عن بقايا عمائرية في شمال غرب القدس يعتقد أنها كانت جزءاً من قصر هيرودس. وتزعم بعض الروايات أن هيرودس أعاد بناء الهيكل بين سنتي (18-19 ق.م)، ورمّم أسوار المدينة، وزوّدها بالمياه، وبنى فيها مسرحاً وميداناً لسباق الخيل. ويُسجّل له توفيره الطعام للناس مجاناً في أثناء القحط والمجاعة التي أصابت فلسطين سنة (22 ق.م)، حيث استورد الحنطة من ماله الخاص من مصر، ووزّعها على رعيته. (الدجاني، 1983، ص: 117-116).

وكان هيرودس منغمساً في الحضارة الهيلينية ويكره اليهودية التي اعتنقها ظاهرياً، ولم يلتزم بتعاليمها فعلياً، حيث تزوّج عشر نساء، وأنجب منهن عدة أبناء، وقام ببناء هياكل للآلهة اليونانية والرومانية، وشجّع الثقافة الهيلينية، وعمل على نشرها بين رعيته. وبعد وفاته عام (4 ق.م) قُسمت المملكة بين أبنائه الثلاثة بموافقة الرومان، لكن حكمهم لم يَدُم طويلاً، إذ إن فلسطين أصبحت بكاملها ولاية رومانية، تخضع مباشرة لحكم ولاة رومانيين. (الدجاني، ملاحظات على تطور حياة اليهود، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، م3 ص:118).

2.5 ثورة اليهود سنة 66 م

عزيزي الدارس، وُلد السيد المسيح في عهد الوالي الروماني بيلاطس، ثم تولى الحكم ولاة رومانيون آخرون، عملوا على نشر الثقافة الهيلينية في مدن فلسطين وعلى رأسها القدس، الأمر الذي أدّى إلى انفجار ثورة اليهود في القدس عام (66م). واستمرت هذه الثورة قرابة أربع سنوات، وقد بدأت من قيسارية وامتدت إلى القدس والمناطق الأخرى، فأرسل الإمبراطور فسبسيان ابنه تيطس لإخماد تلك الثورة، فاحتل القدس بعد حصار دام خمسة أشهر، وهدم المدينة، وأحرق المعبد، وقتل وأسر كثيراً من اليهود فيها سنة (70م). وفرّ بعضهم إلى قرية

مسعدة على شاطئ البحر الميت. فحاصرهم الرومان فيها ما اضطر المحاصرون إلى الانتحار الجماعي.

عيّن الرومان على القدس بعد إخماد الثورة حاكماً رومانياً من مجلس الشيوخ. ووضعوا تحت تصرفه الفيلق الروماني العاشر الذي يرابط في القدس. وفرضوا على اليهود ضرائب ثقيلة. من بينها ضريبة الإله جوبتر كبير الآلهة الرومانية. وبنوا مستعمرة رومانية على مقربة من القدس. وأصبحت القدس خالية من اليهود بعد الثورة. وتركّز وجودهم في فلسطين في طبريا والجليل. (المرجع السابق. ص: 120).

3.5 ثورة باركوخبا (132-135م)

يبدو أن عدداً من اليهود تمكن من التسلل إلى القدس فيما بعد. مستغلين ضعف حاميتها الرومانية. وثاروا على الرومان في عهد الإمبراطور هدريان (117 – 138م). حيث عين صهره أكيلا والياً على القدس. وأمره بإعادة ترميمها. والتشديد على اليهود فيها. فحظر الوالي الجديد الختان عليهم. وقراءة التوراة. وعمل على قلب القدس إلى مستعمرة رومانية. فثار اليهود عليه بزعامة شمعون باركوخبا سنة (132 – 135م). الذي ادّعى أنه المسيح المنتظر. وأعلن الاستقلال. واحتل القدس. وأقام الصلوات اليهودية مكان الهيكل المزعوم. وقام هدريان بقمع الثورة بشدّة. حيث أرسل جيشاً رومانياً بقيادة سفريوس الذي تمكّن من القضاء على الثورة نهائياً سنة (135م). وسوّى المدينة بالأرض. وطرد اليهود منها. وحرّم عليهم دخولها أو الاقتراب منها من مسافة ثلاثة أميال. وقام بعد ذلك ببناء مدينة مكان القدس المدمرة سمّاها إيليا كابيتولينا. وبنى فيها معبداً للإله جوبتر. وأنزل فيها عدداً كبيراً من اليونان والرومان والسوريين (الوثنيين) الذين يعبدون إله الزهرة. وجعل ديانتها هي الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية. (العارف. 2007. ص: 133-132. العسلي. القدس في التاريخ. ص: 107-105. نعناعة. 2001. ص: 529-527).

شهدت القدس في المدة الواقعة ما بين (135-324م) مرحلة هدوء واستقرار وطمأنينة. فقد نشطت فيها أعمال البناء. حيث بُنيت فيها معابد وثنية. ومسارح. ورُصفت الشوارع. وخصصت ساحات لسباق الخيول. كما بنيت الجسور على الأودية التي تربط القدس بالمدن

الأخرى. (الكفافي وآخرون. 2001. ص: 35).

وتجدر الإشارة، عزيزي الدارس، إلى أن الأباطرة الرومان الوثنيين اضطهدوا المسيحية في فلسطين منذ ظهورها، فأمروا بصلب المسيح، واضطهدوا تلاميذه، وقتلوا بعضهم مثل: بطرس، وبولس، وسنّوا القوانين التي تعاقب المسيحيين الذين يشتمون الآلهة الوثنية، وأبرزها قانون تراجان الذي سنّه عام (112م)، والذي يُلزم المسيحيين فيه باحترام الآلهة الوثنية في الحاكم، ويعاقب من لا يفعل ذلك، ويعدّه خائناً خارجاً عن القانون، وقد ظلّ معمولاً بهذا القانون حتى اعتنق أباطرة بيزنطة المسيحية، وجعلوها الديانة الرسمية للدولة. من القوانين أيضاً قانون دقلديان (284 305-م) الذي نصّ على هدم كنائس المسيحيين، وحرق كتبهم، وحرمانهم من الوظائف المدنيّة والعسكرية. (أبو الرب. 2002. ص: 72).

6. القدس تحت الحكم البيزنطي (324 – 638م)

1.6 القدس من عهد قسطنطين حتى الاحتلال الفارسي الثاني (-324 614 م)

تزخر هذه المرحلة من تاريخ القدس بالتراث التاريخي والحضاري والسياسي، المدّعم بالوثائق التاريخية، وتبدأ من اعتناق الإمبراطور قسطنطين الأكبر الديانة المسيحية، وجعلها ديناً رسمياً للدولة البيزنطية سنة 324م، ونقله مقرّ الإمبراطورية إلى عاصمة جديدة هي القسطنطينية، وتقع على مضيق البسفور، التي بناها على أنقاض قرية قديمة تسمى بيزنطة.

وقد ازدهرت الأعمال العمرانية في القدس في أثناء حكم الإمبراطور قسطنطين، فقد أمرت والدته ببناء كنيسة القيامة، وكنيسة أخرى على جبل الزيتون، وبناء كنيسة الشهداء على القبر المقدس. واستمر قسطنطين في تطبيق سياسة الإمبراطورية تجاه اليهود بمنعهم من العيش في القدس، وسمح لهم بزيارتها فقط. (الكفافي وآخرون. 2001. ص: 35. الأحمد. 1988. ص: -75 76. العسلي. القدس في التاريخ. ص: 110).

وقد تنفس المسيحيّون الصعداء بعد مدة طويلة من الاضطهاد الديني، وتغير طابع المدينة بسرعة بعد قسطنطين. فامتلأت بالرهبان والراهبات، وعُيّن لكل مدينة فيها أكثرية مسيحية أسقف. واستحدث منصب بطريركية القدس، وتولّى بطريركها رئاسة أساقفة فلسطين الذين وصل عددهم إلى 33 أسقفاً سنة 518م، و49 أُسقفاً سنة 536م. وقد شغل عرب فلسطين العديد من الوظائف الدينية في إدارة فلسطين الدينية ابتداءً من راهب فأُسقف إلى بطريرك لجميع فلسطين. ومنهم البطريرك إلياس (إيليا) العربي، وهو من نجد. وقد تدرّج في السلك الكهنوتي حتى صار بطريركاً للقدس (494 – 518م) والبطريرك بطرس العربي الأصل من بيت جبرين، والذي انتخب بطريركاً للقدس في الفترة ما بين (525-552م). (خوري، 1925، ص: 26 30-).

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدُل على كثافة الوجود العربي في فلسطين عامة والقدس خاصة، واعتناق قسم كبير منهم المسيحية حتى وصل بعضهم إلى رتبة البطريركية. فقد كانت العديد من القبائل العربية مثل: عاملة، ولخم، وجذام، تقيم داخل القدس وفي محيطها حول أديرة يوثيميوس ومارسابا، إلى جانب الروم المستقرين في المدينة من عسكريين ومدنيين، والذين تحولوا بالتدريج من وثنيين إلى مسيحيين (أبو الرب، 2002، ص: 49، 38، 35).

قسم البيزنطيون فلسطين في المدة ما بين (399 – 400م) إلى ثلاثة أقسام إدارية هي: فلسطين الأولى وعاصمتها قيسارية، وفلسطين الثانية وعاصمتها بيسان، وفلسطين الثالثة وعاصمتها البتراء. ويرأس الجهاز الإداري في كل ولاية من هذه الولايات حاكم مدني يحمل لقب قنصل. وكانت القدس في هذه الأثناء إحدى الوحدات الإدارية التابعة لولاية فلسطين الأولى. (المرجع السابق، ص: 54-52، 63).

وقد كُشف في مدينة مأدبا عن خريطة فسيفسائية للقدس يعود تاريخها إلى منتصف القرن السادس الميلادي، حيث تظهر فيها المدينة محاطة بسور يسنده عشرون برجاً. وتظهر فيها مجموعة من البيوت والكنائس وأهمها كنيسة القيامة. (الكفافي وآخرون، 2001، ص: 36)

2.6 القدس تحت الاحتلال الفارسي (614-628 م)

عزيزي الدارس، في أواخر العهد البيزنطي احتل الفرس مدينة القدس فيما بين عامي (614 – 628م) بعد حصار دام أربعين يوماً، وذبحوا عدداً كبيراً من أهلها، وأحرقوا الكنائس، بتحريض من اليهود الذين انضموا إلى الجيش الفارسي، والذي ترك إدارة المدينة لهم في بادئ الأمر، ثم أخذها من اليهود وطردهم منها، وسمح بإعادة بناء الكنائس، وبقيت القدس بيد الفرس إلى أن استعادها الإمبراطور هرقل منهم سنة 628م. (العسلي، القدس في التاريخ، ص: 115 – 116، الدجاني، 1983، ص: 127).

3.6 القدس منذ استعادة هرقل لها حتى الفتح الإسلامي (629-638 م)

أصدر هرقل بعد استعادة القدس من الفرس قراراً بطرد اليهود منها، وعدم السماح لهم بالاقتراب منها لمسافة لا تقل عن ثلاثة أميال، وقتل من ظَفَرَ به منهم، وهرب الباقون إلى البراري والجبال والأودية وإلى مصر؛ وذلك بسبب تعاونهم مع الاحتلال الفارسي وقتلهم للنصارى، وتخريبهم الكنائس، وبقيت القدس تحت الحكم البيزنطي حتى فتحها المسلمون على يد عمر بن الخطاب بعد انتصارهم على البيزنطيين سنة 368م.

(العسلي، القدس في التاريخ، ص: 116 – 117، الكفافي وآخرون، 2001، ص: 37، أبو الرب، 2002، ص: 46، 140– 141).

تدريب (10)

اذكر الإجراءات التي قام بها هرقل ضد اليهود، وبين أسبابها؟

أسئلة التقويم الذاتي (10)

اذكر أقسام فلسطين الإدارية في عهد البيزنطيين؟

7. أسماء المدينة :

أطلق على القدس في العصور التاريخية أسماء عدة أقدمها أورشليم. فقد ورد هذا الاسم لأول مرة في النصوص الفرعونية التي تعود إلى عهد الملك سنوسرت الثالث (1842-1875 ق.م). ثم ورد مرة أخرى في رسائل تل العمارنة الفرعونية سنة 1400 ق.م. وورد أيضا في الوثائق الأشورية التي تعود إلى سنة 691 ق.م. وتكرر ذكره في التوراة أكثر من سنمائة مرة. كما ورد في النصوص اليونانية التي تعود إلى العهدين اليوناني والروماني (333 ق.م334- م). وقد اختلف في الأصل اللغوي للاسم ومعناه فقيل إن أصله أكادي. ويتألف من مقطعين: المقطع الأول أور بمعنى مدينة. والمقطع الثاني سالم وبذلك يكون معناها مدينة سالم نسبة إلى اسم ملكها الكنعاني. وقيل أن أصله آرامي. ويتألف من مقطعين: المقطع الأول أور بمعنى مدينة. والمقطع الثاني شليم أو شالم بمعني السلام. وبذلك يكون معناها مدينة السلام. وسميت بذلك نسبة إلى الإله شليم إله الغروب والسلام عند الكنعانيين.

وبذلك نلاحظ. عزيزي الدارس. أن الاسم أورشليم عربي كنعاني أطلق على المدينة منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد. أي قبل قدوم اليهود إلى فلسطين واستيلائهم على القدس بسبعة قرون. واستخدم اليهود الاسم الكنعاني ولم يغيروه فتوهم بعض الناس أنه اسم عبري. علما بأن العلماء يتفقون على أن اليهود استعملوا اللغة الكنعانية ثم الآرامية في البداية لأن اللغة العبرية تكونت في القرنين السادس والسابع قبل الميلاد. (الكفافي وآخرون. 2001. ص13-11. العسلي. مكانة القدس عربياً وإسلامياً.الموسوعة الفلسطينية م6 ص797. سوسة. 2003. ص29. جلال. إدريس. 2001. ص210. الزعبي. 1996. ص74).

والاسم الثاني يبوس. وهو يدل على القوة والصلابة. وقد ظهر في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد. وسميت المدينة به نسبة إلى اليبوسيين وهم إحدى القبائل الكنعانية. وقد بنوا في المدينة قلعة أطلقوا عليها اسم قلعة صهيون. ومعناها (المرتفع). وقد أطلق هذا الاسم الكنعاني على أكثر من مرتفع في سوريا القديمة. (العسلي. مكانة القدس عربيا وإسلامياً. الموسوعة الفلسطينية م6 ص797. الكفافي وآخرون. 2001. عمرو. 1987. ص48).

وظلت المدينة تعرف بالاسمين السابقين (أورشليم ويبوس) حتى عهد الإمبراطور هدريان الذي

هدم القدس بعد ثورة باركوخبا اليهودية (135-132م) وبنى مكانها مدينة جديدة سماها إيليا كابيتولينا. والمقطع الأول منها مأخوذ من اسم الإمبراطور نفسه (إيليوس هدريان). والمقطع الثاني من اسم الإله جوبتر كابيتولينس. وبقيت المدينة تعرف بهذا الاسم حتى نهاية العهد البيزنطي. وظل الاسم الأخير (إيلياء) يطلق على المدينة بعد الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي. إذ ورد الاسم (إيلياء) في العهدة العمرية. كما ورد في العلامات الحجرية التي وضعها عبد الملك بن مروان (ت: 86هـ) لتحديد المسافات بين القدس ودمشق والرملة. وظهر على النقود التي ضربت في زمن الأمويين. كما ورد الاسم في شعر الفرزدق (ت: 114هـ):

وبيتان بيت الله نحن ولاتــــــــه　　　　وبيت بأعلى إيلياء مشـــــرف

(الكفافي وآخرون. 2001. ص30. جونز. 1987. ص96. علي. القدس اسما وتاريخا. العارف. 2007. ص198. الفرزدق. 1996. ص 335 http:www.bab.com 4.3.2008).

والاسم الرابع هو بيت المقدس أو القدس. ويعني المطهر. والمكان الذي يتطهر فيه من الذنوب. وقد عرفت المدينة بهذا الاسم منذ العصر العباسي الأول. فقد وردت بالاسم الجديد في شعر أبي نواس. (ت: 199هـ):

وأصبحن قد فوّزن عن نهر فطرس　　　　وهن من البيت المقدّس زوّر

وحملت النقود التي ضربها العباسيون في المدينة اسم القدس. وردد ذلك المصادر الجغرافية وكتب الرحالة. فقد ذكرت بالاسم الجديد عند اليعقوبي (ت: 284هـ). ثم الرحالة ناصر خسرو الذي زارها سنة 438هـ وذكر أن أهل الشام يسمونها القدس. ويسميها أهل العراق والمشرق بيت المقدس.

وبذلك. عزيزي الدارس. فإن أسماء المدينة سالفة الذكر تدل على هويتها العربية عبر العصور.

(اليعقوبي. 1988. ص: 89. خسرو. 1945. ص:19. العارف. 2007. ص: 203.مجيد الدين الحنبلي. 1973. ص:6. ابن منظور. 1994. ص: 169. سابكر. http:www.pr.sv.net/law 4.3.2008).

تدريب (11)

اذكر أسماء مدينة القدس في العصور القديمة. واذكر دلالة كل منها.

بيّن كيف نستدل على عروبة القدس من خلال أسمائها؟

8. الخلاصة

تناولت هذه الوحدة، عزيزي الدارس، تاريخ القدس في العصور القديمة التي تمتد من العصر الحجري القديم حتى نهاية العصر البيزنطي. وهي تؤكد لنا أن الاستقرار البشري في منطقة القدس بدأ في العصور الحجرية القديمة منذ أكثر من نصف مليون سنة. واستمر الوجود البشري فيها خلال العصر الحجري الوسيط، والذي تمثله الحضارات النطوفية والكبارية، وفيها تحول الإنسان من الترحال إلى الاستقرار، وبناء البيوت بدلا من الكهوف، وتدجين الحيوانات، وصناعة أدوات حجرية بأشكال هندسية متقنة. وشهد العصر الحجري الحديث اكتشاف الزراعة، وإنتاج الغذاء، وتطور الحرف اليدوية، وظهور المجتمعات المستقرة في القرى. وشهدت العصور البرونزية استقرار القبائل الكنعانية في فلسطين، وبناء المدن فيها ومنها القدس، واختراع الكتابة، والتوسع في صناعة الفخار، وظهور صناعة الأدوات البرونزية، وإقامة علاقات تجارية مع دول الجوار.

وشهد العصر الحديدي استخدام الحديد في صناعة الأدوات المنزلية والأسلحة، ودخول القبائل الفلسطينية ثم العبرانية إلى فلسطين، وقيام الأخيرة بتشكيل مملكة خاصة بها، والاستيلاء على القدس بقيادة داود، واتخاذها عاصمة لها، ثم انقسام هذه المملكة بعد وفاة سليمان بن داود إلى قسمين: مملكة يهوذا، وعاصمتها القدس، ومملكة إسرائيل، وعاصمتها شخيم (نابلس)، وتعرضها للغزو الآشوري والبابلي الذي أسفر عن القضاء عليهما، وتدمير القدس، وسبي أهلها إلى بابل في العراق. وشكل اليبوسيون من الكنعانيين جل سكان القدس قبل قيام المملكة اليهودية، واستمر وجودهم فيها بعد قيام تلك الدولة.

وتعرضت القدس بعد ذلك لموجات من الغزو الفارسي واليوناني الروماني، حيث سمح

الفرس بعودة السبي إلى القدس، وبناء الهيكل. وحاول اليونان في أثناء حكمهم للمدينة نشر الثقافة اليونانية (الهيلينية) بين أهلها، ما أدى إلى قيام الثورة المكابية، وتأسيس الدولة الحشمونية فيها، والتي تم القضاء عليها بعد استيلاء الرومان على المدينة، وشهد العصر الروماني استمرارا لمحاولة نشر الثقافة الهيلينية بين أهلها، وفي مقدمتها عبادة الآلهة الوثنية، وظهور الديانة المسيحية وانتشارها في القدس، وقيام الثورات اليهودية ضد الحكم الروماني، والتي أسفرت عن تدمير المدينة مرتين الأولى على يد تيطس سنة 70م، والثانية على يد هدريان سنة 135م، ومنع اليهود من الإقامة فيها، أو دخولها.

وشهد الربع الأول من القرن الرابع الميلادي قيام الدولة البيزنطية، واتخاذها المسيحية دينا رسميا لها، الأمر الذي أدى إلى زيادة انتشار الديانة المسيحية بين أهل القدس، وبناء العديد من الكنائس والأديرة فيها، وعلى رأسها كنيسة القيامة. وتعرضت المدينة في نهاية العصر البيزنطي إلى الاحتلال الفارسي، وتعاون اليهود مع الفرس ضد الرومان، وقاموا بتخريب كنائس القدس، وقتل الكثير من أهلها، وتلا ذلك استعادة القدس من قبل الإمبرطور هرقل، وطرد اليهود من المدينة، وتم حرمانهم من الاقتراب منها، ثم فتحت المدينة من قبل المسلمين بعد ذلك بعقد من الزمن.

وحملت القدس في أثناء العهود المذكورة أسماء عدة منها: أورشليم، ويبوس، وإيلياء، وجميعها باستثناء الاسم الأخير عربية كنعانية، الأمر الذي يدل على هويتها العربية عبر العصور.

9. لمحة عن الوحدة الدراسية الثالثة

بعد أن تعرفت، عزيزي الدارس، تاريخ القدس في العصور القديمة ابتداءً من العصور الحجرية حتى نهاية العهد البيزنطي، فإنك في الوحدة الثالثة ستتعرف تاريخ القدس في عهدي الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين، من حيث مكانتها الدينية عند المسلمين، وأسباب وتاريخ فتحها، ومجريات الفتح، ونصوص العهدة العمرية، وسكان المدينة وإدارتها في عهد الراشدين والأمويين واهتمام الخلفاء الأمويين، بالمدينة وأهلها الذي توجوه بمنجزاتهم العمرانية فيها.

10. إجابات التدريبات

تدريب (1)

تمثل هذه المدة في منطقة القدس كلّ من:

1. الحضارة الكُبّارية التي ظهرت في الطرف الغربي لجبل الكرمل وامتدت إلى أنحاء فلسطين كافة ومنها القدس.
2. الحضارة النطوفية نسبة إلى وادي النطوف شمال غرب القدس.

تدريب (2)

1. اكتشاف الإنسان الزراعة وتحوّله إلى منتج للغذاء.
2. بناء القرى والمدن.
3. تدجين الحيوانات الأليفة والتحكّم بها، والاستفادة من منتوجاتها.
4. ظهور الحرف المتخصصة مثل: صناعة الفخّار، والأدوات الزراعية، والملابس.
5. عبادة الآلهة الأم التي ترمز إلى الخصوبة.

تدريب (3)

- سُمي تل موريا بهذا الاسم نسبة إلى الأموريين، وهم أوّل القبائل الكنعانية التي نزلت في القدس في العصر البرونزي القديم.

تدريب (4)

- شهد العصر البرونزي الحديث جفافاً شديداً، ونقصاً حاداً في المياه في فلسطين، ما أدى إلى جفاف المياه والينابيع، وتراجع الإنتاج الزراعيّ، والاستقرار البشري في مدينة القدس.

تدريب (5)

- اقتصرت المخلفات الأثرية في العصر الحديدي الأول في مدينة القدس على جرّة فخّارية ومصاطب، وبعض الدلائل الخزفية، مما يدّل على فقر المرحلة التاريخية، بسبب الظروف المناخية التي أثرت سلبياً في المدينة.

تدريب (6)

- لم يعثر الإسرائيليون في حفرياتهم في المدينة على أيّ دلائل تاريخية تشير إلى وجود بقايا ما يسمونه الهيكل أو قصر سليمان في القدس، بل إنها لم تدل على وجود أي أثر يمكن نسبته إلى عهدي داود وسليمان.

تدريب (7)

- تم إعادة اليهود إلى القدس في عهد الدولة الأخمينية الفارسية، وبمساعدة الملك الفارسي كورش، الذي عطف على اليهود المسبيين في بابل بعد قضائه على الدولة الكلدانية، وأمر بإعادتهم إلى القدس، وأعاد لهم الممتلكات التي أخذها منهم الكلدانيون، وسمح لهم بإعادة بناء الهيكل.

تدريب (8)

- عند اقتراب الإسكندر من القدس استقبله اليهود في جبل سكوبس الواقع شمال المدينة، وقيل في بيت صفافا، ورحّبوا به ولم يقاوموه، فعفا عنهم، وسمح لهم بأن يحكموا أنفسهم وفق أنظمتهم وعاداتهم الخاصة، وأعفاهم من دفع الجزية مرّة كل سبع سنين.

تدريب (9)

- كان في مقدمة الأسباب التي أدت إلى قيام اليهود بالثورة المكابية الإجراءات التي اتخذها أنطيخوس الرابع وهي:

1. حاول صهر اليهود في بوتقة الحضارة الهيلينية.
2. منعهم من القيام بشعائرهم الدينية كتقديم الأضاحي، وتقديس يوم السبت.
3. فرض عليهم عبادة شخصه وعبادة الإله زيوس اليوناني.
4. أجبرهم على أكل لحم الخنزير.

تدريب (10)

- طرد هرقل اليهود من القدس، ومنعهم من دخولها والاقتراب منها لمسافة ثلاثة أميال، للأسباب الآتية:

1. تعاونهم مع الاحتلال الفارسي وقتلهم النصارى في القدس وفلسطين.
2. هدمهم الكنائس وتخريبهم الأديرة.

تدريب (11)

أطلقت على القدس في العصور القديمة ثلاثة أسماء هي:

1. أورشليم، وهو الاسم الكنعاني للمدينة، وقد ورد ذكره أول مرّة في النقوش المصرية التي تعود إلى المدة ما بين (1842-1875 ق.م)، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الإله سالم، إله الغروب والسلام عند الكنعانيين، وقيل نسبة إلى الملك الكنعاني سالم.

2. يبوس، نسبة إلى قبيلة يبوس الكنعانية، التي سكنت المدينة قبل الاحتلال اليهودي لها سنة 1000 ق.م تقريباً.

3. إيلياء كبيتولينا، وهو الاسم اليوناني للمدينة، الذي سمّاها به الإمبراطور الروماني هدريان سنة 135م، وهو مأخوذ من اسم الإمبراطور المذكور واسم الإله الروماني جوبتر. وقد ظلت المدينة تُعرف بهذا الاسم حتى نهاية العصر الأمويّ.

11. مسرد المصطلحات

- **الحضارة الكبارية:** حضارة ظهرت في فلسطين في العصر الحجري الوسيط، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مغارة كبارة الواقعة في الطرف الغربي لجبل الكرمل، التي عُثر فيها على آثار تعود لتلك الحضارة.

- **الحضارة النطوفية:** حضارة ظهرت في فلسطين في العصر الحجري الوسيط، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى وادي النطوف شمال غرب القدس، الذي عثر فيه على آثار تعود لتلك الحضارة.

- **الحضارة الطاحونية:** وتنسب إلى وادي الطاحون في جبال القدس، وقد ظهرت في العصر الحجري الوسيط، واكتشفت فيها بوادر ظهور الزراعة المنظمة، وأبرز مزروعاتها الحنطة والشعير.

- **رسائل تل العمارنة:** تنسب هذه الرسائل إلى تل العمارنة في مصر حيث تم اكتشافها، وهي تمثل جزءاً من أرشيف الفرعونين أمنحوتب الثالث، وابنه أمنحوتب الرابع، وعددها أربعمائة رسالة تقريباً، وهي موجهة من أمراء المدن الكنعانية في فلسطين مثل أورشليم إلى الفرعونين المذكورين، يطلبون فيها منهما مساعدتهم على حماية مدنهم من هجمات البدو (العابيرو).

- **الثورة المكابية (175 – 135ق.م):** ثورة يهودية قامت بها الأسرة الحشمونية في جبال القدس في فلسطين ضد السلوقيين الذين حاولوا منع اليهود من القيام

بشعائرهم الدينيــة، وإجبارهم على عبادة الآلهة الوثنية، وأسفرت عن قيام الدولة الحشمونية التي قضى عليها الرومان على يد بومبي سنة 63 ق.م. وقد سميت المكابية بهذا الاسم نسبة إلى لقب زعيمها يهوذا الحشموني المعروف بالمكابي (المطرقة)، وحــلّ هــذا اللقب محل اسم العائلة فصار الحشمونيون يعرفون بالمكابيين.

- **الثقافة الهيلينية:** هي الثقافــة اليونانيــة المتمثلــة في اللغــة، والدين، والأدب، وأساليب المعيشة، والعمارة اليونانية، والتــي حاول الإسكندر وخلفــاؤه السلوقيون فرضها على أهل فلسطين لطمس هويتهم، وقد لاقت هذه الثقافة مقاومة من سكان البلاد.

- **الحضارة الهيلينستية:** هي الحضارة اليونانية التي حاول الإسكندر وخلفاؤه نشر نظمها ومظاهرها؛ كالإدارة، واللغة، والثقافة، في بلاد المشرق بعد استيلائهم عليها.

- **الصدوقيون:** طائفة يهودية سميت بهذا الاسم نسبة إلى أحد كهنتهم واسمه صادوق، وتألفت هذه الطائفة من جماعة الكهنة وكبار التجار والأسر الغنية من اليهود، وكانوا، حسب وصف التلمود، متحللين من تعاليم الشريعة وفرائضها، بخلاف طائفة الفريسيين الذين يتصفون بالتدين والمحافظة على الشريعة اليهودية، وهناك خلاف دائم بين أتباعهما.

12. المصادر والمراجع

أ- المصادر

1. البخاري، محمد بن اسماعيل «التاريخ الكبير»، 5ج، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الهند: 1962م).

2. ابن العبري، غريغوريوس الملطي «تاريخ مختصر الدول»، تحقيق: أنطوان الصالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت: 1890م).

3. خسرو، ناصر «سفرنامة»، ترجمة: يحيى الخشاب، لجنة التأليف والترجمة والنشر

(القاهرة: 1945م).

4. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي «تاريخ ابن خلدون»، 7ج، مؤسسة الأعلمي، (بيروت: 1977م).

5. أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث «سنن أبي داوود»، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعاد، (القاهرة: 1950م).

6. ابن سعد، محمد «الطبقات الكبرى»، 7ج، دار صادر، (بيروت: 1957م).

7. ابن عساكر، علي بن الحسن «تاريخ مدينة دمشق»، 70 ج، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت: 1995-1998م).

8. الطبري، محمد بن جرير «تاريخ الرسل والملوك»، ج10، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (القاهرة: 1961 – 1966م).

9. الفرزدق، همام بن غالب التميمي «ديوان الفرزدق»، شرح وضبط: علي خريس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت: 1996م).

10. مجير الدين الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد العلمي «الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل»، 2ج، مكتبة المحتسب، (عمان: 1973م).

11. ابن منظور، محمد بن مكرم، «لسان العرب» ج6، دار صادر (بيروت: 1994م).

12. الهمداني، الحسن بن أحمد «الإكليل» ج2، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار التنوير للطباعة والنشر (بيروت: 1986م).

13. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله «معجم البلدان»، ج1، دار صادر (بيروت: «ب.ت»).

14. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح «البلدان»، دار أحياء التراث، (بيروت: 1988م).

15. «الكتاب المقدس»، دار الكتاب المقدس في العالم العربي (ب.ت).

ب- المراجع:

1. إبراهيم، معاوية، «فلسطين من أقدم العصور» الموسوعة الفلسطينية، م2، بيروت، 1990.

2. الأحمد، سامي سعيد « فلسطين حتى التحرير العربي» دار الشؤون الثقافية (بغداد: 1988م).

3. إدريس، محمد جلاء «أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي» مركز الإعلام، صدقي، الغربي، (القاهرة: 2001م).

4. تومبسون، توماس وآخرون «القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ»، ترجمة د.فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: 2003م).

5. جونز، أ. هـ.. م «مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية» ترجمة: د. احسان عباس، دار الشروق، (عمان: 1987م).

6. الحديدي، عدنان، ومعاوية إبراهيم «تاريخ الشرق الأدنى القديم» منشورات جامعة القدس المفتوحة، (عمان: 2007م).

7. خوري، شحادة ونقولا «خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثذوكسية، مطبعة بيت المقدس (القدس: 1925م).

8. الدجاني، أحمد صدقي، ملاحظات على تطور حياة اليهود في فلسطين حتى الفتح العربي الإسلامي، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، م3 (عمان: 1983م).

9. أبو الرب، هاني حسين «تاريخ فلسطين في صدر الإسلام 32-1هـ»، بيت المقدس للطباعة والنشر (رام الله: 2002م).

10. الزعبي، محمود «العرب الكنعانيون بناة القدس ومدن فلسطين» لجنة يوم القدس، أبحاث الندوة السابعة، المركز الثقافي الملكي الأردني (عمان: 1996م).

11. سبايكر، روبرت، «الحرم القدسي الشريف»، www.pr.sv.net/law 4.3.2008، 2006.

12. سوسة، أحمد "أبحاث في اليهودية والصهيونية"، دار الأمل للنشر والتوزيع، (عمان: 2003م).

13. أبو طالب. محمود "من السلط إلى القدس: أبحاث في تاريخ الأردن وفلسطين القديم" ترجمة: د.عمر الغول. دار القبس (عمان: 2006م).

14. عثامنة. خليل "فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى الغزو الصليبي. (بيروت: 2000م).

15. أبو عرفة. عبد الرحمن "القدس تشكيل جديد للمدينة" جمعية الدراسات العربية. (القدس: 1985م).

16. العسلي. كامل جميل (تحرير وترجمة) "القدس في التاريخ" منشورات الجامعة الأردنية (عمان: 1992م). مكانة القدس عربياً وإسلاميا عبر التاريخ. الموسوعة الفلسطينية م6 (بيروت: 1990م).

17. العك. خالد عبد الرحمن "تاريخ القدس العربي القديم" مؤسسة النوري للطباعة والنشر (دمشق: 2002م).

18. عليق. بسام "القدس اسماً وتاريخاً وذاكرة" باب المقال. 4.3.2008 www.bab.com

19. - الصاوي. أحمد "المقدسات والآثار المسيحية في القدس". القدس أون لاين
http://www.alqudsonline.com 8.3.2008

20. عمرو. يونس "القدس مدينة الله". منشورات مركز البحث العلمي في جامعة الخليل (الخليل: 1987م).

21. الفني. إبراهيم "القدس عبر الحضارة والتراث منذ ستة آلاف عام". منشورات وزارة الإعلام الفلسطينية (رام الله: 1997م).

22. الكفافي. زيدان وآخرون "القدس عبر العصور". منشورات جامعة اليرموك. (اربد: 2001م).

23. محاسنة. محمد حسين وأخرون " تاريخ مدينة القدس" دار حنين للنشر والتوزيع. (عمان: 2003م).

24. الماجدي. خزعل "تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الروماني". دار الفارس. (عمان: 2005م).

25. نعناعة. محمود. تاريخ اليهود. دار الفكر للطباعة والنشر (عمان: 2001م).

الوحدة الثالثة

القدس في عهد الراشدين والأمويين

إعداد

د. هاني ابو الرب

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

أهلاً بك، عزيزي الدارس، في الوحدة الثالثة من مقرر تاريخ القدس، وعنوانها "القدس في عهد الراشدين والأمويين". وهي تتناول مكانة القدس في عقيدة المسلمين وشريعتهم وعند خلفائهم وعلمائهم وعامتهم، ثم تستعرض تاريخ المدينة في عهد الراشدين ابتداءً من أسباب فتحها، وتاريخه، ومجريات عملية الفتح، والعهدة العمرية التي مَنَحَ فيها الخليفة عمر بن الخطاب الأمان لأهل المدينة، ثم تتحدث عن سكان المدينة وإدارتها في عهد الراشدين والأمويين، ومنجزاتهم العمرانية فيها، وعلى رأسها قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وهي تعبّر عن مدى اهتمام المسلمين بالقدس وعن مكانتها لديهم.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك، عزيزي الدارس، بعد دراستك هذه الوحدة أن تكون قادراً على أن:

1- تتعرف مكانة المدينة عند المسلمين.

2- تتعرف تاريخ فتحها وأسبابه.

3- تفهم العناصر التي يتألف منها سكان القدس، وفي مقدمتهم القبائل العربية التي استقرت فيها.

4- تلم بواقعها الإداري، ومعرفة عمّالها في تلك الحقبة.

5- تحيط بتاريخ بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى وأسباب ذلك، وفن العمارة والزخرفة المستخدمة في بنائهما.

3.1 أقسام الوحدة

تقسم هذه الوحدة إلى ثلاثة أقسام رئيسة ترتبط جميعها بقائمة الأهداف السابقة وتحققها. وهذه الأقسام هي:

- القسم الأول: مكانة القدس الدينية عند المسلمين.
- القسم الثاني: القدس في عهد الخلفاء الراشدين (16-40هـ).
- القسم الثالث: القدس في عهد الخلفاء الأمويين (41 – 132هـ).

4.1 القراءات المساعدة

ارجع، عزيزي الدارس، إلى المصادر والمراجع الآتية، لارتباطها المباشر بموضوع الوحدة، وأفِدْ منها في استيعاب ما ورد فيها من معلومات:

1. أبو الرب، هاني حسين.
- "تاريخ فلسطين في صدر الإسلام"، منشورات بيت المقدس، (رام الله: 2002م).
- " تاريخ الدولة الأموية"، دار الحسن للطباعة والنشر، (الخليل: 1992م).
2. العارف، عارف.
- "المفصل في تاريخ القدس"، دار الفارس، ط4، (عمان: 2007م).
- "تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى"، مطبعة دار الأيتام، (القدس: 1955م).
3. عاقل، نبيه، - "فلسطين منذ الفتح الإسلامي وحتى أواسط القرن الرابع الهجري"، الموسوعة الفلسطينية، م2، (بيروت: 1990م).
4. عثامنة، خليل، "فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى الغزو الفرنجي" (634-1099م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت: 2000م).
5. العسلي، كامل.
- تحرير، "القدس في التاريخ"، منشورات الجامعة الأردنية، (عمان: 1992م).
- "مكانة القدس عربياً وإسلامياً عبر التاريخ"، الموسوعة الفلسطينية"، م6، (بيروت: 1990م).

6. الكفافي، زيدان وآخرون، "القدس عبر العصور"، منشورات جامعة اليرموك، (إربد: 2001م).
7. لستيرانج، "فلسطين في العهد الأموي"، ترجمة محمود عمايري، (عمان: 1970م).

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

هيئ لنفسك الجو الدراسي الملائم، واقرأ الوحدة قراءة متأنية، وحاول أن تجيب عن التدريبات وأسئلة التقويم الذاتي الواردة فيها.

1.2 مكانتها في العقيدة والشريعة الإسلامية

بدأ تعظيم القدس عند المسلمين منذ بزوغ الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة من خلال حادثة الإسراء والمعراج، والتي أسري بالنبي -صلى الله عليه وسلم- فيها من مكة إلى القدس قبل الهجرة بعام أي سنة 621م تقريباً، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في سورة الإسراء بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (الإسراء: 1).

وفي هذه الرحلة فرضت الصلوات الخمس على المسلمين، وجعل الإسلام بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى قبل الهجرة وبعدها حتى تم تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة في السنة الثانية للهجرة، فكانت قبلة مسجد قباء ومسجد الرسول تجاه بيت المقدس قبل أن تتحول إلى الكعبة. (أبو هلال العسكري، الحسين بن عبد الله، 1987م الأوائل، ص: 156، العسلي 1992، ص: 131، البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص: 71). وبذلك فإن حادثة الإسراء والمعراج ربطت القدس بعقيدة المسلمين

وشريعتهم. وقد وصف القرآن القدس وفلسطين بأنها أرض مباركة في قوله تعالى: (وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ).وفي قوله تعالى:(وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا) (سورة الأنبياء. آية 71، 81) وقوله تعالى:(وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا) (سورة الأعراف آية: 137) وفسر قتادة قوله تعالى في الآية (41) من سورة (ق) (يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ) بقوله: من صخرة بيت المقدس. (ابن العديم. بغية الطلب. ص: 140). وأقسم الله تعالى بجبل الزيتون في القدس في قوله: (وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ). حيث ذكر المفسرون أن الزيتون هو جبل زيتا في القدس. (ابن الجوزي. فضائل بيت المقدس. ص: (7-70).

ويزيد عدد الأحاديث النبوية التي تتحدث عن بركة القدس وفضائلها على سبعين حديثاً. وهي تؤكد في مجملها أهمية القدس في عقيدة المسلمين وشريعتهم. وتحثهم على زيارة القدس والصلاة في مسجدها. قال -صلى الله عليه وسلم- عن الأقصى: **(إئتوه فصلوا فيه. فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله)**. (ابو داود. 1950. ج1. ص:182. والكفافي وآخرون. 2001. ص: 44). وعدّه – عليه السلام - في حديث آخر أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال. أي تقصد للعبادة. قال -صلى الله عليه وسلم-: **(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام. والمسجد الأقصى. ومسجدي هذا)**. (البخاري. صحيح البخاري. ج1. ص: 181) **وفي حديث ثالث ورد أن من مات في أثناء زيارته لمسجد بيت المقدس مات شهيداً**. (البرهان فوري. 1975. ج13. ص 234).

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم- **أن المسجد الأقصى هو ثاني مسجد أسس على الأرض بعد المسجد الحرام. وأن الصلاة فيه تغسل الذنوب والخطايا. فيخرج المصلي فيه من ذنوبه كيوم ولدته أمه.** (ابن ماجة. 1953. ص: 248. 451). **وأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر. وأن الله سبحانه وتعالى ينصب عرشه يوم القيامة على صخرة بيت المقدس. ثم يقضي بين عباده. فيصيرون بعد ذلك إلى الجنة أو النار** (البرهان فوري. 1975. ج17. ص: 119. ابن

الجوزي، فضائل بيت المقدس، ص: 140).

وشجع الرسول - صلى الله عليه وسلم- أصحابه على الاستقرار في بيت المقدس بعد فتحه، فنسب إليه قوله: (خيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم). وفي حديث آخر: (لا تقوم الساعة حتى يسوق الله خيار عباده إلى بيت المقدس والأرض المقدسة فيسكنهم إياها). وقد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم- على عددٍ من أصحابه أن يسكنوا بيت المقدس بعد فتحها، منهم شداد بن أوس الأنصاري، وذو الإصبع الجهني، فنزلوها مع ذريتهم امتثالاً لأمر رسول الله . وذكر ابن العبري أن بعض الصحابة فكّر في دفن النبي في القدس بعد وفاته، لأنها مدفن الأنبياء (أبو داود، 1950، ج3، ص: 7، ابن الجوزي، فضائل بيت المقدس، ص: 95-94، ابن العبري، 1890، ص: 95، أبو الرب، 2002، ص: 194-193).

2.2 مكانتها في التراث الإسلامي

نظراً لمكانة القدس الدينية عند المسلمين فقد زارها الخليفة عمر بن الخطاب، وبنى فيها مسجداً، وأقام فيها عدة أيام، الأمر الذي لم يفعله مع غيرها من المدن المفتوحة. وأوقف الخليفة عثمان عين سلوان على فقرائها. وحرص العديد من الخلفاء الأمويين عند توليهم الخلافة على أخذ البيعة من الناس في بيت المقدس، فقد أخذ كلّ من: معاوية وعبد الملك وابنيه الوليد وسليمان، بيعتهم بالخلافة في المسجد الأقصى؛ لإكسابها مزيداً من الشرعية والحُرمة، وكسب احترام المسلمين لهم. ونظراً لحرمتها عند المسلمين فقد أمر عمر بن عبد العزيز عمّال سليمان أن يحلفوا عند صخرة بيت المقدس أنهم لم يختلسوا شيئاً من أموال الدولة. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 5، ص: 161، الكفافي وآخرون، 2001، ص: 51، أبو الرب، 2002، ص: 196-195).

وشجّع الخلفاء الأمويون الحركة العلمية في المدينة بإغداقهم الأموال على علمائها وقرّائها، ومشاركتهم في حلقات العلم التي كانت تعقد فيها، وإقامتهم علاقات قوية مع كبّار فقهائها؛ فقد ربطت الوليد بن عبد الملك علاقات قوية بفقيهها وواعظها إبراهيم بن أبي عبلة المقدسي الذي كان دائم الثناء على الوليد بعد وفاته، وقد حظي هذا الفقيه باحترام الخلفاء الأمويين الذين جاؤوا بعد الوليد، يدل على ذلك قول الخليفة هشام له: يا إبراهيم، إنّا قد عرفناك صغيراً، واختبرناك كبيراً، فرضينا سيرتك وحالك.

وربطت عبد الملك وابنه سليمان، وعمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك، صلات وثيقة بالفقيه المقدسي المشهور رجاء بن حيوة الكندي. (ابو زرعة الدمشقي، 1972، ص: 301، العسلي(تحرير)، 1992، القدس في التاريخ ص: 136، ابو الرب، 2002، ص: 196-195، 438-436، فوزي وحسين، 1999، ص: 57-56، الكفافي وآخرون، 2001، ص: 51).

وألفت عشرات الكتب في فضائل القدس ومكانتها عند المسلمين بعضها منشور وبعضها الآخر لا يزال مخطوطاً، ومنها على سبيل المثال: فضائل بيت المقدس، لابن الجوزي، والأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، لمجير الدين الحنبلي، وإتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، للمنهاجي الأسيوطي. (الكفافي واخرون، 2001، ص: 53-51).

إن مكانة القدس الدينية التي نصّ عليها الكتاب والسنة، وأكدتها أقوال كبار الصحابة والتابعين لعبت دوراً كبيراً في جذب المهاجرين من مختلف أمصار الدولة الإسلامية آنذاك، ونشَّطتْ الحركة العلمية فيها من خلال تردد كثير من علماء الأمصار الأخرى عليها؛ للعبادة، والزيارة، والعلم، والتعليم، كما دفعت قدسيتها الخلفاء إلى إبداء عناية خاصة بها وبأهلها طوال عهد الراشدين والأمويين، فأسهموا بذلك في تأكيد الهوية العربية للقدس بما تركوه فيها من شواهد وآثار. (ابو الرب، 2002، ص: 197).

تدريب (1)

اذكر ثلاثة أدلة تربط القدس بعقيدة المسلمين.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. بيّن كيف عبّر الخلفاء الأمويون عن اهتمامهم بمدينة القدس.
2. حرص العديد من الخلفاء الأمويين على أخذ بيعتهم في القدس، علّل ذلك.

1.3 فتح بيت المقدس: أسبابه وتاريخه

يعد فتح بيت المقدس جزءاً من فتح فلسطين، والذي جاء استكمالاً لاستراتيجية الرسول - صلى الله عليه وسلم- بهذا الخصوص، والمتمثلة برسله وسراياه إلى فلسطين، وهدفها تبليغ رسالة الإسلام إلى أهلها، وتخليصها من الروم، وقد بلغ عددها في حياته ست حملات هي: حملة حسمى سنة 7هـ وذات السلاسل، وذات أطلاح سنة 8 هـ وتبوك سنة 9 هـ ثم حملة أسامة سنة 11هـ التي أراد أن يرسلها إلى (يبنى) في جنوب فلسطين، وتوفي – صلى الله عليه وسلم- وهو يوصي بإنفاذها، فأنفذها الخليفة أبو بكر من بعده، وتبعتها حملة خالد بن سعيد إلى تيماء سنة 13هـ في خلافة أبي بكر، وكان الغرض من هذه الحملات استطلاعيا بالدرجة الأولى: فهي تهدف إلى اختبار قوة البيزنطيين وحلفائهم من العرب، ومعرفة أساليب قتالهم، وإخضاع القبائل العربية فيها وإدخالها في الإسلام، وقد أسفرت تلك الحملات عن تحرير الحصون الحدودية في ولاية فلسطين الثالثة مثل: أيلة، وأذرح، والجرباء، وفتحت الطريق أمام المسلمين إلى وادي عربة وغزة، وبالفعل فقد دخلت جيوش الفتح من هذه المناطق إلى فلسطين في خلافتي أبي بكر وعمر. (أبو الرب، 2002، ص: 96-93). وهو ما أكده أبو بكر في كلمته بالمسلمين عندما استنفرهم لفتح الشام حين قال: (اعلموا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كان عوّل أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه). (الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص: 5).

ومن أبرز أسباب الفتح القيام بفريضة الجهاد من أجل تبليغ الرسالة، وحماية الأمة، والدفاع عن كرامتها ومكتسباتها، وهو ما أكده الخليفة أبو بكر في خطبته بالمسلمين بعد استخلافه إذ حضّهم على الجهاد وحذّرهم من تركه قائلاً: (لا يدع قومٌ الجهاد في سبيل الله فإنه لا يدعه قومٌ إلا ضربهم الله بالذل). وقال للمهاجرين والأنصار في المدينة يستنفرهم لفتح الشام: (رأيت أن استنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته هي العليا)، وكتب إلى أهل اليمن بمثل ذلك، ولم يكن الجهاد لإعلاء كلمة الله هو الهدف الأول عند الخلافة وحدها، بل كان أيضا هدف القادة والمقاتلين، وهو ما أكدته كلمات المسلمين الذين

لبوا دعوة الخليفة من أهل الحجاز واليمن. وسعت الخلافة من خلال فتح فلسطين إلى تحرير الأرض العربية من الاحتلال البيزنطي. فقد قال أبو بكر الصديق للعرب عندما استنفرهم لفتح الشام: (إني عزمت أن أوجهكم إلى الشام لتأخذوها من أيدي الكفار). وهذا ما أكده خالد بن الوليد بكتابه إلى المقاتلين في الشام بأنها أرض عربية يسعون لتحريرها من بيزنطة وخاصةً أنها أولى القبلتين وفيها ثالث الحرمين. (الأزدي «فتوح الشام». ص: 71. أبو الرب. 2002. ص: 157-155).

وأسهم توحيد القبائل العربية تحت راية الإسلام في إنعاش القوى الكامنة في العرب وإيقاظها. وأسهمت حروب الردة في إثارة الروح العسكرية عندهم. وكان لا بد من إشغالهم في الجهاد ضد عدو خارجي. لحماية الدين والمبدأ وكيان الأمة من الأخطار الخارجية بدلاً من تفريغ طاقاتهم العسكرية في الصراع الداخلي. (الدوري. 1983. ص: 52)

أما الحصول على الغنائم والمكاسب المادية فكان من الأسباب الثانوية للفتح. وكانت في الغالب نتيجة لا هدفاً. ولم تكن بأي حال من الأحوال تتقدم على الهدف الأسمى المتمثل في الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله. وهذا ينفي ما ذهبت إليه بعض الدراسات الحديثة من رد أسباب الفتح إلى دوافع اقتصادية صرفة يأتي في مقدمتها جدب الجزيرة. وعجز مواردها عن سد حاجة أهلها. وخصوبة أراضي فلسطين وسوريا التي جذبت الفاتحين إليها. وقد اعتمد أصحاب هذا الرأي على الدعاية البيزنطية التي كانت تروّج لذلك كجزء من حربهم النفسية ضد العرب والمسلمين. التي تصف العرب بأنهم جياع وعراة. وتدعوهم للعودة من حيث أتوا مقابل بعض الأموال والملابس التي تسد عوزهم وتستر عوراتهم. ولكن العرب رفضوا تلك العروض جميعاً. وأصروا على المضي قدما في عمليات الفتح مهما كلّفهم ذلك. فكيف لهم أن يعلموا سلفا بأنهم سينتصرون على الخصم؟ وتتدفق عليهم الغنائم؟! (أبو الرب. 2002. ص: 103-98. الدوري. 1983. ص: 53-52).

وتختلف الروايات في تحديد تاريخ فتح بيت المقدس. فيجعله سيف بن عمر التميمي الكوفي في سنة 15هـ. (الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج3. ص: 608). وتجعله أكثر الروايات المسندة إلى رواة قريبين من الحدث زمانا ومكانا مثل: يزيد بن عبيدة الدمشقي. والوليد بن مسلم الدمشقي. وابن الكلبي. واليعقوبي. وابن البطريق سنة 16هـ. (أبو زرعة الدمشقي. 1972. ص: 135-134. خليفة

ابن خياط، 1981، قسم 1، ص: 124، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص: 137-136، ابن البطريق، 1909، ج2، ص: 18، العسلي (تحرير) 1992، ص: 132). وانفرد أبو حفص الدمشقي بالقول بأنها فتحت سنة 17هـ. (البلاذري، فتوح البلدان، ص: 188) والأرجح أنها فُتحت بعد مجيء عمر إلى الجابية سنة 16هـ؛ لأن عمر لم يدخل فلسطين إلا في تلك السنة.

تدريب (2)

اذكر أهداف الحملات التي وجهها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حياته إلى جنوب فلسطين.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

ناقش الروايات التي تناولت تاريخ فتح القدس، ورجّح إحداها.

2.3 مجريات الفتح والعهدة العمرية

1.2.3 مجريات الفتح

توجه المسلمون بعد انتصارهم في معركة اليرموك سنة (15هـ) لتحرير فلسطين، وبدأوا ببيت المقدس بناءً على أمر الخليفة عمر بن الخطاب، وهناك روايتان عن كيفية تحرير المدينة. تفيد الأولى منها- وهي الأكثر شيوعاً - أن أبا عبيدة عامر بن الجراح ومعه بقية قادة فتح الشام حاصروا بيت المقدس مدة أربعة أشهر في فصل الشتاء البارد الماطر، وضيقوا على أهلها حتى طلبوا الأمان، على أن يكون الخليفة هو الذي يتولى توقيعه لهم، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يطلب منه القدوم لتوقيع الأمان لأهلها، فسار عمر إلى الجابية، ومنها إلى بيت المقدس وفتحها صلحاً، ووقّع الأمان لأهلها. (الواقدي، «فتوح الشام»، ج1، ص:229، البلاذري، فتوح البلدان، ص: 189، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص: 136)

أما الرواية الثانية فتفيد أن الخليفة عمر قدم إلى الجابية لتنظيم شؤون البلاد المفتوحة من

تلقاء نفسه، ودون طلبٍ من أحد. ومنها أرسل خالد بن ثابت الفهمي من قيس عيلان إلى بيت المقدس، فحاصرها حتى طلب أهلها الأمان، فأعطاهم ذلك، واشترط عليهم ألاّ يكون اتفاقه معهم ساري المفعول إلا بعد موافقة الخليفة، وتصديقه عليه، وكتب إلى عمر بذلك فجاء عمر، ووقّع على اتفاقية خالد بن ثابت وأقرها. (أبو عبيد، «الأموال»، ص: 169، البلاذري، فتوح البلدان، ص: 189، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص: 9). ويذكر الدكتور الدوري أن المدينة المقدسة لم يكن لها تلك الأهمية العسكرية، ولم يكن في وسعها الإصرار على شروطٍ غير عادية مع الفاتحين، وأن التسليم والصلح تم تحت إشراف أبي عبيدة، وأن الخليفة عمر جاء في ذلك الوقت إلى الجابية لتفقد القوات العربية في الشام، ثمّ زار بيت المقدس بعدئذٍ لكونه بلد الإسراء والمعراج وأولى القبلتين، ولعل زيارته عدت إقراراً للصلح، وربما كان هذا وراء الروايات التي أوردت شرط حضوره من أجل تسليم المدينة. (العسلي، 1992، ص: 132) وهذا ما تؤكده الرواية الكنسيّة التي تقول: إنّ القدس لم يكن باستطاعتها الصمود أكثر من أربعة أشهر؛ لانقطاع الإمدادات عنها، وقلة عدد أفراد حاميتها التي لا تزيد على عشرة آلاف مقاتل. (شحادة ونقولا خوري، 1925، ص: 39)

2.2.3 العهدة العمرية

تختلف الروايات في تحديد بنود اتفاقية الصلح ونصوصها، والعناصر السكانية التي شملتها في المدينة، فيذكر اليعقوبي أن هناك خلافاً حول الجهة التي وُقّعت معها الاتفاقية من أهل القدس، النصارى أم اليهود؟ ثمّ يقول: المجمع عليه أن هذا الصلح للنصارى، ونصّه: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس، إنكم أمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم ألا تسكن ولا تُخرّب إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً). ويتطابق معه النص الذي أورده ابن البطريق عن الصلح. ويورد ابن الجوزي نصاً مشابهاً لما ورد عند اليعقوبي وابن البطريق، غير أنه يتضمن إضافاتٍ تتعلق بالسماح لمن يرغب من الروم في مغادرة المدينة، وبفرض الجزية على أهلها، ونصّه: (إني قد أمّنتكم على دمائكم وأموالكم وذراريكم وصلاتكم وبيعكم، ولا تكلفوا فوق طاقتكم، ومن أراد أن يلحق بأهله فله الأمان، وأن عليكم الخراج كما على مدائن فلسطين، شهد عبد الرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، ومعاوية). ويقدم

المقدسي نصاً أكثر اختصاراً لشروط الصلح فيقول: إن عمر صالح أهل إيلياء على أن لا تُهدم كنائسها، ولا يجلى رهبانها. (اليعقوبي. «تاريخ اليعقوبي». ج2. ص: 136. ابن البطريق. 1909. ج2. ص:170. المقدسي. 1919. ج5. ص: 85. ابن الجوزي. فضائل بيت المقدس. ص124-123).

وتتميز النصوص السابقة بالاختصار، وعدم احتوائها على أيّ بنودٍ تتصل بمعاملة اليهود فيها. وأنها جميعاً لا تحمل تاريخاً لصدورها. وهي باستثناء ما ورد عند ابن الجوزي لم تشر إلى الضرائب التي فرضت على أهل المدينة. وهي تنسجم مع نصوص معاهدات الصلح التي وقعها المسلمون آنذاك مع المدن الأخرى في الشام، وغيرها. الأمر الذي يعطيها مزيداً من المصداقية وبخاصة أن الخليفة عمر بن الخطاب اتخذ قراراً باعتماد التاريخ الهجري تقويماً للمسلمين سنة 16هـ. وتورد المصادر السريانية نصاً مختصراً لأمان عمر يتفق مع النصوص التي وردت في المصادر السابقة. وركزت فيه على أن صفرينوس بطريرك القدس (أخذ الأمان من عمر بن الخطاب لبيت المقدس وجميع مدن فلسطين). وأن كتاب الأمان تضمن شرطاً يحرم على اليهود أن يسكنوا بيت المقدس هذا نصه: (برئت الذمة من يهودي وجدناه في أورشليم من يومنا هذا. فمن وجدناه فقد حلّت به العقوبة في شعره وبشره وماله). (المنبجي. المنتخب من تاريخ المنبجي. ص: 103. أبو الرب. 2002. ص: 138)

وأورد سيف بن عمر التميمي الكوفي نصاً أطول للاتفاقية وأكثر تفصيلاً من النصوص السابقة جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم. ولا ينتقص منها. ولا من حيّزها. ولا من صُلُبهم. ولا من شيء من أموالهم. ولا يكرهون عن دينهم. ولا يضار أحدٌ منهم. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. على أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن. وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم. ويخلي بيعهم وصلبهم. فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان من أهل الأرض قبل مقتل فلان. فمن شاء منهم قعد. وعليهم

مثل ما على إيلياء من الجزية. ومن شاء رجع إلى أهله. فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسول الله وذمة الخلفاء وذمة أمير المؤمنين إذا أُعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد. وعمرو بن العاص. وعبد الرحمن بن عوف. ومعاوية بن أبي سفيان. كتب وحضر سنة (15هـ). (الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج3. ص: 609. مجير الدين الحنبلي. الأنس الجليل. ج1. ص: 253-254).

ونص الاتفاقية حسب رواية سيف بن عمر يلزم أهل القدس بدفع الجزية. وطرد الروم منها. مقابل إعطائهم الأمان على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم. وهي تشير إلى تجمّع أهل الأرياف في القدس في أثناء حصارها. وأن الأمان شملهم. وسمح لهم بالبقاء في المدينة على الشروط نفسها التي أُلزم بها أهل القدس. وأن من رغب منهم في العودة إلى أرضه فإنه لن يؤخذ منه خراج قبل جمع محصوله. وأن باستطاعة من شاء من الروم البقاء فيها على أن يلتزم بشروط الصلح. وفي مقدمتها دفع الجزية. وأن نصارى المدينة حصلوا بموجبها على تعهدٍ بعدم السماح لليهود بالسكن في المدينة. وأنها وُقعت بتاريخ (15هـ). الأمر الذي يشكك بدقتها؛ لأن المسلمين لم يعتمدوا الهجرة تاريخاً أو تقويماً لهم إلا سنة (16هـ) (الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج4. ص: 209). ويؤيد ما ذهبنا إليه ما ذكره الدوري عن نص العهدة المطول إذ قال: (إن نص العهدة قد تطور بحيث ضُمّن شروطاً لا علاقة لها بزمان الفتح. واكتسب صيغةً فقهيةً وُضِعَت لتنظيم أوضاع قتالية). (العسلي (تحرير). 1992. ص: 134) ويؤكد ما ذهبنا إليه ما رواه الواقدي أن يهود بيت المقدس وعددهم عشرون شخصا بزعامة يوسف بن نون جاؤوا إلى عمر في الجابية سنة (16هـ). وطلبوا منه الأمان. فألزمهم بدفع الجزية. ومنحهم أماناً هذا نصّه: (بسم الله الرحمن الرحيم. أنتم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم ما لم تحدثوا حدثاً أو تؤووا محدثاً. فمن أحدث منكم أو آوى محدثاً فقد برئت منه ذمة الله. وإني بريء من معرة الجيش. شهد معاذ بن جبل. وأبو عبيدة. وأُبي بن كعب). (البرهان فوري. 1975. ج4. ص: 308). وقد عمل هؤلاء اليهود فيما بعد في تنظيف الأقصى وصناعة قناديله زمن عبد الملك بن مروان. وهذا ينفي النص الذي اشتملت عليه رواية سيف بأن العهدة العمرية نصت على منع اليهود من سكن القدس. والذي يعبر عن رغبة النصارى بإبعاد اليهود عن القدس. ويمثل القيود التي

فرضها هرقل عليهم والتي تقضي بمنعهم من دخول المدينة أو الاقتراب منها بعد تعاونهم مع الاحتلال الفارسي ضد الروم. وهذا يشير إلى أن النصارى أضافوا إلى نص العهدة التي منحها لهم عمر نصوصاً لصالحهم. وهو ما تؤكده الرواية القبطيّة التي تقول أن شرط منع اليهود من الإقامة في القدس الوارد في العهدة العمرية في رواية سيف بن عمر هو تحَقُّظ أضافه البطريرك إلى نص العهدة خوفاً من انتقام اليهود من المسيحيين كما فعلوا أيام احتلال الفرس لإيلياء. (سقوط أورشليم.. المعاهدات المبرمة بين البيزنطيين والعرب: (10.9.2006)

.(http://www.coptichistory.org

تدريب (3)

اذكر عدد أفراد حامية القدس البيزنطية. والمدة التي استغرقها فتح المدينة.

أسئلة التقويم الذاتي (3)

- قارن بين نصوص العهدة العمرية في رواية سيف بن عمر ونصوصها عند اليعقوبي، وابن الجوزي.

- أضاف المسيحيون إلى العهدة العمرية بنوداً لم تكن من وضع الخليفة عمر. وضّح ذلك.

3.3 السكان

العرب: أنزل عمر بن الخطاب في القدس بعد فتحها سنة 16هـ/638م نصف الجيش المخصص لفتح فلسطين والذي يقارب ثلاثة آلاف مقاتل. بقيادة علقمة بن مجزز الكناني. وتذكر المصادر أسماء العديد من الصحابة والتابعين الذين استقروا فيها بعد فتحها. ومعظمهم من اليمانية. ومن قبيلتي كنانة وقريش. إضافة إلى عدد قليل من قبيلتي ربيعة وقيس عيلان. ويأتي في مقدمة القبائل اليمانية التي نزلت فيها قبيلة الأزد. ولا سيّما الأنصار منهم. فقد استقر العديد من الأنصار وأبنائهم في القدس. فكان ربع من حضر فتحها مع عمر بن الخطاب

منهم، وأبرز من نزلها منهم الصحابي العقبي البدري عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري الذي توفي ودفن فيها سنة 34هـ في مقبرة باب الرحمة بجانب السور الشرقي للمدينة. وقد نزل مع عبادة زوجاته وأولاده ومواليه. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص: 610، البخاري، التاريخ الكبير، ج3، ق2، ص: 49، 92، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج26، ص: 83، 208، أبو زرعة الدمشقي، 1972، ص: 169-170، ومجير الدين الحنبلي، 1973، ج1، ص: 261، ابن حبّان، 1973، ج2، ص: 248، وج4، ص: 260، ابن ماكولا، 1991، ج3، ص: 131، أبو الرب، 2002، ص: 188). ومنهم الصحابي شداد بن أوس الأنصاري الخزرجي الذي توفي ودفن فيها سنة 58هـ في مقبرة باب الرحمة إلى جانب عبادة بن الصامت. وكان شداد قد نزل فيها امتثالاً لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومعه زوجته وأبناؤه الخمسة، وأشهرهم ابنه يعلى بن شداد الذي كان من كبار المحدّثين في عصره. و الصحابي عبدالله بن عمرو بن قيس الخزرجي المعروف بكنيته (أبو أبي ابن أم حرام)، والصحابي أبو محمد الخزرجي الأنصاري، والتابعي محمود بن الربيع الخزرجي الأنصاري، وغيرهم كثير لا يتسع المجال لذكرهم هنا. (ابن سعد، 1957، ج7، ص: 401-402، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج22، ص: 407-414، مجير الدين الحنبلي، 1973، ج1، ص: 6، 263).

وتورد المصادر أسماء العديد من بطون قبيلة الأزد الذين استقروا ببيت المقدس من غير الأنصار دون أن تذكر أسماء البطون التي ينتمون إليها منهم الصحابي أبو ريحانة، وشمعون الأزدي وأبناؤه ومواليه. (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 23، ص: 193، ابن الأثير، 1970، ج3، ص: 391). ومن القبائل اليمنية الأخرى التي استقرت في القدس قبيلة حمير، وأشهر من نزل فيها منهم الصحابي سلامة بن قيصر الحضرمي الحميري وأبناؤه، والتابعية أم الدرداء هجمية بنت حيي الأوصابية الحميرية ومواليها. (مجير الدين الحنبلي، 1973، ج1، ص: 226، 273، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 17، ص: 27).

ونزل فيها أيضاً عدد من أبناء قبيلة قضاعة من بطني جهينة ومذحج وأبرزهم الصحابي ذو الأصبع الجهني، والتابعي عبدالله بن بشير الجهني، والتابعي صالح بن جبير الصدائي المذحجي. (ابن حبّان، 1973، ج3، ص: 19، ج5، ص: 190، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج23، ص: 223). ونزل فيها عدد من أبناء قبيلة كندة وأشهرهم التابعي رجاء بن حيوة الكندي وأبناؤه. وعدد من أبناء قبيلتي

لخم وجذام من بطون بني مرة وبني شجاع وبني الفيض. وعدد من الأبناء في اليمن الذين شاركوا في فتح المدينة. (ابن حبّان، 1973، ج7، ص: 119، 391، 621، ج4، ص: 283، ابن عساكر، «تاريخ مدينة دمشق»، ج18، ص: 108، ج25، ص: 246، ناصر، 1994، ص: 117). واستقر في المدينة أيضاً عدد من أبناء قبيلة كنانة وأشهرهم علقمة بن مجزز الكناني أحد قادة الجيش الذين شاركوا في فتحها. والصحابي واثلة بن الأسقع الكناني وأسرته. وبعض أقاربه. (الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص: 610، مجير الدين الحنبلي، 1973، ج1، ص: 64، ابن حبّان، 1973، ج4، ص: 242، 296، وج7، ص: 585).

واستقر فيها عدد من القرشيين من بطني جمح وسهم. وبني شيبة من بني أمية. وأشهرهم عبدالله بن محيريز الجمحي القرشي. (البخاري، التاريخ الكبير، ج3، ق1، ص: 33، ابن حبّان، 1973، ج7، ص: 78، أبو زرعة الدمشقي، 1972، ص: 247، ناصر، 1994، ص: 117). ونزل فيها بعض أبناء قبيلة قيس عيلان من بطون نمير، وهوازن، وثقيف، وباهلة، وقُشير، وأشهرهم الصحابي أبو أمامة الباهلي، والتابعي أبو عبلة شمر بن يقظان العقيلي وابنه الفقيه إبراهيم بن أبي عبلة الذي كانت تربطه علاقات وثيقة بخلفاء بني أمية وبخاصة الوليد بن عبد الملك. (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج6، ص: 427، ج24، ص: 58، مجير الدين الحنبلي، 1973، ج1، ص: 265، ابن أبي حاتم، 1952، ج2، ق1، ص: 336، ج2، ق2، ص: 275).

ويلاحظ، عزيزي الدارس، كثافة الاستقرار العربي في القدس في زمن الراشدين، وخصوصاً من جيلي الصحابة والتابعين الذين نزلوا فيها فصارت دار إقامة لهم ولذراريهم من بعدهم، وأكثرهم من الأنصار والمهاجرين، من الأزد وقريش. (عثامنة، 2000، ص: 71-70)، (أبو الرب، 2002، ص: 168-172).

وأقام في القدس إلى جانب المسلمين عدد من نصارى العرب والروم، وكانوا ينزلون في الجزء الشمالي منها، وقد منحهم عمر بن الخطاب أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم. وظل النصارى يشكلون نسبة كبيرة من سكانها حتى نهاية عهد الراشدين، وكانوا يعيشون مع المسلمين في وئام وسلام. وأقام بها إلى جانب المسلمين والنصارى شرذمة من اليهود لا يتجاوز عدد أفرادها عشرين فرداً. ويبدو أنهم كانوا من المتدينين الفقراء. (البرمان فوري، 1975، ج4، ص: 308، الطبري، «الرسل والملوك»، ج3، ص: 610، Wright, 1884, p: 1-3).

وقد عمل العرب المسلمون من أهلها في الإدارة والجيش ولاة وقضاة وكتّاباً ومقاتلين. وعمل بعضهم في التعليم. وعمل أكثر النصارى فيها في الحرف اليدوية والتجارة. وشغل بعضهم مناصب إدارية في الدولة. فعملوا كتّاباً في ديوان الخراج. وعمل قلة منهم أطباء للخلفاء والولاة. وعملت الشرذمة اليهودية فيها خدماً وعمال تنظيفات في الحرم القدسي. ويعود احتكار أهل الذمة للحرف اليدوية في المدينة إلى انشغال العرب المسلمين في صدر الإسلام بالجهاد والفتوحات. (ابو الرب. 2002. ص: 212-206).

تدريب (4)

سمّ أربع قبائل يمنية نزلت في مدينة القدس بعد الفتح.

أسئلة التقويم الذاتي(4)

1. اذكر المهن التي عمل المسلمون وأهل الذمة بها في القدس زمن الخلفاء الراشدين.
2. اذكر أسماء اثنين من كبار الصحابة الذين نزلوا في القدس استجابة لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

4.3 الإدارة

قسم عمر بن الخطاب الشام بعد فتحها إلى أجناد. وبموجب هذا النظام وزعت الأراضي التي كانت تابعة لفلسطين في العهد البيزنطي على جندين. فصارت فلسطين الثانية هي جند الأردن بعد الفتح وعاصمته مدينة طبرية. وشكّلت أراضي كل من فلسطين الأولى والثالثة جند فلسطين وعاصمته اللد. ومثّلت بيسان واللجون حدوده الشمالية مع جند الأردن. ومثّلت أيله على البحر الأحمر أقصى نقطة في حدوده الجنوبية. في حين شكل كل من البحر الأبيض المتوسط. وصحراء سيناء المصرية حدوده الغربية. وشكلت السفوح الغربية لجبال البلقاء والشراة حدوده الشرقية. وقد قُسّم جند فلسطين بدوره إلى وحدات إدارية سميت كل منها كورة. ولكل كورة منها قصبة وريف يضم عدداً من البلدات والقرى. وكانت كورة بيت المقدس

إحدى الكور التابعة لجند فلسطين. (ابو الرب، 2002، ص: 252-248، عاقل، 1990، ص: 301-300).

وذكر المقدسي أن حدود كورة بيت المقدس تمتد إلى «ما حول إيلياء إلى أربعين ميلاً، يدخل في ذلك القصبة ومدنها، واثني عشر ميلاً من البحر الميت، وصغر ومآب، وخمسة أميال من البادية، ومن القبلة إلى ما وراء الكسيفة وما يحاذيها، ومن قبل الشمال تخوم نابلس». ويتبع لها ضمن هذه الحدود كل من المدن والبلدات الآتية: بيت لحم، وبيت جبران، والعروب، وسعير، وعينون، ومار صموئيل، عابود، ويبرود، وصدر وصحن، وسلوان. (المقدسي، 1906، ص: 174، ابو الرب، 2002، ص: 255).

ومن أهم المؤسسات الإدارية التي كانت موجودة في فلسطين إمارة الجند، ودواوين الجند، والخراج، والرسائل، وبيت المال، والقضاء، والقصص، ودور السكة (ضرب النقود). ويتألف الجهاز الإداري لجند فلسطين من الوالي وعماله على الكور والمدن، وبيت المال، والدواوين، والشرطة، والحجابة، والقضاء، والقصص، والمعلومات المتوافرة عن المؤسسات الإدارية وموظفيها في فلسطين، باستثناء ولاتها، قليلة ونادرة، وهي عن مدينة القدس أكثر ندرة، فهي تقتصر على عمال بعض الوظائف، مثل عامل بيت المقدس حيث تولى هذا المنصب في خلافة عمر بن الخطاب (16-23هـ) كل من علقمة بن مجزز الكناني، وآخر اسمه عبد لم يذكر اسم أبيه أو قبيلته، وعبادة بن الصامت الأنصاري. وشغل منصب عامل بيت المقدس في خلافة عثمان (24-35هـ) كل من شداد بن أوس الأنصاري، وتميم بن أوس الداري، وتولاه في أثناء الفتنة (35-40هـ) سلامة بن قيصر الحضرميّ. وترد أسماء بعض من تولى القضاء والقصص في بيت المقدس زمن الراشدين، فيذكر أن عبادة بن الصامت تولى القضاء في خلافتي عمر وعثمان، وأن الصحابيين تميم الداري وأبا ريحانه شمعون الأزدي شغلا وظيفة القاص (الواعظ) في مسجد بيت المقدس، ويلاحظ أن بعضهم جمع بين وظيفتي عامل الكورة والقضاء مثل عبادة بن الصامت، كما يلاحظ أنهم جميعاً كانوا من كبار الصحابة والتابعين، وأن جلهم من سكان القدس، ولم تتوافر معلومات عن ممثلي الدواوين ودار الضرب في القدس زمن الراشدين. (عاقل، 1990، ص: 304-303، ابو الرب، 2002، ص: 269-267). ويبدو أن عدم وفرة المعلومات عن المؤسسات والوظائف الإدارية فيها يعود إلى أنها لم تكن عاصمة إدارية لجند فلسطين.

تدريب (5)

اذكر أسماء عمّال مدينة بيت المقدس زمن الراشدين.

أسئلة التقويم الذاتي (5)

1. بيّن حدود كورة القدس في عهد الراشدين.
2. من أول من تولى القضاء في القدس زمن الراشدين؟

4. القدس في عهد الخلفاء الأمويين

1.4 السكان

مرّ بنا، عزيزي الدارس، أن القدس شهدت استقراراً كثيفاً للقبائل العربية فيها زمن الراشدين، وأن أكثر من نزل فيها منهم كانوا من اليمانية من قبائل الأزد، ولخم، وجذام، وحمير، وكندة، ومذجح، ومن الأبناء في اليمن، ومن كنانة، وقريش، وقيس عيلان، ومعهم مواليهم وأسرهم. وقد تحوّل إلى فلسطين في العصر الأموي عدد من العرب العراقيين والخراسانيين واستقروا في بيت المقدس، فقد نقل الخليفة معاوية بعض أنصار الإمام علي المخلصين إلى فلسطين ومنهم القعقاع بن عمرو التميمي وأنزله في بيت المقدس، ويبدو أنه انتقل معه إلى القدس بعض أفراد أسرته وأبناء عمومته من بني مجاشع التميمي قوم الفرزدق. (الطبري، «الرسل والملوك»، ج3، ص: 275، غنامة، 2000، ص: 37).

وتحول عطاء الخراساني (50-135هـ) من بلخ في خراسان إلى فلسطين، واستقر هو وأبناؤه في بيت المقدس في خلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ). وانتقل عبدالله بن شوذب البلخي (ت: 156هـ) من بلخ إلى فلسطين واستقر في بيت المقدس. كما تحول صدقة بن يزيد الخراساني وعبدالله بن هارون الفريابي إلى فلسطين في العصر الأموي واستقروا ببيت

المقدس، وانتقل إليها عدد من الزهاد والعباد من الأمصار كافة، واستقروا في بيت المقدس طلباً للعلم والعبادة، منهم حماد بن عبدالله بن أبي صالح المكي، والعابد الزاهد إبراهيم بن أدهم السبيعي من بكر وائل، وذلك ضمن قائمة طويلة من طلبة العلم الذين تقاطروا على المدينة، واستقروا فيها، والذين تجاوز عددهم سبعة وسبعين رجلاً. وزارها عدد كبير من طلبة العلم من العراق وأجناد الشام والحجاز ومصر؛ لدراسة الفقه، وسماع الحديث من كبار علمائها من الصحابة والتابعين أمثال: عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، ورجاء بن حيوة الكندي، وعبدالله بن محيريز، وإبراهيم بن أبي عبلة العقيلي، (أبو الرب، 2002، ص: 184، 410، 421، 428-430).

1.1.4 أهل الذمة

النصارى: كان النصارى الروم ينزلون في القسم الشمالي من المدينة، ويتوقع أن الجنود منهم غادروها مع عائلاتهم وحل العرب المسلمون محلهم، إذ انحصر سكن مسيحيي القدس بعد الفتح في المنطقة الواقعة بين باب العمود وكنيسة القيامة، وباب الخليل، وهو ما تؤكده مصادر الكنيسة الأرثوذكسية التي تقول أن عدد المسيحيين في فلسطين قد تناقص بعد الفتح، وقدر عددهم في مطلع خلافة معاوية بنحو ثلاثة وأربعين ألف نسمة في كل أرجاء فلسطين، في حين كان عدد المسلمين لا يقل عن خمسة عشر ألف نسمة، لأن مسجدها الذي شاهده الرحالة أركولف يتسع لثلاثة آلاف رجل (Wright, 1884, P: 1-3, 18-19، خوري، 1925، ص: 67، قزاقيا، 1924، ص: 56).

ويبدو أن تناقص أعدادهم في فلسطين لم يؤثر في وضع الكنائس في القدس بسبب استمرار تدفق الزوار والحجاج المسيحيين عليها من فلسطين وخارجها، كما تشهد بذلك كتب الرحالة النصارى الذين زاروا المدينة في تلك الحقبة، فقد ذكر الأسقف أركولف الفرنسي الذي زارها سنة 700م/80 هـ أن كنائسها كانت عامرة وتعج بالمسيحيين، وشهد بذلك أيضاً الرحالة ولّبالد الذي زار المدينة سنة 722م/104هـ، وهو يتفق مع ما ذكره ابن المدينة العربي المقدسي البشاري (ت: 380هـ / 740م) الذي ذكر نقلاً عن أحد أجداده أن من بين الأسباب التي دفعت الخليفة عبد الملك إلى بناء قبة الصخرة هو منافسة الكنائس المسيحية الفخمة فيها مثل

كنيسة القيامة. (المقدسي 1906. ص: 159).

وأخذ عدد المسلمين فيها بالتزايد والنصارى بالتناقص بشكل ملحوظ منذ خلافة الوليد بن عبد الملك وحتى نهاية خلافة عمر بن عبد العزيز (86-101هـ)؛ لأن الكثير من النصارى فيها اعتنقوا الإسلام. وبلغ تحول النصارى فيها إلى الإسلام ذروته في نهاية العصر الأموي ومطلع العصر العباسي الأول، إذ تحول ثلث النصارى فيها إلى الإسلام. (التلمحري، 1979. ج3. ص: 399).

2.1.4 اليهود

مرّ بنا، عزيزي الدارس، أنه كان في القدس في عهد الراشدين قرابة عشرين يهودياً. وقد ارتفع عددهم في العصر الأموي إلى اثنين وأربعين يهودياً تحوّل أكثرهم إلى الإسلام (ابن حجر العسقلاني، 1910. ج3. ص: 586). وتحاول الرواية اليهودية تبرير تناقص أعدادهم بانتقال بعضهم إلى الرملة بعد تأسيسها بسبب سوء الأوضاع المعيشية في القدس (غويتاين، 1990. ص: 19) لكن الرواية العربية التي أوردها اليعقوبي تذكر أن المنتقلين إلى الرملة كانوا من السامرة الذين لا يسكنون في القدس أصلاً، وهو ما أكده خليل عثامنة الذي يقول: إن سياسة التسامح التي ميزت علاقة المسلمين باليهود في فلسطين لم تؤد إلى زيادة عددهم وإنما خففت معاناتهم فقط. (اليعقوبي، البلدان، ص: 328-329. عثامنة، 2000. ص: 165-164). وبذلك يتضح لنا، عزيزي الدارس، أن عدد اليهود في القدس لم يتجاوز طيلة عهد صدر الإسلام (1-132هـ) اثنين وأربعين يهودياً، وهو أقل من عدد موظفي بعض القنصليات الأجنبية في المدينة حالياً !

2.4 الإدارة

لم يطرأ تغيير على التقسيمات والوظائف الإدارية التي كانت سائدة في عهد الراشدين باستثناء تحويل عاصمة جند فلسطين من اللد إلى الرملة في خلافة الوليد بن عبد الملك، ولا تتوافر معلومات عن المؤسسات الإدارية وعمّالها في العصر الأموي إلاّ ما ورد عن وظيفة القاص في خلافتي الوليد وهشام ابني عبد الملك، حيث كان يشغلها إبراهيم بن أبي عبلة زمن الوليد،

ورجاء بني حيوة الكندي زمن هشام. وقد تولى وظيفة عامل المدينة عبد الملك بن مروان في خلافة والده مروان بن الحكم (64-65هـ). ثم تولاها درع بن عبدالله الخولاني (ت: 83هـ) في خلافة عبد الملك. (أبو الرب. 2002. ص: 268-269. الكفافي وآخرون. 2001. ص: 88)

تدريب (6)

اذكر أسباب انتقال بعض العراقيين والخراسانيين إلى القدس في العصر الأموي.

أسئلة التقويم الذاتي (6)

اذكر أسباب تراجع أعداد كل من المسيحيين واليهود في القدس في العصر الأموي.

3.4 المنجزات العمرانية

أظهر الخلفاء الأمويون عناية خاصّة ببيت المقدس. فشيّدوا فيها العديد من الصروح العمرانية: ليؤكدوا حرمة مسجدها: وليكسبوا الاحترام والشهرة بين المسلمين. وينسب إلى معاوية أنه رمم سورها. وبنى فيها مسجداً. وقد وصف أركولف السور في زيارته للقدس سنة (700م/80هـ). بأنه يحيط بالمدينة من جميع جهاتها. فيه أربعة وثمانون برجاً. وله ستة أبواب. كما وصف المسجد بأنه بناء مربع مبنيّ بشكل بدائيّ. ومن حجارة جُمعت من الأطلال والخرائب المجاورة. وأنه يتسع لثلاثة آلاف مصلٍ. وبنى عبد الملك في خلافته قبة الصخرة والمسجد الأقصى. وهما يُمثّلان أهم منجزات الأمويين العمرانية في فلسطين. (Wright, 1884, P:1-2). (أبو الرب. 2002. ص: 195).

1.3.4 بناء قبة الصخرة

رغب عبد الملك في بناء قبة على الصخرة المشرّفة في بيت المقدس. فكتب إلى رعيته في الأمصار يستشيرهم فيما عزم عليه. فصوّبوا رأيه وأيّدوه. وكتبوا إليه (نرى رأي أمير المؤمنين موفقاً رشيداً. وإن شاء الله يتمّ له ما نوى من بناء بيته. وصخرته. ومسجده). ورصد عبد الملك لبنائها وبناء المسجد الأقصى الفائض من خراج مصر مدة سبع سنين. وعيّن رجاء بن حيوة الكندي مشرفاً على العمل والنفقات. وجعل مولاه يزيد بن سلّام المقدسي مساعداً له. وجمع البنائين والمهندسين من مختلف أنحاء الدولة الأموية. وقدّم لهم وصفاً للقبة التي يرغب في بنائها. فبنوا له نموذجاً تجريبياً مطابقاً لوصفه عبارة عن قبّة صغيرة عرفت – فيما بعد – باسم قبّة السلسلة. وتقع إلى الشرق من قبّة الصخرة. فأعجب عبد الملك به. وأمرهم ببناء قبة الصخرة على هيئته. فشرعوا في البناء سنة 66هـ. وقيل سنة 69هـ. وفرغوا منه في أوائل سنة 72هـ. (مجير الدين الحنبلي. 1973. ج1. ص: 275-272. الكفافي. وآخرون. 2001. ص: 87-86. أبو الرب. 1992. ص: 66. العارف. 2007. ص: 189).

ووضع على مسجد الصخرة قبة من الرصاص. طليت بالذهب الذي توافر من الرصيد المخصص لبنائها. ومقداره مئة ألف دينار. إذ أمر عبد الملك رجاء بن حيوة أن يصهرها ويطلي بها القبة. فلما طُليت بالذهب صار لها بريق وهّاج يأخذ الأبصار. ونقش في الناحية الجنوبية الشرقية منها اسم الخليفة. وتاريخ البناء بالخط الكوفيّ المذهّب في عبارة تقول: (بنى هذه القبّة عبدالله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين. تقبّل الله منه. ورضي عنه. أمين). وغطّوها بكسوة من اللّباد والجلود. لتقيها من الرياح والأمطار والثلوج في فصل الشتاء. (العارف. 2007. ص: 190-189. أبو الرب. 1992. ص: 66).

وتمّ إضاءة القبّة بقناديل مُعلّقة بسلاسل نحاسيّة. تسرج بزيت مصنّع من اللّبان المدنيّ والزنبق الرصاصيّ ذي الرائحة النّفاذة. حتى أن حجّابها كانوا يتطيبون بزيت قناديلها لطيب رائحته. وكان لكل باب من أبوابها عشرة حجّاب. وكانت الصخرة لا تفتح أبوابها للناس في زمن عبد الملك إلا يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع. ولا يدخلها في الأيام الأخرى إلا الخدم والحُجّاب. الذين كانوا يقومون بتعطيرها بطيب مصنوع من الزعفران والمسك والعنبر وماء

الورد، ثم يُجمرونها بالبخور المصنوع من عود النّد والقماريّ، قبل إدخال الناس إليها، فتنتشر رائحته إلى خارجها، وتَعْلَق رائحة البخور بثياب المصليين الذين يدخلونها في اليومين المذكورين، فيُعرف أنهم صلّوا في الصخرة من رائحة البخور المنبعثة من ملابسهم.

وكان يقوم على خدمة قبة الصخرة آنذاك من كنسها وتنظيفها وصُنع الحُصُر وزجاج الثريّات والقناديل وفتائلها جماعة من اليهود والنصارى مقابل إعفائهم من الجزية، واستمر الحال على ذلك إلى خلافة عمر بن عبد العزيز، الذي استبدل بهم رفيقاً من السبيّ. وكانت تزود بالمياه بوساطة أربعة وعشرين صهريجاً ضخماً موجودة في ساحة الحرم القدسيّ. (مجير الدين الحنبلي، 1973، ج1، ص: 273-274، أبو الرب، 1992، ص: 66-67).

اختلفت المصادر في تحديد الأسباب التي دفعت عبد الملك لبناء قبة الصخرة، فيذكر اليعقوبيّ الشيعيّ الميول، والذي يَكْره الأمويين، أن عبد الملك أراد ببنائها صرف أهل الشام عن الحج إلى الكعبة في مكّة في أثناء فتنة ابن الزّبير بالحج إلى بيت المقدس، والطّواف حول قبة الصخرة كما يطوفون حول الكعبة، حتى يصرفهم عن مكة وبالتالي عن ابن الزّبير، وهذا بعيد عن الاحتمال والتصديق؛ لأنّ الطّواف حول الكعبة ركن من أركان الحج، لا يتم بالطواف حول غيرها، وهذا الأمر لا يجهله عبد الملك وهو أحد فقهاء المسلمين في عصره، ولا يقبله المسلمون الذين أيّدوه في بنائها، والأرجح هو ما ذكره مجير الدين الحنبليّ أن عبد الملك منع الناس من الحج إلى مكة في أثناء فتنة ابن الزبير خوفاً من أن يميلوا إليه، فاستاؤوا من ذلك، فأراد أن يشغلهم بعمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى عن الحج إلى مكة. (اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبيّ، ج2، ص: 112، مجير الدين الحنبلي، 1973، ج1، ص: 272، أبو الرب، 1992، ص: 67، الكفافي وآخرون، 1973، ص: 87-88).

ويضيف المقدسيّ إلى ذلك سبباً آخر هو أنّ عبد الملك بناها لينافس المسلمون بجمالها وفخامتها الكنائس المسيحية الفخمة المنتشرة في القدس، مثل كنيسة القيامة. (المقدسيّ، 1906، ص: 159). وقد حقّق الأمويون هذا الهدف، إذ تعدُّ القبة بشكلها الثمانيّ وفسيفسائها المطعّم بالذهب الذي يغطي رسوماً نباتيّة، وأهلة ونجوماً وتيجان، ورخامها المجزّع، والزخرفة بالخط العربي المتمثلة بكتابة الآيات القرآنية، وأسماء الله الحسنى، واسم النبي (صلى الله عليه وسلم)، درّة العمارة الإسلامية بلا منازع. وقد اعترف العباسيّون – بشيء من الغيرة- أن

بناء قبة الصخرة من المآثر التي سبقهم بنو أميّة إليها. (الكفافي وآخرون، 2001، ص: 91-90، العسلي، (خريس)، 1992، ص: 138).

والأهم من ذلك أن عبد الملك أراد ببنائها تأكيد حرمة مسجد بيت المقدس، وأن يكسب نفوذاً بين المسلمين، وهو ما يُفهم من النقوش الظاهرة في القبة التي تبيّن الأفكار الإسلامية، وتزكّي الدين الإسلاميّ، وتؤكد شمولية رسالته، وأنها خاتمة الرسالات، فضلاً عن صلة الصخرة بحادثة الإسراء والمعراج، فأراد عبد الملك أن يخلّد المعراج، ويؤكد حرمته ببناء قبة على الصخرة التي عرج منها النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء، فهي تُحيي ذكرى الإسراء والمعراج بشكل ما. (العسلي، 1992، ص: 137).

ولعل عبد الملك أراد ببنائها أن يشمل مشروع التعريب الذي بدأ فيه بالمؤسسات الإدارية وموظفيها تعريب المدينة أيضاً، وذلك ببناء معالم إسلامية بارزة كالقبة التي ترى من مسافاتٍ بعيدة، فتدل على أن هوية المدينة عربية إسلاميّة.

تدريب (7)

اذكر الأسباب التي دفعت الخليفة عبد الملك لبناء قبة الصخرة.

أسئلة التقويم الذاتي (7)

زعم اليعقوبيّ أن عبد الملك بنى الصخرة ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة. ناقش هذا الزّعم.

2.3.4 المسجد الأقصى

بنى عبد الملك، بالإضافة إلى قبة الصخرة في القدس، المسجد الأقصى. وللأسباب نفسها التي تقدّم ذكرها، إلى الجنوب من قبة الصخرة في الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس، حيث يكون جداره الشرقي والغربي جزءاً مكمّلاً لأسوار المدينة. وقد بنى المسجد بالحجارة، وسَقَفَه بالخشب المغطّى من الخارج بصفائح الرصاص، وذلك لمنع تسرّب مياه الأمطار في فصل الشتاء؛ لأن شرائح الرصاص تصبح قطعةً واحدةً بعد تمرير عاملٍ حراريّ عليها، الأمر الذي يمنع تسرّب مياه الأمطار في فصل الشتاء، ولأنّ الرصاص يخدم مدّة طويلة دون أن يحتاج إلى طبقات إضافية كما هو الحال في الطين، وهو بذلك يوفر نفقات تجديد الطين، ويخفف من ثقل السقف على الجدران، ويحافظ على نظافة الزخارف الموجودة فيه وجماليتها. (مجير الدين الحنبلي، 1973، ج1، ص: 280-282، أبو الرب، 1992، ص: 68).

كان للمسجد في عهد عبد الملك خمسون باباً مُصَفّحاً بالذهب والفضة، وفيه سبعة محاريب، وأربعة منابر، ويُضاء المسجد وقبة الصخرة بخمسة آلاف قنديل معلّقة في سقوفها بسلاسل نحاسيّة، وتضاء إلى جانبها ألف شمعة في أيام المناسبات: كالجُمَع، وشهر رمضان، والأعياد، بسبب كثرة الزوّار فيها، ويُزوّده بالمياه مع قبة الصخرة أربعة وعشرون صهريجاً موجودة في ساحة الحرم القدسي، وقام على خدمته وتنظيفه جماعة من اليهود والنصارى مقابل إعفائهم من الجزية شأنه شأن قبة الصخرة إلى أن جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي استبدلهم رقيقاً من الخمس الذي تحصل عليه الدولة من الغنائم. (مجير الدين الحنبلي، 1973، ج1، ص: 282-281، أبو الرب، 1992، ص: 68، الكفافي، وآخرون، 2001، ص: 93).

ولم تحدد المصادر السنّة التي بُني فيها المسجد الأقصى، وإن رجّح أكثرها أنه بني في خلافة عبد الملك. ولعلّ عدم وجود نقشٍ على جدران المسجد الأقصى يحدد اسم الخليفة الذي بناه وتاريخ بنائه جعل بعض المؤرخين يتوهم أن الخليفة الوليد بن عبد الملك هو الذي بناه، مستندين إلى بعض رسائل أحد عمّاله على مصر، واسمه قرّة بن شُريك، ويطلب فيها هذا العامل من حكام الصعيد أن يرسلوا إليه صنّاعاً مهرةً لبناء مسجد بيت المقدس. ويبدو أن عبد الملك توفي قبل أن ينتهي من بناء الأقصى، فأتمّ ابنه الوليد البناء، وزاد فيه رواقاً على امتداد حائط الحرم

الداخلي. (العارف. 2007. ص: 194. العسلي. (خرير). 1992. ص: 138. سبابكر. 2006)

وقد تعرّض المسجد للهزات الأرضية والكوارث الطبيعية التي أدت إلى تهدّمه غير مرّة. ففي عهد الوليد بن عبد الملك انهدم الجدار الشرقي للمسجد. فأعاد بناءه. ولعلّ هذا الأمر جعل بعض المؤرخين يتوهمون أن الوليد هو الذي بنى المسجد. وتعرّض إلى هزة أرضية أخرى سنة 130هـ أدّت إلى تهدّم الجدارين الغربيّ والشرقيّ منه. وبقي المسجد على حاله إلى أن جاء العباسيون فقام الخليفة أبو جعفر المنصور بقلع الصفائح الذهبية والفضية عن أبواب المسجد. وضربها دنانير ودراهم. وأنفقها في إعادة بناء ما تهدّم منه. وربما كان تهدّمه أكثر من مرّة. وإجراء تعديلات على مساحاته بعد كل عملية ترميم جعل المصادر تختلف في تقدير مساحته. فبعضها يجعل طوله ألف ذراع وعرضه سبعمائة. وبعضها الآخر يجعل طوله تسعمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً. وعرضه أربعمائة وثمانية وثلاثين ذراعاً. (المقدسي. 1906. ص: 167-168. مجير الدين الحنبلي. 1973. ج1. ص: 283-282. أبو الرب. 1992. ص: 69. الكفافي وآخرون. 2001. ص: 94).

وبالإضافة إلى قبة الصخرة والمسجد الأقصى فقد تمّ الكشف مؤخراً عن مجمّع بنائيّ أمويّ. ما تزال آثاره قائمة في الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأقصى. ويبدو أنه يشتمل على بيت لعبد الملك. ودار الإمارة. ودار للضيافة. وقد ذكر مير بن دوف أن هذه الآثار تشمل ثلاثة قصور أموية. بعضها يعود إلى زمن الوليد بن عبد الملك. كما أن هناك إشارات إلى أن سليمان بن عبد الملك بنى حمّاماً في الجهة الغربية للمسجد الأقصى. وبنى عيّاض بن غُنُم حمّاماً آخر في المدينة. ومما يدّل على مدى اهتمام الأمويين بالمدينة وزوّارها. أن عبد الملك بن مروان وضع علامات حجرية على الطرق التي تربط القدس بكلّ من الرملة ودمشق. مبيّناً على كل منها المسافة التي تبعد فيها عن القدس بالأميال. لتكون دليلاً للسائحين والزائرين للمدينة. (العسلي. (خرير). 1992. ص: 138. العارف. 2007. ص: 198-197. الكفافي وآخرون. 2001. ص: 95-94).

تدريب (8)

اذكر أسباب استخدام مادة الرصاص بدلاً من الطين في سقف المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

أسئلة التقويم الذاتي (8)

اختلفت المصادر الإسلامية في تحديد مساحة المسجد الأقصى وأبعاده. علّل ذلك.

5. الخلاصة

تناولت هذه الوحدة القدس في عهد الراشدين والأمويين. واستُهلت بالحديث عن مكانة المدينة في عقيدة المسلمين وشريعتهم؛ لكونها أولى القبلتين وثالث الحرمين. الأمر الذي أكسبها قدسيّة واحتراماً عند عامة المسلمين وخاصتهم. فأولاها الخلفاء اهتماماً كبيراً. إذ زارها عمر بن الخطاب. وأخذ العديد من الخلفاء الأمويين بيعتهم بالخلافة في مسجدها. لإكساب تلك البيعة مصداقية وحُرمة. كما تردد عليها كثير منهم للزيارة والعبادة.

ثم استعرضت الوحدة تاريخ المدينة زمن الراشدين. فذكرت أسباب فتحها. وفي مقدمتها الجهاد في سبيل الله. لجعل كلمة الله هي العليا. وتوفير السُّبل المناسبة لنشر الإسلام. وتخليص أولى القبلتين وثالث الحرمين من الاحتلال البيزنطي. وناقشت الروايات المختلفة حول تاريخ فتحها. والذي يرجّح أنه تمّ سنة 16هـ/638 م. ثمّ تتبعتْ نصوص العهدة العمرية في المصادر التاريخية. التي يتجلّى فيها تسامح المسلمين مع أتباع الديانات الأخرى. ثمّ سمّت القبائل التي نزلت في المدينة بعد فتحها. وأكثرها من اليمانية. وعلى رأسها الأزد والأنصار منهم بخاصة. وكندة. وحمير. ولخم. وجذام. ومذحج. إضافة إلى عدد من بطون كنانة. وقريش. وقيس عيلان. ومعظمهم من كبار الصحابة والتابعين. ومن بقي فيها من نصارى العرب والروم. وغيرهم. وعرضتْ وضعها الإداري ككورة تابعة لجند فلسطين. وذكرتُ أسماء بعض عمّالها. ومن شغل بعض الوظائف فيها. مثل وظيفتي القضاء والقصص.

ثم انتقلتْ للحديث عن القدس في العصر الأموي من ناحية سكانُها. وفي مقدمتهم العرب المسلمون. وبخاصة الذين انتقلوا إليها في العصر الأموي من بطون قبيلتي تميم

وبكر وائل، حيث نقل معاوية قسماً منهم إليها بعد الفتنة، وجاء القسم الآخر منهم إليها طلباً للعلم والعبادة، فاستقر فيها، وتحدثت عن سكانها العرب والروم، والأقلية اليهودية فيها، فذكرت أهم حِرَفهم والعلاقات فيما بينهم، ثم سمّت بعض عمّال جهازها الإداري زمن الأمويين.

واختُتمتْ الوحدة بالحديث عن منجزات الأمويين العمرانية في المدينة، وأهمّها قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وذلك من ناحية أسباب بنائها وتاريخه، ومواصفات البناء، والمواد التي استخدمت فيه، والتي تعبّر في مجملها عن مدى تطور العمارة الأموية. وأشارت الوحدة إلى بقايا القصور الأموية الواقعة إلى جانب الحائط الجنوبي الغربي من المسجد الأقصى، التي كُشف عنها مؤخراً، وتعبّر أيضاً عن مدى اهتمام الخلفاء الأمويين، ومدى ارتباطهم بها.

6. لمحة عن الوحدة الدراسية الرابعة

عزيزي الدارس، تعالج الوحدة الدراسية الرابعة وعنوانها «أوضاع مدينة القدس منذ بداية الدولة العباسيّة وحتى الغزو الإفرنجي» أوضاع المدينة في العصر العباسيّ الأول، وفي مقدمتها ترميم المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعد تعرضهما لزلازل في نهاية العهد الأموي. وتتناول الإجراءات الضريبية التي نتج عنها ثورة المبرقع اليماني التي شملت أجزاء كبيرة من فلسطين، ومنها القدس، ثم خضوعها للطولونيين والأخشيديين، وهما من الإمارات التي انفصلت عن الدولة العباسيّة. ثم تدرس أوضاع المدينة إبّان عهد الدولة الفاطميّة التي استمرت حتى استيلاء الفرنجة عليها سنة 492 هـ.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. حادثة الإسراء والمعراج التي ربطت بين حرمتي مكة والمدينة. وفُرضت خلالها الصلوات الخمس.
2. أن القدس كانت قبلة المسلمين الأولى.
3. أن مسجدها ثالث الحرمين الذي يُقصد للعبادة.

تدريب (2)

1. إخضاع القبائل العربية في الحصون الحدودية لفلسطين. وإدخالها في الإسلام.
2. اختبار قوة البيزنطيين وحلفائهم من العرب المتنصّرة. ومعرفة أساليب قتالهم.
3. فتح الطريق أمام المسلمين إلى وادي عربة وغزة تمهيداً لفتح فلسطين.

تدريب(3)

كان عدد أفراد حامية القدس البيزنطية وفقاً للرواية المسيحية عشرة آلاف مقاتل. واستغرق فتحها أربعة أشهر.

تدريب (4)

1. الأزد وفي مقدمتهم الأنصار.
2. كندة.
3. حمير.
4. قضاعة.

تدريب (5)

كان عمّالها في زمن الراشدين هم:

1. علقمة بن مجزّز الكناني. وعبادة بن الصامت الأنصاري. وآخر اسمه الأول عبد ولم يذكر اسم أبيه أو قبيلته في خلافة عمر بن الخطاب.
2. شداد بن أوس الأنصاري. وتميم بن أوس الداري في خلافة عثمان بن عفان.

3. سلامة بن قيصر الحضرمي عاملها في أثناء الفتنة (35-40هـ).

تدريب (6)

1. نقل معاوية بعض أنصار الإمام علي المخلصين إلى بيت المقدس، ومنهم القعقاع بن عامر التميمي؛ للحيلولة دون ثورتهم عليه.

2. انتقل إليها بعض الخراسانيين واستقروا فيها طلباً للعلم والعبادة.

تدريب (7)

1. إشغال أهل الشام بإعمارها عن الحج إلى مكة في أثناء فتنة ابن الزبير مخافة أن ينضموا إليه.

2. منافسة الكنائس المسيحية الفخمة المنتشرة في القدس مثل كنيسة القيامة.

3. أراد عبد الملك تأكيد حرمة بيت المقدس، وأن يكسب نفوذاً بين المسلمين بتخليده ذكرى حادثة الإسراء والمعراج.

4. تعريب شكل المدينة ببناء معالم إسلامية بارزة فيها تُرى من مسافات بعيدة، وتدل على هويتها العربية الإسلامية.

تدريب (8)

1. إن شرائح الرصاص تصبح قطعة واحدة بعد تمرير عامل حراري عليها، الأمر الذي يمنع تسرّب مياه الأمطار إلى داخل المسجد في فصل الشتاء.

2. إن الرصاص يخدم مدة طويلة دون أن يحتاج إلى طبقات إضافية كما هو الحال في الطين، وهو بذلك يوفر نفقات تجديد الطين كل عام، ويخفف من ثقل السقف على الجدران.

3. إن الرصاص يحافظ على نظافة الزخارف التي تزين جدران المسجد وجمالها.

8. مسرد المصطلحات

- العهدة العمرية: مصطلح أطلق على كتاب الأمان الذي منحه عمر بن الخطاب لأهل القدس سنة 16هـ وأمَّنهم فيه على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم.

- جند: تقسيم إداري اتبعه عمر بن الخطاب في الشام، حيث قسَّم ولاية الشام إلى أربعة أقسام إدارية، سمّيَ كل واحد منها جنداً، ويتألف كل جند من مجموعة من الكور (مقاطعات). وسمي كل جند باسم المركز الذي يقبض منه مقاتلته أعطياتهم، مثل: جند دمشق، وجند حمص.

- الكورة: هي وحدة إدارية تضم مدينة رئيسة يتبعها عدد من القرى والبلدات، وكان جند فلسطين في صدر الإسلام يتألف من اثنتي عشرة كورة، منها كورة بيت المقدس.

- معرة الجيش: وهي تجاوزات الجيش التي تقع بحق المدنيين الموجودين في أرض المعركة دون قصد، وقد أكد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفاؤه من بعده أنهم غير مسؤولين عما يقع من الجيش بحق المدنيين في تلك الحالة، وطلبوا من قادتهم عدم المس بالمدنيين الموجودين خارج ساحة القتال.

9. المصادر والمراجع

أ- المصادر:

1- ابن الأثير علي بن محمد، «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، 7ج، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد عاشور، كتاب الشعب، (القاهرة: 1970 م).

2- الازدري، محمد بن عبد الله، فتوح الشام، تحقيق: د. عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، (القاهرة:1970م)

3- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، 10ج، دار الكتاب اللبناني، (بيروت: 1967م).

4- البخاري، محمد بن اسماعيل، «التاريخ الكبير»، 5ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف

العثمانية. (حيدر أباد الدكن: 1962م).

"التاريخ الصغير". 2ج. تحقيق: محمود إبراهيم زايد. دار المعرفة. (بيروت: 1986م).

5- البرهان فوري. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين. "كنز العمال في السنن والأقوال والأفعال". 22ج. ط2. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. (حيدر أباد الدكن: 1975م).

6- ابن البطريق. افنيشيوس الملقب بسعيد. "التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق". مطبعة الآباء اليسوعيين. (بيروت: 1909م).

7- البلاذري. أحمد بن يحيى جابر. فتوح البلدان. تحقيق: عبد الله انيس الطباع. عمر أنيس الطباع. دار النشر الجامعيين. (بيروت 1957م).

8- التلمحري. دينيسيوس. "التاريخ المنحول". ترجمه عن السريانية. يوسف متى إسحق. الجامعة الأمريكية. (بيروت: 1979م).

9- ابن الجوزي. عبد الرحمن بن علي. فضائل بيت المقدس. تحقيق جبرائيل جبور. دار الافاق الجديدة. (بيروت: 1979م).

10- ابن أبي حاتم الرازي. عبد الرحمن بن محمد. "كتاب الجرح والتعديل. 9ج. ط1. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. (حيدر أباد الدكن: 1952م).

11- ابن حبان. محمد بن حبان البستي. "كتاب الثقات". 9ج. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. (حيدر أباد الدكن: 1973م).

12- ابن حجر العسقلاني. أحمد بن علي الكناني. "الإصابة في تمييز الصحابة". 4ج. ط1. مطبعة السعادة. (القاهرة: 1328هـ/1910م).

"تهذيب التهذيب". 12 ج. مطبعة مجلس دائرة المعارف (حيدر أباد الدكن: 1320هـ/ 1902م).

13- خسرو. ناصر. "سفر نامة". ترجمة: يحيى الخشاب. لجنة التأليف والترجمة والنشر. (القاهرة: 1945م).

14- ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد الحضرمي. "تاريخ ابن خلدون". 7ج. مؤسسة الأعلمي. (بيروت: 1977م).

15- ابن خياط، خليفة. "تاريخ خليفة بن خياط". تحقيق: د. سهيل زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. (دمشق: 1981).

16- أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث. "سنن أبي داود". ج4. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة. (القاهرة: 1950م).

17- أبو زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو النصري. "تاريخ أبي زرعة الدمشقي". تحقيق: شكر الله نعمت الله، رسالة ماجستير، كلية الآداب بجامعة بغداد. (بغداد: 1972م).

18- ابن سعد، محمد. "الطبقات الكبرى". 7ج. دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر. (بيروت: 1957م).

19- الطبري، محمد بن جرير. "تاريخ الرسل والملوك". 10ج. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف. (القاهرة: 1961-1966م).

20- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي. "الاستيعاب في معرفة الأصحاب". 4 ج. تحقيق: علي معوض وعادل احمد عبد الموجود، ط1. دار الكتب العلمية. (بيروت: 1995م)

21- ابن العبري، غريغوريوس بن هارون الملطي. "تاريخ مختصر الدول". أشرف على طبعه: أنطوان الصالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية. (بيروت: 1890م).

22- أبو عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، شرح عبد الأمير مهنا، دار الحداثة. (بيروت: 1988).

23- ابن العديم، عمر بن أحمد. "بغية الطلب في تاريخ حلب". 12ج. تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر (بيروت: 1988م)

24- ابن عساكر، علي بن الحسن. "تاريخ مدينة دمشق". 70ج. تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر. (بيروت: 1995-1998م).

"تهذيب تاريخ دمشق الكبير". 7ج. هذبه: الشيخ عبد القادر بدران، دار المسيرة. (بيروت: 1979م).

25- ابن ماجة، محمد بن يزيد. "سنن ابن ماجة". ج1. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية. (القاهرة: 1953م).

26- ابن ماكولا، علي بن هبة الله. "الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء

والكنى والأنساب". 7ج. ط1. دار الكتب العلمية. (بيروت: 1991م).

27- مجير الدين الحنبلي. عبد الرحمن بن محمد العلمي. "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل". 2ج. مكتبة المحتسب. (عمان: 1973م).

28- مسلم بن الحجاج النيسابوري. "صحيح مسلم". 5ج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. دار الكتب العربية. (القاهرة: 1955م).

29- المقدسي البشاري. محمد بن أحمد. "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم". مطبعة بريل. (لندن: 1906م).

30- المقدسي. مطهر بن طاهر. "البدء والتاريخ". 6ج. تحقيق: كلمان هوار(باريس: 1919م)

31- المنبجي. أغنابيوس بن قسطنطين. المنتخب من تاريخ المنبجي. انتخبه: عبد السلام تدمري. دار المنصور. (طرابلس لبنان: 1986م).

32- أبو هلال العسكري. الحسن بن عبد الله بن سهل. الأوائل. ط1. دار الكتب العلمية. (بيروت: 1987م).

33- الهمداني. الحسن بن أحمد. "الإكليل". الأجزاء: 1.2.8. تحقيق: محمد بن علي الأكوع. دار التنوير للطباعة والنشر. (بيروت: 1986م).

34- الواقدي. محمد بن عمر. فتوح الشام. ج2. مكتبة المحتسب. (عمان: ب ت).

35- اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب. "تاريخ اليعقوبي". 3ج. تحقيق. محمد صادق بحر العلوم. منشورات المكتبة الحيدرية. (النجف: العراق).

"البلدان". مطبعة دار إحياء التراث. (بيروت: 1988م).

ب- المراجع:

1. خوري. شحادة ونقولا. «خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثذوكسية». مطبعة بيت المقدس. (القدس: 1925م).

2. الدباغ. مصطفى مراد. «القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين». الموسوعة العربية للطباعة والنشر. (بيروت: 1986م).

3. الدجاني، أحمد صدقي. «ملاحظات على تطور حياة اليهود في فلسطين حتى الفتح العربي الإسلامي». المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، فلسطين. (عمان: 1983م).

4. الدوري، عبد العزيز. «مقدمة في تاريخ صدر الاسلام»، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت: 1983م).

5. أبو الرب، هاني حسين. «تاريخ الدولة الأموية». دار الحسن للنشر، (الخليل: 1992م).

«تاريخ فلسطين في صدر الإسلام». منشورات بيت المقدس. (رام الله: 2002م).

6. سبايكر، روبرت. «الحرم القدسي الشريف». www.pr.sv.net/aw/2006.

7. العارف، عارف. "المفصل في تاريخ القدس". دار الفارسي، ط4، (عمان: 2007م).

"تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى". مطبعة دار الأيتام، (القدس: 1955م).

8. عاقل، نبيه. "خلافة بني أمية". دار الفكر، (دمشق: 1985م)

"فلسطين منذ الفتح الإسلامي وحتى أواسط القرن الرابع الهجري". الموسوعة الفلسطينية، م2، (بيروت: 1990).

9. العاني، عبد اللطيف." إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والأموي". رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: 1968م).

10. عثامنة، خليل. "فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى الغزو الإفرنجي 634-1099م". مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت: 2000م).

11. العسلي، كامل (تحرير). "القدس في التاريخ". منشورات الجامعة الأردنية، (عمان: 1992م).

"مكانة القدس عربياً وإسلامياً عبر التاريخ". الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، م6، (بيروت: 1990م)

12. غويتايــن، شلودوف. "القدس في الفترة العربية". دراسات في تاريخ المدينة، ترجمة: سلمان صوالحة ومراجعة: اسحق حسون، (القدس: 1990م).

13. فوزي، فاروق عمر وحسين، محسن محمد. "تاريخ فلسطين في العهد الإسلامي الوسيط". دار الشروق. (عمان: 1999م).

14. قزاقيا، إبراهيم. "تاريخ الكنيسة الأرثذوكسية الأورشلمية". مطبعة المقتطف. (القاهرة: 1924م).

15. الكفافي، زيدان وآخرون. "القدس عبر العصور". منشورات جامعة اليرموك. (إربد: 2001م).

16. كحالة، عمر رضا. "معجم قبائل العرب القديمة والحديثة". 5ج. مؤسسة الرسالة. (بيروت: 1985م).

17. لي سترانج. "فلسطين في العهد الإسلامي". ترجمة: محمود عمايري. (عمان: 1970م).

18. محمود، شفيق جاسر. "تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية". دار النشر. (عمان: 1984م).

19. ناصر، عامر نجيب. "استقرار القبائل العربية في بلاد الشام في صدر الإسلام". رسالة ماجستير غير منشورة- الجامعة الأردنية. (عمان: 1994م).

20. ______ "سقوط أورشليم - المعاهدات المبرمة بين البيزنطيين والعرب".
http://www.coptichistory.org.(10.9.2006)

20. Buhl, F ALkudls, Encyclopedia of Islam. Vl, 2nd Edition (London: 1927).

21. Wright, Thomas, (Editor), "Early Travels In Palestine", (London: 1884)

الوحدة الرابعة

أوضاع مدينة القدس منذ بداية الدولة العباسية وحتى معركة حطين

(132-583هـ/750-1187م)

اعداد

د. سعيد عبد الله البيشاوي

محتويات الوحدة

[redacted]

1. المقدمة

1.1 تمهيد

أرحب بك، عزيزي الدارس، في الوحدة الرابعة من تاريخ القدس والتي تتناول أوضاع القدس منذ بداية الدولة العباسية وحتى معركة حطين 132هـ-583هـ/750م-1187م.

تتناول هذه الوحدة موضوعات مهمة تتعلق بهذه الحقبة الزمنية ومنها: انتقال المدينة من الأمويين إلى العباسيين، والإجراءات التي اتخذتها الخلافة العباسية في المدينة، ثم تتطرق إلى سيطرة الدولة الطولونية، وتناقش أوضاع المدينة المقدسة في عهد الدولة الإخشيدية ثم الفاطمية ثم السلجوقية، فضلا عن الإشارة إلى إعادة السيطرة الفاطمية على المدينة عام 491هـ/1098م، كما تتطرق إلى وصول الفرنجة إلى المدينة المقدسة، وحصارها والسيطرة عليها، وقتل جميع سكانها المسلمين واليهود، وتعالج أيضا موضوع الاستيطان الفرنجي في القدس والمناطق المجاورة لها، كما تتحدث عن أهم الترتيبات الإدارية وفئات المجتمع المقدسي في أثناء السيطرة الفرنجية.

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الدارس، يتوقع منك بعد الانتهاء من دراسة هذه الوحدة أن تكون قادراً على أن:

1- تعرف كيفية انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين في المدينة المقدسة.

2- تعرف الإنجازات العمرانية، والاقتصادية، والثقافية في المدينة المقدسة في أثناء العصر العباسي الأول.

3- تعرف الظروف التي مكنت الطولونيين من السيطرة على المدينة المقدسة، وتعرف أوضاع المدينة في أثناء الحكم الطولوني.

4- تلم بأوضاع المدينة في عهد الدولة الإخشيدية.

5- تعرف أوضاع بيت المقدس: الاجتماعية، والاقتصادية، والعمرانية، والثقافية في العهد الفاطمي.

6- تدرك الظروف التي أدت إلى سيطرة السلاجقة على المدينة المقدسة وعلاقتهم بسكان المدينة 463-491هـ/1071-1098م.

7- تدرك دوافع الفاطميين لاستعادة المدينة المقدسة من السلاجقة.

8- تعرف وسائل المقاومة الإسلامية ضد الفرنجة.

9- تعرف الدارس على بعض المستوطنات الفرنجية حول القدس.

10- تلم بفئات المجتمع المقدسي في أثناء السيطرة الفرنجية.

3.1 أقسام الوحدة

تنقسم هذه الوحدة إلى ستة أقسام ترتبط بقائمة الأهداف السابقة على النحو الآتي:

- القسم الأول: أوضاع القدس في العصر العباسي الأول. ويرتبط بالقسمين الأول والثاني.

- القسم الثاني: القدس في عهد الدولة الطولونية 246-292هـ/878-905م. ويرتبط بالهدف الثالث.

- القسم الثالث: القدس في عهد الدولة الإخشيدية 323-358هـ/935-968م. ويرتبط بالهدف الرابع.

- القسم الرابع: القدس في عهد الدولة الفاطمية. 359-463هـ/970-1070م. ويرتبط بالهدف الخامس.

- القسم الخامس: القدس في عهد السلاجقة وعودة القدس للسيطرة الفاطمية 463-491هـ/1070-1098م. ويرتبط بالهدفين السادس والسابع.

- القسم السادس: القدس في العهد الفرنجي. ويرتبط بالأهداف الثامن والتاسع والعاشر.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس، حاول الاستفادة من هذه القراءات؛ لارتباطها المباشر بموضوع الوحدة مما يجعلك أقدر على استيعاب المعلومات الواردة:

1- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ /1232م). الكامل في التاريخ، 12جـ، دار صادر، بيروت، 1966م.

2- رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1967م.

3- البيشاوي، سعيد عبدالله، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م.

4- عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 2جـ، ط3، الإنجلو مصرية، القاهرة، 1978م.

5- العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ط1، مطبعة المعارف، القدس، 1961م.

6- فوزي، فاروق عمر، وحسين، محسن محمد، الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، ط1، دار الشروق، عمان، 1999م.

7- الشارتري، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، ط1، دار الشروق، عمان، 1990م.

8- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي محمد (ت 555هـ /1160م) ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.

9- عوض، محمد مؤنس، تاريخ الحروب الصليبية (التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية)، ط1، دار الشروق، رام الله، 2004م.

10- الصوري، وليم، تاريخ الأعمال المنجزة في ما وراء البحر، 2جـ، ترجمة سهيل زكار، ط1، دار الفكر، دمشق، 1990م.

عزيزي الدارس، قبل أن تبدأ دراسة الوحدة تأكد من أنك هيأت المكان الهادئ والمريح للدراسة، وتحتاج في أثناء الدراسة إلى دفتر لتلخيص النقاط الرئيسة، وأنصحك أن تقرأ الوحدة قراءة ذاتية ثم تناقش جميع الأنشطة والتدريبات الواردة فيها، فضلا عن مراجعة الأجزاء الرئيسة فيها، ولا مانع من الاتصال بمرشدك أو موجهك كلما اقتضت الحاجة لمناقشة ما يعرض لك من صعوبات أو مسائل مثيرة للاهتمام.

2. أوضاع القدس في العصر العباسي الأول

1.2 القدس في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور

خضعت فلسطين بما فيها القدس لسيطرة الخلافة العباسية عام 132هـ/750م، وزار الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور القدس مرتين: الأولى عام 140هـ /758م، وفيها أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بإعادة بناء المسجد الأقصى بعد أن اقتلع الذهب عن أبوابه من أجل الإنفاق على عمارته. أما الزيارة الثانية فكانت عام 154هـ/771م. (الطبري، ج7، 1979م ص504، ج8، ص44، ابن الأثير ج5، 1966م، ص500، 612، ابن الوردي ج1، 1970م ص292، الذهبي ج 1، 1999م ص144، مؤنس 1981م ص186). وهناك إشارة أوردها المؤرخ البيزنطي ثيوفانوس مفادها أن الخليفة أبا جعفر المنصور عند زيارته لبيت المقدس أمر اليهود والنصارى بكتابة أسمائهم وشما على أيديهم لأغراض الجزية. (Theophanes,1982,p.138). وأشار بعض المؤرخين المسيحيين إلى أن الخليفة أبا جعفر المنصور اتخذ إجراءات صارمة بحق سكان فلسطين بما فيهم سكان المدينة المقدسة «فعسف الناس جميعا، وألزمهم نوائب وكلفا لم يتقدمه فيها أحد من الملوك، وضيق عليهم تضييقا شديدا حتى لم يبق إنسان من صانع، ولا طواف، ولا حمال، ولا حفار القبور، ولا فلاح، ولا متصدق، ولا صنف من صنوف الناس حتى ألزمهم الخراج وأخذ أموالهم، واشتد بالناس البلاء، وبلغ الجهد حتى أن بعضهم حفر القبور، وأخذ الجيف، وطحنها وأكلها، وذبحت الكلاب وشويت وبيعت في الأسواق». وفقدت النقود من أيدي الناس، وحلت بهم المصائب التي لا يمكن وصفها، وأصابتهم

الأمراض. فبينما هم في هذا الجهد إذ توفي المنصور. (المنجي، المنتخب من تاريخ المنجي 1965م ص129-130).

ومن المرجح أن هذه السياسة لم يتبعها المنصور. ويبدو أنها سياسة ولاته الذين بالغوا في تطبيق أوامره. واتبعوا طرقا مختلفة في جمع الضرائب. وهناك إشارة إلى محاسبة المنصور ولاته واستقصاء أخبارهم. ولعل هذه الرواية تشير إلى ما لحق بأهل فلسطين من ظلم وعسف الولاة. فيقال أن المنصور استدعى أحد سكان فلسطين ويدعى «ابن مجير» وسأله عن أوضاعهم قائلا: ما وراءك يا ابن مجير؟ فأخرج له طائرا من كمه. كان قد نتفه حتى لم يبق عليه ريشة واحدة. فقال له: فارقت البلد يا أمير المؤمنين. وقد نتفه ابن أخيك حتى تركه كما تركت هذا الطائر. ويبدو لنا أن المنصور لم يكن موفقا في اختيار أصحاب البريد (المخابرات) الذين يصدقون بالإخبار عن أعمال الولاة. (كفافي وآخرون. 2001. ص111).

2.2 القدس في عهد الخليفة المهدي

حظيت القدس بزيارة الخليفة المهدي عام 163هـ/780م الذي أبدى اهتماما خاصا بالمسجد الأقصى. وفي هذا المجال يذكر لنا الطبري أن الخليفة المهدي وصل إلى بيت المقدس فصلى به ومعه مجموعة من الأمراء (الطبري. ج8. 1979م ص148-149. اليعقوبي. ج2. 1960م. ص398. ابن الأثير. ج5. 1965م ص500). وتعرضت المدينة في عهده لهزة أرضية «فطرحت المغطي إلا ما حول المحراب. فلما بلغ الخليفة خبره قيل له لا يفي رده إلى ما كان من مال بيت المسلمين. فكتب إلى أمراء الأطراف وسائر القواد أن يبني كل واحد منهم رواقا فبنوه أوثق وأغلظ صناعة من ما كان. وبقيت تلك القطعة شامة فيه. «ولعل إعادة تعميره في عهد المهدي هو الذي أعطى المسجد صورته وحجمه الحاليين. وقد زودنا المقدسي البشاري بوصف للمسجد الأقصى بقوله: «وللمغطى ستة وعشرون بابا. باب يقابل المحراب يسمى باب النحاس». (المقدسي البشاري. 1906م. ص168. لي سترانغ 1970م. ص107. مؤنس. 1981م. ص187).

3.2 القدس في عهد الخليفة هارون الرشيد

يعد عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ /776-808م) من أهم العهود التاريخية بالنسبة للقدس. ففي عهده شهدت فلسطين بما فيها القدس أحداثا بين القيسية واليمنية ذهب ضحيتها أعداد كبيرة من الناس. وتكررت مثل هذه الأحداث عام 180هـ/796م. فأمر الخليفة هارون الرشيد جعفر البرمكي بالتوجه إلى الشام بما فيها فلسطين والقدس من أجل القضاء على الصراع القبلي. فدخلها جعفر. وانقاد له الناس. وأخمد الفتن. ولم يدع بالشام «فرسا ولا سيفا ولا رمحا إلا استلبه من الناس» (ابن كثير. ج 10. 1974. ص 175. الطبري. ج8. 1979. ص 262).

وتشير بعض المصادر إلى تبادل السفارات بين الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان. فضلا عن إجراء مراسلات بين بطاركة القدس وشارلمان: مما انعكس إيجابا على العلاقة بين الدولة العباسية والإمبراطورية الرومانية المقدسة. وعلى سكان القدس والنصارى بشكل خاص. إذ حصلت كنائسهم على هبات من شارلمان. وفضلا عن ذلك سمحت لمجموعة من الرهبان بإقامة مؤسسات دينية واجتماعية جديدة في القدس لخدمة الحجاج المسيحيين منها: إقامة نزل (فندق). ودير للاتين على جبل الزيتون. ومكتبة. وبيمارستان لخدمة الحجاج. ويتضح ذلك من إشارة الرحالة برنارد الحكيم Bernard the Wise الذي زار القدس عام 253هـ/867م. (كفافي. 2001. ص113. السيد. عدد 22. 1996. ص 157. 160. 161. 163) حدثت عدة سفارات بين الخليفة هارون الرشيد وشارلمان ملك الفرنج. ويقال إن الخليفة بعث إلى شارلمان بسفارته الثانية هدايا نفيسة تضم أقمشة حريرية. وعطورا. وأواني نحاسية. وساعة مائية عجيبة. غير أن موضوع هذه السفارات والعلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان موضوع خلاف بين المؤرخين الحديثين: لأن المصادر العربية لم تشر إليها من قريب أو بعيد. (خدوري. 1939م. ص 33. 36. محاسنة وآخرون. 2003م. ص135-136).

4.2 القدس في عهد الخليفة المأمون

تعرضت مدينة القدس في أثناء حكم الخليفة العباسي المأمون لهزة أرضية هدمت المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة في أوائل القرن الثالث الهجري /أوائل القرن التاسع الميلادي. فأمر المأمون بإعادة تعميرهما عام 210هـ/825م. وحظيت القدس في عهده بإصلاحات واسعة في المنشآت الدينية لا سيما مسجد قبة الصخرة الذي تضرر بسبب الهزة الأرضية. وتجدر الإشارة إلى أن عملية التعمير والإصلاح لمسجد قبة الصخرة تخللها استبدال اسم الخليفة المأمون باسم الخليفة عبد الملك بن مروان. وقد اكتشف ذلك لأن تاريخ تأسيس المسجد بقي كما هو. وهو عام 72هـ/691م. وأعطى الخليفة المأمون عام 216هـ/831م للمسيحيين الشرقيين. زمن حكم البطريرك باسيليوس Basilius. الإذن بإجراء الإصلاحات اللازمة في كنيسة القيامة التي كانت قد تأثرت من بعض الهزات الأرضية التي ضربت المنطقة. (كفافي وآخرون. 2001. ص115. محمد محاسنة وآخرون. تاريخ مدينة القدس. 1203م. ص134). وكانت القدس في العصر العباسي تشتهر بالجبن. والقطن. والزبيب العينوني والدوري. والتفاح. وقضم قريش الذي لا نظير له. والمرايا. وقدور القناديل. والإبر (المقدسي البشاري 1906. ص168).

5.2 ثورة المبرقع اليماني في عهد الخليفة المعتصم بن هارون الرشيد

ثار المبرقع اليماني في عهد الخليفة المعتصم. ورفع العلم الأبيض. ولعل سبب خروجه على الخلافة العباسية أن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب عنها. وفيها زوجته وقيل أخته. ولما أرادت منعه من ذلك ضربها بسوط كان معه.ولما عاد زوجها أخبرته وبكت وهي تشكو إليه. فأخذ أبو حرب سيفه. ومشى إلى الجندي وهو غافل فقتله ثم هرب.

لبس أبو حرب برقعا حتى لا يعرف. واعتصم في جبل من جبال الأردن. ولما طلبه السلطان لم يعرف له خبرا. فقد كان يظهر بالنهار متبرقعا. «فإذا جاء أحد دعاه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويذكر الخليفة ويعيبه». (الطبري. ج 9. 1979م. ص116-118. ابن الاثير. ج6. 1965م

ص322. ابن كثير، ج10، 1974م، ص295، محاسنة وآخرون، 2003، ص141). استجاب لأبي حرب عدد كبير من الفلاحين وأهل القرى. ولما كثر أتباعه ووصل خبره إلى المعتصم وكان مريضا تخوف من استمرار ثورته وعصيانه.

تأثرت القدس إيجابيا بثورة المبرقع. إذ رحب أهالي المدينة بمختلف فئاتهم الاجتماعية ودياناتهم بمبادئ الحركة وقائدها خاصة أنه خفف عنهم الضرائب بما فيها الجزية. ولكن سرعان ما تراجع التأييد بعد دخول المبرقع إلى القدس. إذ بدأت تصدر عن أتباعه ممارسات كان منها نهب الكنائس والأديرة والمساجد؛ مما دفع بسكان المدينة إلى الهرب منها. وقد أشارت بعض المصادر إلى محاولات جرت لحرق كنيسة القيامة. ولكن بطريرك القدس يوحنا السادس (223هـ-228هـ/838-842م) استطاع دفع مبالغ مالية كي يمنع ذلك. (Montgomery, 1907, p 128, Gil, 1983, p245. كفافي وآخرون، 2001، ص117. غنامة، 2000، ص248).

وعندما تولى المعتصم سدة الحكم كلف رجاء بن أيوب الحضاري القضاء على تمرد المبرقع. فالتقى رجاء مع أبي حرب في الرملة» فقتل من أصحابه نحو عشرين ألفا. وأسر أبا حرب. فحمل إلى سامراء». وبذلك انتهت ثورة المبرقع التي أثرت في فلسطين بما فيها القدس. (الطبري، ج 9، 1979، ص118. ابن الأثير، ج 6، 1965، ص523، محاسنة وآخرون، 2003م ص 136-141).

تدريب (1)

وضح أوضاع القدس في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور.

د. القدس في عهد الدولة الطولونية

خضعت فلسطين لحكم الدولة الطولونية عام 264هـ/877-878م. وشهدت فلسطين في عهد أحمد بن طولون نزاعا بين لخم وجذام ذهب ضحيته جموع كبيرة من الطرفين (كرد علي، ج1، 1969م ص175). واتبع أحمد بن طولون سياسة دينية رشيدة ومتسامحة مع أهل الذمة، ويتضح ذلك من رسالة بعث بها إلى بطريرك بيت المقدس عام 881م يبلغه فيها أنه عين واليا مسيحيا على مدينة الرملة، وآخر على مدينة القدس. وشدد على عدم اضطهاد أهل الذمة، وسمح بترميم كنائس القدس وأديرتها. وقد انعكست سياسة التسامح مع أهل الذمة في ردات الفعل عندما اشتدت العلة بأحمد بن طولون. وبالرغم من ذلك فقد روي أن فتنة دينية نشبت في مدن: الرملة، وقيسارية، وعسقلان، والقدس، عكرت صفو جو التسامح الذي أضفاه العهد الطولوني على فلسطين والمنطقة. وقد حدثت هذه الفتنة في أواخر العهد الطولوني بين قادة الدولة الطولونية. (البيطار 1980م ص180-179، عثامنة، 2000م ص254).

فقد استمرت فلسطين خاضعة للدولة الطولونية في عهد أبي الجيش خمارويه بمقتضى اتفاق بينه وبين عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد على أن يحتفظ خمارويه بحمص ودمشق والأردن وفلسطين ومصر وبرقة، مقابل ذلك يتنازل عن ديار مضر وقنسرين والعواصم وسقي الفرات والثغور، فأجاب إلى ذلك. (كرد علي، ج1، 1969م ص175). شهدت بلاد الشام بما فيها فلسطين في عهد أحمد بن طولون وخمارويه عهدا من الهدوء والاستقرار مقارنة بالعهود العباسية السابقة. (زيود، 1989م ص117) وقد اهتزت السيطرة الطولونية في بلاد الشام بما فيها فلسطين بسبب محاولات العباسيين فرض سيطرتهم على المنطقة، إلا أن عبقرية سعد الأيسر، نائب الدولة الطولونية في الشام، وحسن سياسته بالتقرب والتودد إلى الأهالي وحسن معاملتهم، ونشر الأمن والاستقرار أسهمت في إطالة عمر الدولة الطولونية في الشام وفلسطين، التي استمرت نحو ثمانية وعشرين عاماً. (زيود، 1989م ص127).

4. القدس في عهد الدولة الإخشيدية

323-359هـ/935-970م

ينتسب الإخشيديون إلى الإخشيد، ومعناه الذكي أو نابه ملك الملوك. (صلاح العاوور وعصلم سيسالم، 1997م، ص241) وقد آلت فلسطين للحكم الإخشيدي عام 323هـ/935م، واستمرت بلاد الشام وفلسطين خاضعة للإخشيديين نحو خمس سنوات. ثم سيطر عليها ابن رائق، وطرد بدرا نائب الإخشيد. (ابن الوردي، ج1، 1970م، ص 405). ولكن ابن رائق لم يلبث أن قتل عام 330هـ/941م، وعادت السيطرة الإخشيدية على بلاد الشام بما فيها فلسطين والقدس (ابن الوردي، ج1، 1970م، ص409).

أولى الإخشيديون مدينة القدس اهتمامهم، وعملوا على تعميرها، وقد أمر كافور الاخشيدي بتعمير الحرم الشريف عام 350هـ/962-961م، فزادت أهميتها الحضارية والثقافية والتجارية، كما شهدت نهضة علمية وظهور عدد من الفقهاء والمحدثين والجغرافيين نذكر منهم: العباس بن محمد العسقلاني، ومظهر بن طاهر المقدسي صاحب كتاب (البدء والتاريخ). وشهدت المدينة اضطرابات بين المسيحيين واليهود عام 325هـ/936م، أحرق في أثنائها اليهود كنيسة القيامة. (فوزي وحسين، 1999، ص101). وبسبب أهمية القدس الدينية فقد دفن فيها محمد بن الإخشيد مؤسس الدولة، كما دفن فيها علي بن الإخشيد، وكافور الإخشيدي (المرجع السابق، ص102). وقد استمرت السيطرة الإخشيدية على فلسطين بما فيها القدس نحو عاماً، وثلاثين سنة خضعت بعدها المدينة المقدسة إلى السيطرة الفاطمية.

5. القدس في العهد الفاطمي 359-463هـ/970-1071م

1.5 سيطرة الفاطميين على فلسطين بما فيها القدس

أرسلت الدولة الفاطمية جعفر بن فلاح أحد قادتها لفتح بلاد الشام. واستطاع جعفر بسط السيطرة الفاطمية على مدينة الرملة. كما سيطر على مدينة القدس وغيرها من المدن الفلسطينية الداخلية. وقد اهتم الفاطميون بمدينة القدس. وأنشأوا فيها مجموعة من المؤسسات أهمها: البيمارستان (المستشفى الفاطمي). ودار العلم الفاطمية. كما اهتموا بإقامة الخانات: لتسهيل أمور التجار. وشجعوا العلوم والآداب. ومنعوا ضرب الأطفال والتلاميذ في المدارس. وأعاد الفاطميون بناء سور القدس الشهير في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي. وتجدر الإشارة إلى أن المذهب الشيعي انتشر في بيت المقدس. وفي ذلك يقول المقدسي البشاري:

وأهل طبريا. ونصف نابلس والقدس. وأكثر عمان شيعة. (المقدسي البشاري. 1906م. ص179).

وكانت علاقة السلطة الفاطمية في بيت المقدس مع نصارى المدينة سيئة في بعض الأحيان إذ تعرضوا لمضايقات منها ما جاء من رأس السلطة الحاكمة في القاهرة. ومنها ما جاء من بعض حكام القدس. ومنها ما كان انعكاسا لعلاقات الدولة الفاطمية بالدولة البيزنطية. وقد صدرت الأوامر من الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى والي فلسطين بهدم كنيسة القيامة عام 400هـ/1009م. ويشير مجير الدين الحنبلي إلى أن الحاكم بأمر الله الفاطمي «أباح للعامة ما كان بها من أموال وأمتعة وغير ذلك». (مجير الدين الحنبلي. ج1. 1973م. ص103) فضلا عن سياسة التشدد ضدهم. إذ أمر الحاكم بأمر الله أن يتم تمييز المسيحيين من المسلمين في حمامات فلسطين بصليب يعلقونه في رقابهم. هذا فضلا عن تمييز اليهود «بجلجل مكان الصليب» وكان هذا مدة من الزمن ثم زال. (الأنطاكي. 1990م. ص280-278). مما دفع نصارى فلسطين إلى مغادرة بلادهم إلى أراضي الدولة البيزنطية. (الأنطاكي. 1990م. ص292. كفافي وآخرون. 2001. ص132). وتشير إحدى الروايات إلى أن المفرج بن الجراح ألزم المسيحيين في القدس بإعادة بناء كنيسة القيامة عام 403هـ/1012م. وساعد في عملية البناء حسب إمكاناته وقدراته. (الأنطاكي. 1990. ص291).

وتعرضت القدس لهزة أرضية عام 425هـ/1033م-1034م هدمت جزءا من سور المدينة. وأوقعت قطعة من المسجد الأقصى. وهدمت أساسات كنيسة القيامة. (الأنطاكي 1990م. ص439. مجير الدين الحنبلي. ج1. 1973. ص 304). وتجدر الإشارة إلى أن الدولة الفاطمية أسهمت في ترميم المسجد الأقصى زمن الخليفة الفاطمي الظاهر 410-427هـ/1020-1035م. كما رممت أسوار المدينة في عهده. (الأنطاكي. 1990م. ص 439. كفافي وآخرون. 2001. ص133). وفي عهد الظاهر أيضا تمتع النصارى بحريتهم الدينية. وأعيد بناء الكنيسة المهدمة. (العارف. 1961م. ص135)

2.5 إنشاء «حي البطريرك» أو حارة النصارى في القدس في العهد الفاطمي

كان سكان مدينة القدس من المسلمين والنصارى. في عهود الاستقرار السابقة للقرن الحادي عشر الميلادي في ظل الدول الإسلامية المتعاقبة وحتى أقل من مدة عقد من السنوات من سيطرة التركمان عليها. يعيشون بصورة عفوية بمساكن متجاورة دون تمييز أو تركيز في أحياء خاصة بهم. واستمر هذا الوضع. كما يبدو. إلى أن تقرر إنشاء حي خاص بالنصارى في المدينة له صبغة قانونية محددة. وذلك بناء على طلب من الرئيس الروحي للنصارى في المدينة (البطريرك). وموافقة الخليفة الفاطمي على ذلك رسميا. ونتيجة لذلك تغير توزيع السكان داخل حدود مدينة القدس وأسوارها. فنشأت أحياء خاصة لأصحاب الديانات السماوية الثلاث. فقد أجبر المسلمون الذين يقطنون في «الحي أو الربع» الذي حدد بصورة طبوغرافية دقيقة لسكنى النصارى. وبأمر من الخليفة الفاطمي. على الانتقال من مساكنهم في «حي البطريرك» إلى منازل في أجزاء أخرى داخل أسوار المدينة.

لكن نصارى القدس لم تتوافر لديهم وقتذاك الإمكانات المادية لبناء الحي فطلبوا السماح لهم بطلب المساعدة والدعم من الإمبراطور البيزنطي. وتم التوصل إلى اتفاق بين الخليفة الفاطمي والإمبراطور البيزنطي قسطنطين. تقرر بموجبه أن يقوم الإمبراطور بتمويل ذلك الجزء من السور المحيط بالقسم المخصص للنصارى والذي تم بناؤه عام 1063م ولكن بشرط أن يجعل

الحي مقصورا على سكان المدينة من المسيحيين لا يخالطهم فيه أحد. (William of Tyre vol

I, 1941, p 407، الجباري، 1992م ص 171)

وتجدر الإشارة إلى أن الحد الخارجي (للربع) من سور المدينة الذي يمتد من الباب الغربي أو باب داوود مرورا بالبرج الذي يقع في الزاوية والذي يعرف (في عصر وليم) ببرج تانكرد. ويمتد إلى الباب الشمالي الذي يعرف باسم الشهيد الأول اسطفان (باب العامود أو باب دمشق). أما الحد الداخلي للحي فيتكون من الشارع العام الممتد من باب اسطفان (طريق القديس اسطفان في عهد الفرنجة) وحتى مناضد الصرافين (صرافي النقود). ويتجه من هناك ثانية إلى الباب الغربي.

ووضع الحي كله، بمقتضى الاتفاقية أيضا، تحت سلطة البطريرك. وعرف في عهد الفرنجة باسم (ربع البطرك). ومنح الخليفة المستنصر قبيل الاحتلال التركماني، التجار الأروبيين هدية أخرى في تلك المدة هي قطعة من الأرض في حارة النصارى. وقد منحت لتجار مدينة امالفي Amalfi الإيطالية لبناء مركز عليها يقيمون فيه في القدس. وقام هؤلاء التجار ببناء دير عرف فيما بعد باسم دير القديسة مريم اللاتينية. ودير للراهبات عرف بدير القديسة مريم الجدلية. ليكون مأوى للحاجات من النساء، ونزل، وكنيسة القديس يوحنا، ثم تحول النزل والمرافق التابعة له إلى مستشفى القديس يوحنا. وبعد هذه التطورات مباشرة استولى التركمان على القدس.

أما السبب الذي دفع الخليفة الفاطمي إلى الموافقة على هذا التغيير الجذري في سكنى الناس في مدينة القدس فهو، كما يذكر وليم الصوري المصدر الوحيد الذي زودنا بهذه المعلومات، أن أسوار المدينة كانت في حالة سيئة جدا.

٥. القدس في عهد السلاجقة 464-491هـ/1072-1098م

اتجه السلاجقة لحصار بيت المقدس عام 465هـ/1073م. ونجحوا بعد وقت من الحصار بالاستيلاء عليها دون قتال. وذكر النويري أن اتسز بن أوق الخوارزمي، وهو من أمراء ملكشاه، سار إلى فلسطين، ففتح الرملة، وسار منها إلى بيت المقدس، وحصره، وفيه عساكر من المصريين، ففتحه وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان (النويري ج26، ص216 ابن الوردي، ج1، 1970م، ص 563، الذهبي، ج1، 1999م، ص398). وأغلق المقادسة أبواب مدينتهم أمام القائد السلجوقي آتسز بن أوق الخوارزمي وقاوموه (فقاتلهم ثم دخل البلد عنوة) ونكل بكثير من أهلها حتى قيل انه قتل ما يقرب من ثلاثة عشر ألفا من سكان المدينة، وذبح قاضي المدينة والشهود. (الذهبي، العبر ج3، 1961م، ص269، الذهبي، ج1، 1999م، ص404، جاسر 1989م، ص-20ص269).

وتمكن نصر الدولة والجيوش الفاطمية من استعادة بيت المقدس بعد مضي نحو أربع سنوات عام 469هـ/1077م (فوزي وحسين، 1999، ص126) ولكنهم لم يستمروا بفرض سيطرتهم على المدينة، وبسبب ازدياد النشاط الفاطمي في الشام أرسل اتسز الخوارزمي يطلب الإمدادات من الدولة السلجوقية التي بادرت إلى نجدته، وأرسلت الأمير تاج الدولة تتش على رأس قوة إلى دمشق فتلقاه اتسز عن قريب، فأنكر عليه تأخره عن لقائه، وقبض عليه وقتله في ربيع الأول عام 472هـ/أيلول 1079م، وسيطر على بلاد الشام الغربية والوسطى بما فيها فلسطين ومركزها القدس، وعين ارتق بن اكسب نائبا عنه في القدس، وأقطعه جميع المناطق التابعة لها (ابن الوردي، ج1، 1970م، ص 571 الحياري، 1994م، ص36). وقد تمكن الفاطميون من استعادة القدس عام 491هـ/1098م، وكانت المدينة قد آلت للحكم الفاطمي عندما قام الأفضل بن بدر الجمالي بحصارها وبها الأمير التركماني سقمان بن أرتق وأخوه إيلغازي وجماعة من أقاربهما، وانتهى الحصار باستسلام المدينة للفاطميين في 26 آب عام 1098م الموافق الأربعاء 15 رمضان عام 491هـ (ابن ميسر، أخبار مصر ج2، ص38، ابن الأثير ج10، ص283، ابن ايبك، ج6، ص249).

تدريب (2)

تحدث عن أوضاع مدينة القدس في العهد الفاطمي.

تدريب (3)

ما الدوافع من وراء إنشاء حي البطريرك في القدس.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- وضح أوضاع فلسطين في العصر الإخشيدي.

2- علل: مضايقات الحكم الفاطمي لأهل الذمة.

7. القدس في العهد الفرنجي

1.7 حصار الفرنجة لبيت المقدس عام 492 هـ/1099م

وصلت طلائع القوات الفرنجية أمام أسوار المدينة المقدسة في السابع عشر من تموز عام 1099م/الثلاثاء الخامس عشر من رجب عام 492هـ (البيشاوي، 1990، 61). وشرع الفرنجة في فرض حصارهم على المدينة، وضيقوا الخناق عليها، واتخذ روبرت النورماندي Robert of Normandy وكونت فلاندر Count of Flanders أماكنهما في الناحية الشمالية، وكان جودفري البويوني Godfrey de Bouillon وتانكرد Tancred يحاصرونها من الناحية الغربية، وريموند كونت صنجيل Reymond of St. Gilles من الناحية الجنوبية على جبل صهيون (أعمال الفرنجة 1958م ص 114، William of Tyre, vol.I, pp385-386) واشتد الفرنجة في تضييق الحصار على المدينة المقدسة، ونصبوا الأبراج، ونجحوا في إلصاقها إلى سور المدينة، وجدوا في اقتحامها حتى نجحوا في النهاية في دخولها يوم الجمعة الموافق الخامس عشر من تموز عام 1099م /الثالث والعشرين من شعبان عام 492هـ، (ابن القلانسي 1908م ص 136-137، ابن الأثير ج 10، 1966م ص 283، ابن الوردي 1970م، ص148، أعمال الفرنجة، 1958م ص 117).

2.7 التدابير التي اتخذها المسلمون للدفاع عن المدينة قبيل وصول الفرنجة

أخذ سكان مدينة القدس مجموعة من التدابير والإجراءات للدفاع عن مدينتهم قبيل وصول الفرنجة، وقد زودتنا المصادر المعاصرة بمعلومات تفيد أنهم قاموا بطمر وإفساد ما يقع حول المدينة من مياه "الينابيع والعيون" لمنع العدو من استخدامها والانتفاع بها (اعمال الفرنجة 1958، ص116، معلوف 1998، ص74، William of Tyre vol.I ,1943 p.348). كما قاموا بإخفاء الماشية والقطعان في الكهوف والمغاور (اعمال الفرنجة، 1958م، ص116، نوبيور 1998م، ص315). وفضلاً عن ذلك قام افتخار الدولة حاكم المدينة الفاطمي بتقوية تحصينات المدينة، والتأكد من سلامة أسوارها، معتمداً على حامية كبيرة من الجند المصريين والسودانيين، المسلحين تسليحا جيداً، وأهالي مدينة القدس، ومن وفد إلى المدينة من سكان المدن والقرى المجاورة، كما قام بطرد المسيحيين الشرقيين من المدينة المقدسة احترازا وخوفا من قيامهم بمساعدة الفرنجة. (Reymond d, Agurilers, 1866 pp.292-293, William of Tyre vol I, pp333-334)

3.7 مقاومة أهل القدس الباسلة للحصار الفرنجي عام 492هـ/1099م

1.3.7 صناعة الأدوات القتالية من قبل سكان القدس

استخدم سكان المدينة المقدسة جميع وسائل المقاومة، وعملوا على تصنيع الآلات الحربية داخل مدينتهم، حيث كان يوجد مجموعة كبيرة من العمال المهرة، فضلاً عن المواد الخام اللازمة لصناعة الآلات مثل: الدعامات الخشبية، وكميات من الحديد والنحاس، وجميع ما يلزم لهذا الأمر (William of Tyre vol.I p334). وبعد أن صنع المسلمون الآلات الحربية، بدأوا يقذفون كتلاً مشتعلة غمست في الزيت والشحم على الجنود الفرنجة وأبراجهم التي صنعوها من أجل الوصول إلى الأسوار والدخول إلى المدينة المقدسة. (Fulcher of Charters 1969, p.120)

2.3.7 العمليات الجهادية خلف خطوط الفرنجة

عزيزي الدارس، تجدر الإشارة إلى أن مجموعات منظمة من المسلمين المُحاصَرينَ داخل مدينة القدس كانت تخترق الحصار، وتخرج من بعض نواحي المدينة التي لم تحكم القوات الفرنجية حصارها، وتعمل خلف خطوط الغزاة عن طريق مهاجمة جنودهم الذين كانوا يتجولون في المناطق الريفية المجاورة للمدينة المقدسة، بحثا عن الطعام والعلف الضروري للخيول، وكانت هجمات هذه المجموعات ناجحة إلى أبعد الحدود، إذ أنها كانت تسفر عن قتل وجرح العديد من جنود الفرنجة وفرسانهم، ومن كان يهرب فإن الحظ كان يحالفه بالنجاة من الوقوع بأيدي المسلمين (William of Tyre, vol 1, p.353)، وفضلاً عن ذلك كانت بعض هذه المجموعات تكمن بالقرب من الينابيع والآبار، وتهاجم من تجده من الفرنجة حول مصادر المياه، الأمر الذي كان يؤدي إلى قتل العديد من الجنود والفرسان الفرنجة (توديبود، 1998، ص315).

سعى المسلمون إلى معرفة ما يدور داخل المعسكر الفرنجي الصليبي، من أجل تعرف أسرارهم وخططهم والعمل على إحباطها، وفي سبيل ذلك كانوا يرسلون العيون والطلائع إلى المعسكر الفرنجي، ويذكر المؤرخ الفرنجي الصليبي المعاصر (بطرس توديبود): أن المدافعين عن مدينة القدس أرسلوا مسلما ليتجسس على عملية بناء الفرنجة للأبراج، وعندما شاهد السريان واليونانيون هذا المسلم أشاروا للفرنجة قائلين «Ma ta christo caco sarrzin»، وهذه الجملة تعني بلغتنا "بحق المسيح، هذا مسلم خسيس"، وبعد أن قبض الفرنجة الصليبيون على المسلم، قاموا باستجوابه عن طريق أحد المترجمين الذي سأله عن سبب قدومه للمعسكر الفرنجي، ورد الأسير قائلاً: "أرسلني المسلمون إلى هنا، لأكتشف ما هي مخترعاتكم"، وبعد أن أدرك الفرنجة طبيعة المَهمة التي حضر الرجل المسلم من أجلها إلى معسكرهم، حاكموه، وأخذوه مكتوف الأيدي والقدمين، ووضعوه في قاع آلة حربية تسمى المقذاف، وظنوا أنه بإمكانهم أن يدفعوا به بكل قوتهم إلى داخل بيت المقدس، ووجدوا الأمر مستحيلاً؛ لأنه إن قذف بقوة هشمت عظامه قبل أن يصل إلى الأسوار، وتَحَلت أوصاله. (توديبود، 1998، 329).

ومن الجوانب المهمة التي تشير إلى المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة، ما ذكره المؤرخون الفرنجة من أن السكان الفلسطينيين كانوا يخترقون الحصار، ويدخلون إلى بيت

المقدس من خلال الأقسام (النواحي) التي لم تحت محاصرة. وكانوا ينضمون مباشرة إلى المدافعين عن المدينة ضد الفرنجة (William of Tyre, vol.1, 1943, p.353) ومثل هذه الأعمال كانت تسهم دون شك في تعزيز صمود سكان المدينة والقوات المدافعة عنها. غير أن الفرنجة تنبهوا إلى أن المدينة كانت ضعيفة التحصين عند الباب الشمالي المعروف باسم باب القديس ستيفن وحتى البرج الواقع عند الزاوية، حيث يشرف على وادي النار. وفضلا عن ذلك كانت المدينة ضعيفة التحصين من ذلك البرج إلى الزاوية المقابلة، فوق منحدر الوادي نفسه. ومن هنالك إلى الباب الجنوبي المعروف باسم قمة صهيون (ابن القلانسي، 1908م ص 137. ابن الأثير ج 1، 1966م ص283. أعمال الفرنجة، 1958م ص 117. نوديو، 1998، ص319).

3.3.7 استيلاء الفرنجة على بيت المقدس والمذبحة التي ارتكبوها بحق سكانها 492هـ/1099م

عزيزي الدارس، بالرغم من كل الإجراءات والتدابير والأعمال الفدائية التي نفذها المدافعون عن المدينة المقدسة، وسكان الريف المجاور، فإن المدينة سقطت بيد الفرنجة في يوم الجمعة الموافق الثالث والعشرين من شعبان عام 492هـ/الخامس عشر من شهر يوليه (تموز) عام 1099م. وقد اقترف الفرنجة مذبحة رهيبة مروعة ذهب ضحيتها سكان المدينة ومن حضر للدفاع عنها من المناطق المجاورة. وأشار ابن الأثير (ت 630هـ/1232م) إلى ذلك بقوله: "وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين". ولم يراع الفرنجة حرمة الأماكن المقدسة، إذ قتلوا ما يزيد على سبعين ألفاً من المسلمين في المسجد الأقصى، كان من بينهم عدد من الأئمة والعلماء والزهاد.

ويذكر المؤرخون الفرنجة المعاصرون أن عدد القتلى في ساحة المسجد الأقصى بلغ عشرة آلاف قتيل. ويضيف وليم الصوري William of Tyre إلى هذا العدد "القتلى الذين تناثرت جثثهم في كل شوارع المدينة وميادينها لم يكونوا أقل عددا مما ذكرناهم". ونعتقد أن الرواية الفرنجية أقرب للصحة للاعتبارات الآتية: أن مساحة المدينة كانت تقرب من كيلو متر مربع. وكان يقطنها في منتصف القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ما يقرب من عشرين ألف نسمة، حسب ما ذكره الرحالة الفارسي ناصر خسرو. ولكن هذا العدد تراجع بعد ذلك

بسبب الحروب الكثيرة التي عانتها المدينة، فضلا عن عدم الاستقرار الذي شهدته في أثناء الربع الأخير من القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي؛ بسبب الحصار الذي تعرضت له أكثر من مرة سواء من الدولة السلجوقية أو الفاطمية. فعلى سبيل المثال دام الحصار الذي فرضته القوات الفاطمية على بيت المقدس عام 489هـ /1097م نحو أربعين يوما. فلم تستلم القوات السلجوقية التي كانت داخل بيت المقدس إلا بعد أن ضربت المدينة بأكثر من أربعين منجنيقا دمرت جزءا من سوره.

تدريب (4)

ما هي الإجراءات التي اتخذها المسلمون للدفاع عن القدس؟

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- تحدث عن حصار الفرنجة لبيت المقدس.

2- ناقش عدد القتلى المسلمين في القدس طبقا للرواية الفرنجية والرواية الإسلامية.

3- وضح أساليب المقاومة الإسلامية في القدس قبيل استيلاء الفرنجة عليها.

4.7 الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس وجوارها

1.4.7 الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس

أسهمت القوة العسكرية الفرنجية في قتل جميع سكان بيت المقدس فضلا عن السيطرة الكاملة على المدينة المقدسة. ولعل ذلك فتح الباب على مصراعيه أمام المستوطنين الفرنجة للاستقرار والتملك في بيت المقدس. وفي ذلك يقول المؤرخ فوشيه الشارتري: "وبعد هذه المذبحة الكبيرة دخل الفرنجة بيوت السكان واستولوا على كل ما وجدوه بها، وتم هذا بطريقة جعلت كل من يسبق إلى الدخول فقيرا كان أو غنيا يستولي على البيوت. ولا يجد من ينزعه من الفرنج الآخرين. وكان له أن يحتل المنزل أو القصر ويمتلكه بكل ما فيه كما لو كان ملكية خاصة له. وهكذا اتفقوا جميعا على هذا النمط من حقوق الملكية. وبهذه الطريقة صار كثيرون من الفقراء أغنياء".

وثمة سؤال يطرح. هل كان عدد الفرنجة الذين استقروا في بيت المقدس كافيا لملء جميع أحيائها ومنازلها وشوارعها؟ يبدو من سير الأحداث. وما ذكره المؤرخون الفرنجة. أن العدد لم يكن كافيا. فالمؤرخ الفرنجي وليم الصوري يقول: "وكان سكان قطرنا قليلي العدد قلة ملحوظة. ويعيشون في فقر مدقع حيث أنهم كانوا أقل من أن يشغلوا شارعا من شوارعها". وبطبيعة الأمر فإن هذا العدد القليل من الفرنجة لم يكن كافيا لحراسة مداخل المدينة والدفاع عن أسوارها وأبراجها ضد أي غارة إسلامية تباغتها على غير توقع منها.

واجهت عملية الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس منذ البداية مجموعة من المصاعب والمشاكل التي كانت تهدد العملية الاستيطانية جميعها. وتعدّ مشكلة نقص العنصر البشري الفرنجي من أكثر التحديات التي واجهت القادة الفرنجة في الأراضي المقدسة: لأن الاستيطان كان بحاجة إلى الأمن والدفاع. وهذا لم يكن ممكنا في ظل النقص الحاد في عدد السكان الفرنجة الذين استوطنوا في بيت المقدس وغيرها من المناطق الأخرى.

عندما استولى الفرنجة على بيت المقدس ارتكبوا مذبحة مروعة ذهب ضحيتها سكان المدينة من مسلمين ويهود. وبذلك أضحت المدينة خالية من السكان. ولم يشكل الفرنجة الذين استقروا فيها حيا من أحيائها. مما دفع الملك بلدوين الأول إلى استقطاب عناصر مسيحية شرقية من المدن والقرى الفلسطينية إضافة إلى من أحضرهم من الكرك والشوبك.

2.4.7 الاستيطان الفرنجي في الريف المقدسي

برزت. بعد ذلك. فكرة الاستيطان الفرنجي من مختلف المستويات سواء من قبل ملوك بيت المقدس. أو السادة الإقطاعيين. أو رجال الدين اللاتين. أو الجاليات التجارية والهيئات الدينية المحاربة الاسبتارية والداوية والتيوتون. وقد أسهم نظام الإقطاع الأوروبي الذي نقله الفرنجة إلى فلسطين في زيادة الرقعة الاستيطانية في الأراضي المقدسة. ومن هذا المنطلق شرع رجال الدين اللاتين بتطويق بيت المقدس بحزام من المستوطنات بمقتضى المنحة التي قدمها الأمير جودفري البويوني Godfrey de Bouillon إلى رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة.

كانت قرية البيرة الواقعة شمال القدس أولى المستوطنات التي أسسها الفرنجة في الأراضي المقدسة على الرغم من أن القرية لم تكن مهجورة من سكانها المسلمين. وبطبيعة الحال قام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بتهجير من بقي من سكان القرية المسلمين إلى مناطق أخرى قبل الشروع بتأسيس المستوطنة. ومن المرجح أن عملية إنشاء هذه المستوطنة تم بالتدريج؛ لأن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قاموا بتوطين مجموعة من الأوروبيين الأحرار في البيرة وزودوهم بقطع من الأراضي لزراعتها مقابل دفع ضريبة العشر لرجال الدين. واقتسام الحاصيل التي تنتجها أراضي البيرة مع المستوطنين. وتجدر الإشارة إلى أن مستوطنة البيرة كانت محاطة بالأسوار. كما جرى بناء قلعة لحمايتها من الأخطار الخارجية التي قد تتعرض لها. وأطلق الفرنجة على مستوطنة البيرة magna mahumeria ، أي منطقة التعبد الكبرى أو المنبر الأكبر. وكانت سياسة رجال الدين الاستيطانية هي التي جعلت مستوطنة البيرة مستمرة في التوسع من حيث الحجم والأهمية طوال القرن الثاني عشر الميلادي. ويبدو أن هذه المستوطنة كانت تؤدي عدة أغراض منها العسكرية. والاقتصادية. والدينية. ودليل ذلك اشتراك خمسة وستين رجلا من المستوطنين في محاربة صلاح الدين الأيوبي بالقرب من غزة. وبالنسبة للغرض الاقتصادي فإن أراضي المستوطنة كانت تزرع بعدة محاصيل. أما فيما يخص الغرض الديني فيكفي أنها كانت خاضعة لرجال الدين اللاتين الذين قاموا بإنشاء الكنائس والمحاكم الكنسية داخل المستوطنة.

ومن المستوطنات التي أقامها رجال الدين اللاتين في الجنوب الغربي من بيت المقدس مستوطنة القبيبة (تصغير قبة) التي عرفت باسم parva mahumeria. أي منطقة التعبد الصغرى أو المنبر الأصغر. وكان سكانها من المواطنين اللاتين الذين يعملون في حرف مختلفة مثل: الحدادة. والنجارة. وصناعة الأحذية. والبناء. فضلا عن العمل في مجال الزراعة والعناية بالحدائق والبساتين. وأقام رجال الدين اللاتين كثيرا من المنشآت في مستوطنة القبيبة إذ تم الكشف عن مبنى كبير مزود بمخزن للحبوب. ويبدو أنه كان المركز الإداري curia في المستوطنة. ومكان إقامة المسؤول عن شؤون رجال الدين في القبيبة. والذي يطلق عليه اسم dispensator باللاتينية. وكانت مستوطنة القبيبة تمتاز بموقع استراتيجي مهم بسبب موقعها على

الطريق الرئيس المؤدي من السهل الساحلي إلى بيت المقدس. ومن المرجح أن طريق المواصلات كانت ميسرة لهذه المستوطنة التي كانت تؤدي المهام نفسها التي كانت تؤديها مستوطنة البيرة. أي أنها كانت تقوم بالمهام العسكرية. والاقتصادية. والدينية.

وكان رجال الدين اللاتين يسهمون بشكل أو بآخر في عملية تهجير السكان من قراهم إلى مناطق أخرى. والبرهان على ذلك عندما أصروا على ترحيل سكان قرية كفر مالك المسلمين إلى قرية بيت فوريك الواقعة شرقي مدينة نابلس. وقد استجاب الملك الصليبي لطلبهم. وأمر بتهجير سكان القرية بعد أن حصلوا عليها مكان سكان القرية الأصليين. وبطبيعة الحال فإن عملية التهجير لم تتم بسهولة: لأنه ليس من السهل اقتلاع أصحاب الحق من أرضهم. ولا بد من حدوث مقاومة واحتجاجات أدت إلى مقتل بعض سكان قرية كفر مالك الذين تصدوا للمستعمر الفرنجي.

ظلت المدينة تحت الحكم الفرنجي إلى أن خلصها الناصر صلاح الدين الأيوبي بعد أن انتصر في معركة حطين عام 583هـ/ 1187م. وارتحل قاصدا بيت المقدس. فتمكن من فتحه في السنة نفسها يوم الجمعة. 27 من شهر رجب. الموافق 3 تشرين الأول (أكتوبر).

ومما يجدر ذكره أن بيت المقدس ما عرف الاستقرار أبدا طوال الحكم الفرنجي الذي استمر ما يقارب 88 عاماً. فقد كان العرب المسلمون يهاجمون المدينة في غارات مستمرة. كما أنها تعرضت للهزات الأرضية أكثر من مرة. فضلا عن تعرضها للقحط والجراد. مما دفع الفرنجة إلى عقد اجتماع في مدينة نابلس لحكام المدن ورؤساء الأديرة والكنائس. لبحث هذه الأوضاع السيئة المتردية.

تدريب (5)

وضح عملية الاستيطان الفرنجي في مدينة القدس.

5.7 نظام الحكم والإدارة في بيت المقدس في عهد الفرنجة

سيطر الفرنجة على فلسطين وشرق الأردن وأجزاء من لبنان وسوريا. وعملوا على تطبيق النظام الإقطاعي الذي كان سائدا في أوروبا مع بعض التغييرات الطفيفة التي تتمشى مع استقرارهم في الشرق. وكان الملك الفرنجي يمثل رأس الهرم. يليه أربعة من كبار الأمراء يتولون إدارة أربع إمارات كبيرة هي: بارونية صيدا، وإمارة الجليل، وإمارة ما وراء الأردن، وكونتية يافا وعسقلان. وفضلا عن ذلك كان هناك اثنتا عشرة إقطاعية هي: إقطاعية قيسارية، وإقطاعية أرسوف، وإقطاعية الخليل، وإقطاعية حيفا، وإقطاعية اللد والرملة، وإقطاعية بيروت، وإقطاعية نابلس، وإقطاعية بيسان، وإقطاعية طبريا، وإقطاعية القيمون، وإقطاعية بانياس وتبنين، وإقطاعية اسكانداليوم. هذا إلى جانب بعض المدن الملكية مثل: صور، وعكا، والدارم (دير البلح).

وقد تركزت الإدارة المحلية بأيدي مجموعة من كبار موظفي البلاط، يختارهم الملك من كبار السادة الإقطاعيين في المملكة، وأبرز هذه الوظائف:

- الصنجيل السنشال: كان كبير موظفي البلاط، ومهمته الإشراف على جميع الاحتفالات في مملكة بيت المقدس اللاتينية، وكان يحمل الصولجان عند التتويج، ويتقدم الملك في المواكب، ويعتبر رئيس الإدارة المدنية، وهو المسؤول عن الأمور المالية.

- الكندسطبل: قائد الجيش في مملكة بيت المقدس، ويعد مسؤولا عن كل ما يتعلق بنظامه وإدارته.

- المارشال: مهمته مساعدة الكندسطبل، والنيابة عنه في أثناء غيابه.

- الفيكونت: ينوب عن الملك في المدن الكبرى، كما أنه يمثل السيد في مدن إمارته، ويتولى جباية الضرائب المحلية وإرسالها إلى بيت المال، وحفظ الأمن في المدينة، وكانت المحاكم المحلية تخضع لمسؤوليته.

- الحاجب: مسؤوليته الإشراف على حاشية الملك الشخصية وأمواله، وفي أوقات المواكب، يؤدي دور الابن الخاص.

- المحتسب: مهمته الإشراف على الأسواق في المدينة، وما يتم بها من بيع وشراء، وهذه الوظيفة أخذها الإفرنج عن المسلمين. (رانسيمان، ج2، 1968، 488-486).

1.5.7 النظام القضائي في مملكة بيت المقدس في العهد الفرنجي

شهدت مملكة بيت المقدس اللاتينية نظاما قضائيا مرتبطا بالنظام الإقطاعي الأوروبي نقله الفرنجة من بلادهم. وبناء على ذلك فقد ظهر في بيت المقدس مجموعة من المحاكم منها:

1- المحكمة العليا Highcourt "محكمة الملك Curia Regilis":

كانت تعقد برئاسة الملك. ولم يكن لها مقر ثابت. وإنما كان الملك يدعوها للانعقاد حسب ظروف المملكة. وقد عقدت في بيت المقدس. وعكا. ونابلس. وكانت تضم مندوبين عن الجاليات التجارية. وعن الهيئات المحاربة. وكان يحضر جلساتها رؤساء الكنائس والأديرة. والبطريرك. ورؤساء الأسافقة. والأساقفة. وكبار السادة الإقطاعيين. وكانت تنظر في الخيانة العظمى. وفي ظروف الحرب والسلام. ثم توسعت اختصاصاتها فأصبحت مختصة بالشؤون القضائية والسياسية. كذلك أصبحت بمثابة هيئة تشريعية لابد من موافقتها على أي قانون أو تشريع جديد في المحكمة. فضلا عن الفصل فيما ينشأ بين الأمراء من خلافات (رانسيمان. ج2. 1968م. ص482-481. البشاوي. 1991م. ص199)

2- المحاكم الوطنية Civil Courts:

كانت تختص بالقضايا الخاصة بالسكان الوطنيين. إذ سمح لهم بالتقاضي أمام محاكمهم الوطنية الخاصة بهم. إلى جانب تطبيق القوانين السابقة على قدوم الفرنجة. وكان قضاة تلك المحاكم من سكان البلاد الوطنيين. وكانت تنظر في القضايا الصغرى التي لا تشمل الجنايات. (البشاوي. 1991م. ص383)

3- محكمة المدينة Cour de la Fonde:

يرأسها موظف فرنجي يدعى ببالي Bailli. يختاره فيسكونت المدينة من بين طبقة الفرسان أو من الطبقة البرجوازية Burgesses. يساعده ستة محلفين Jures. أربعة من السكان الوطنيين. واثنان من الفرنجة. وكان لمحكمة المدينة سلطان قضائي على جميع الطوائف والفئات الموجودة في المدينة. ومن خصائصها النظر في القضايا التجارية. والقضايا البسيطة الخاصة

بسكان المدينة على اختلاف طوائفهم، إضافة إلى أنها تقوم بتسجيل كل صفقات العقارات الخاصة بالسكان الوطنيين، مثل: البيع، والتأجير والرهونات العقارية، وأراضي المدينة، والحدائق، والآبار.

4- المحكمة البرجوازية Court of the Burgesses:

كان فيسكونت بيت المقدس هو الذي يتولى رئاسة تلك المحكمة، يساعده اثنا عشر محلفا يختارهم من بين أتباعه اللاتين، وكانت المحكمة البرجوازية تنعقد ثلاثة أيام في الأسبوع فيما عدا أيام المواسم والأعياد الدينية، وتنظر في القضايا التي لم يكن النبلاء طرفا فيها، وتبحث في جميع القضايا الخاصة بالنواحي المدنية، كقضايا التعدي على الأراضي، فضلا عن معالجتها شؤون العبيد، وتقوم بالفصل في جميع القضايا الخاصة بأفراد الطبقة البرجوازية، كذلك فإنها تفصل في قضايا الفرسان إذا اختاروا المثول أمامها. وللمحكمة البرجوازية ما للمحكمة العليا من قوانين، وإن كانت في مجموعها تستند إلى العرف والتقاليد المرعية أكثر من كونها قوانين مدونة. (البيشاوي، 1990م، ص383-381)

اسئلة التقويم الذاتي (3)

1- تركزت الإدارة المحلية في العهد الفرنجي في أيدي مجموعة من كبار موظفي البلاط. اشرح ذلك.

2- شهدت مملكة بيت المقدس اللاتينية ظهور نظام قضائي نقله الفرنجة من بلادهم. وضح أهم المحاكم التي ظهرت في المملكة.

2.5.7 التنظيمات الدينية في مملكة بيت المقدس اللاتينية

- هيئة فرسان الاسبتارية: تأسست على يد مجموعة من التجار الايطاليين الذين ينتمون إلى مدينة أمالفي عام 1070م، وتحولت هذه الهيئة إلى طائفة من الفرسان لمقاتلة المسلمين.

- هيئة فرسان الداوية: تأسست عام 1118م على يد الفارس الفرنسي هيودي باينز.

- هيئة فرسان التيوتون: تعددت الأسماء التي عرفت بها هذه الهيئة ومنها مستشفى

القديس مريم التيوتون في القدس. مستشفى القديس مريم منزل التيوتون في القدس. وتحولت الهيئة إلى الجانب العسكري بعد معركة حطين. وحازوا على إقطاعات كثيرة في مملكة عكا الاسمية. (الحويري. 1979م. ص71-69).

- هيئة فرسان القديس لعازر (St.Lazarus): قامت أساسا من أجل رعاية المصابين بمرض الجذام. ولقيت دعما واضحا من مملكة بيت المقدس الفرنجية والبابوية. ومن النبلاء والأمراء الإقطاعيين. (الحويري. 1979م ص73. عوض 2004م ص46-42).

- هيئة فرسان القديس لورانس: يعود السبب في ظهور هذه الهيئة إلى دوافع لغوية. إذ إن هؤلاء الفرسان الذين تشكلت منهم هذه الهيئة كانوا من مدينة جنوة الإيطالية. (عوض. 2004م).

- هيئة فرسان جبل السعادة (جبل النبي صموئيل): كانت في أصلها هيئة إسبانية ترجع إلى عام 1177-1176م. وتشكلت الهيئة عام 1180م. وتأكد تشكيلها بوثيقة من قبل البابا الكسندر الثالث. وقد اندمجت في هيئة فرسان الداوية عام 1204م. (الحويري 1979م ص71).

- هيئة الفرسان الكرمليين: ظهرت في جبل الكرمل.

- هيئة فرسان القبر المقدس: تم تأسيسها على يد جودفري البويوني. واتبعت نظام الاوغسطيني. وأصبحت معروفة على المستوى الشعبي. وامتلكت العديد من الأملاك في أوروبا والأراضي المقدسة. (عوض. 2004م ص52).

- هيئة فرسان القديس جورج: ظهرت في منطقة اللد.

- هيئة فرسان القديس توما الكانتربري: تعد من الهيئات الغامضة التي لا يعرف عنها إلا القليل. وقد نشأت في أثناء الحملة الصليبية الثالثة على أساس شبه ديني. وشكل الإنجليز العنصر الرئيسي فيها؛ ولذلك رأى أحد الباحثين أنها قامت على أساس قومي. ويرجع تأسيسها إلى راهب إنجليزي يدعى ويليام حضر إلى فلسطين مع الحملة الفرنجية الثالثة. وكان فرسان تلك الهيئة قلة من حيث العدد فضلا عن أنهم كانوا فقراء (الحويري. 1979م ص72. عوض 2004م ص50).

- تنظيم الروح المقدسة: ويحتمل أن يكون هذا التنظيم قد تطور من خلال منظمة أو جماعة حملت الاسم نفسه. ونظمت نفسها كنظام حربي (عوض. 2004. ص 51)

5./ فئات المجتمع في مملكة بيت المقدس اللاتينية

تشكل السكان في بيت المقدس من خليط عرقي وديني ومذهبي. فكان في مدن مملكة بيت المقدس وقراها العناصر العربية، والترك، والأكراد، والأرمن. كما وجدت مجموعات من السنة، والشيعة، والدروز، والإسماعيلية، ووجد أيضا الأوروبيون من فرنسيين، وألمان، وإيطاليين، وإنجليز، على مذاهب أرثوذكسية ولاتين ووارنة، ونساطرة، ويعاقبة، وجماعات يهودية وسامرية.

وقد تشكل من هذا الخليط عدد من الطبقات الاجتماعية على رأسها:

1- الفرنجة: الذين قدموا من غرب أوروبا، وهم أتباع الكنيسة الكاثوليكية، وهؤلاء بصورة رئيسة الفئة الحاكمة في المجتمع الصليبي، والقوة المقاتلة الأساسية.

2- طبقة البرجوازية: وهم من الفلاحين الذين قدموا من أوروبا واستوطنوا القدس، وكانوا من مشاة الحملة الصليبية الأولى، ولعبوا دورا مهماً في حياة مدينة القدس الاقتصادية، كما كان لهم مشاركة في الخدمات العسكرية، وكانوا يقدمون ما مجموعه 500 (سرجندي)، وهؤلاء لهم محاكمهم الخاصة. (الحويري، 1979م، ص84-83).

3- طبقة المولدين (الأفراخ): وهم الأبناء المنحدرون من زواج مختلط بين الفرنجة والمسيحيين الوطنيين من أرمن، ويعاقبة، وسريان، وليس من شك في أن الزواج المختلط بين الفرنجة والوطنيات السوريات كان نادرا، كما أن زواج النساء الفرنجيات من السوريين كان أكثر ندرة، وقد وصف يعقوب الفيتري المولدين قائلاً: إنهم (تربوا على الترف، وهم نموذج للنعومة والتخنث، اعتادوا التردد على الحمامات الشرقية، بدلا من التوجه إلى ساحات المعارك، ولديهم ميل إلى الرفاهية، وارتداء الأثواب الناعمة مثل النساء، كسالى، خاملون، جبناء). (Miller, 1908, pp523-524، الحويري، 1979م، ص 81-80)

4- القومونات الإيطالية: وهم تجار المدن الايطالية، ويمكن أن نعدهم ضمن الفئة الحاكمة في مملكة بيت المقدس وخاصة في المدن الساحلية، وقد مر معنا أن ملوك بيت المقدس استعانوا بالإيطاليين (الجنوية، والبنادقة، والبيازنة)، ومنحوهم امتيازات مقابل مشاركتهم في احتلال المدن الإسلامية، فكان يعطى لهم ثلث كل مدينة أو موقع يسيطرون عليه، وكان لهم أحياء

خاصة في المدن ما تخضع لقوانين مملكة بيت المقدس، وكانوا غير ملزمين بالخدمة العسكرية.

5- رجال الدين اللاتين: وهؤلاء أصبحوا سادة الإشراف الكنسي في مملكة بيت المقدس، منذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنجي للقدس، واحتل البطاركة الكاثوليك مكان البطاركة الأرثوذكس. وقد حازت هذه الطبقة على امتيازات واسعة بما أغدقه عليها ملوك بيت المقدس من إقطاعات. إضافة إلى ضريبة العشر التي كانت تفرض على جميع السكان اللاتين في المملكة، والتبرعات ورسوم الخدمات الكنسية. (جاسر، 1989م ص 124-123، كفافي وآخرون، 2001، ص154-155).

6- التركوبولية: قام الفرنجة بتجنيدهم من المسيحيين الشرقيين أو الذين تخلوا عن ديانتهم، وصاروا على نمط الخيالة البيزنطيين فيما اتخذوه من سلاح، ونالوه من تدريب، ويبدو أنه كان ثمة فرق في هذه الفئة بين الذين يتحدثون لغة آبائهم وأولئك الذين يتحدثون لغة أمهاتهم (رانسيمان، ج2، 1968، ص470، جاسر، 1989م ص124).

7- المسيحيون الشرقيون: عاش المسيحيون الشرقيون إلى جانب المسلمين، وتمتعوا بقسط وافر من التسامح الديني، ومارسوا طقوسهم في كنائسهم بحرية تامة. وقد نظر إليهم اللاتين نظرة أخرى، وعدوهم منشقين عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية، وبمعنى آخر ملحدين. ومن الطوائف الشرقية المسيحية الموارنة، والأرمن، والروم، والسريان، واليعاقبة، والأقباط. (الحويري، 1979م، ص88-95).

8- طبقة العبيد والأقنان: كانت أوضاع العبيد والأقنان قد أخذت بالتحسن في الغرب الأوروبي في القرن الثاني عشر الميلادي، وأصبح باستطاعة الكثير منهم أن يتحرروا ويمارسوا حقوقهم المشروعة في الحياة، لكنهم قاسوا الكثير من الإجحاف والسخرة والظلم بسبب تعسف الفرنجة، مما جعلهم يترحمون على أيام حكم المسلمين، وكانت الحروب الفرنجية قد فتحت الباب على مصراعيه أمام عشرات الألوف من الأقنان الذين تركوا الأرض بحجة المشاركة بالحملات التي قادها أهل الغرب ضد المشرق الإسلامي، ومما دفعهم إلى ذلك الأمل في حياة جديدة أفضل من حياة الذل والهوان والشقاء في الغرب الأوروبي. (عاشور، ج1، 1978م، ص39-38، الحويري، 1979م، ص86-85).

تدريب (6)

تحدث عن أهم التـنظيمات الدينيـة في مملكة بيت المقدس.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1- تحدث عن مستوطنة البيرة كأول مستوطنة فرنجية في الأراضي المقدسة.

2- اذكر أهم الفئات الاجتماعية في بيت المقدس في أثناء السيطرة الفرنجية.

8. الخلاصة

عالجت الوحدة الرابعة «أوضاع مدينة القدس منذ بداية الدولة العباسية وحتى معركة حطين 132-583هـ/750-1187م» موضوعات شائكة: إذ تطرقت إلى انتقال المدينة المقدسة إلى سيطرة الخلافة العباسية، والأعمال التي أنجزت في القدس في العصر العباسي الأول، كما ناقشت أوضاع المدينة المقدسة في عهد الدولة الطولونية. وتحدثت أيضا عن سيطرة الدولة الإخشيدية على المدينة، كما أشارت إلى سيطرة الدولة الفاطمية على المدينة مدة طويلة من الزمن، تخللها سيطرة الدولة السلجوقية ثم عودة المدينة إلى الفاطميين. وتعرضت هذه الوحدة إلى قدوم الفرنجة وحصارهم للمدينة المقدسة، والمقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الغزاة، كما تطرقت إلى المجزرة التي ارتكبها الفرنجة في المدينة المقدسة. وعالجت هذه الوحدة أيضا حركة الاستيطان الفرنجي في المدينة وجوارها، كما تعرضت لذكر أهم التنظيمات الإدارية في المدينة. وختمت الوحدة بالإشارة إلى معركة حطين واستعادة القدس من الفرنجة عام 583هـ/ 1187م.

9. لمحة عن الوحدة الدراسية الخامسة

تعرفت، عزيزي الدارس، على أوضاع مدينة القدس في عصر الخلفاء العباسيين والدويلات التي استقلت عنها كالدولة الطولونية والسلاجقة والإخشيدية والفاطمية حتى احتلها الصليبيون (الفرنجة). وفي الوحدة الخامسة نبين لك القدس في العهد الأيوبي وكيف تحررت من الحملات الصليبية على يد سلاطين الدولة الأيوبية مثل القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، وكذلك دور المماليك في تحرير القدس من الحملات الصليبية التي استمرت بعد معركة حطين وخاصة في عهد الظاهر بيبرس والمنصور سيف الدين قلاوون.

10. إجابات التدريبات

تدريب (1)

أوضاع القدس في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور:

1- زار الخليفة أبو جعفر القدس مرتين.

2- تقول بعض الروايات أن أبا جعفر أمر بكتابة أسماء اليهود وشما على أيديهم.

3- أمر المنصور باتخاذ إجراءات صارمة بحق سكان فلسطين بمن فيهم سكان القدس.

4- ذكر غابيوس المنبجي أن الخليفة أبا جعفر المنصور اتخذ إجراءات صارمة بحق سكان فلسطين بمن فيهم سكان المدينة المقدسة (فعسف الناس جميعا، وألزمهم نوائب وكلفا لم يتقدمه فيها أحد من الملوك، وضيق عليهم تضييقا شديدا حتى لم يبق إنسان من صانع، ولا طواف، ولا حمال، ولا حفار القبور، ولا فلاح، ولا متصدق، ولا صنف من صنوف الناس حتى ألزمهم الخراج وأخذ أموالهم، واشتد بالناس البلاء، وبلغ الجهد حتى أن بعضهم حفر القبور، وأخذ الجيف وطحنها وأكلها، وذبحت الكلاب وشويت وبيعت في الأسواق، وفنيت الدراهم من أيدي الناس، ولحقهم من البلاء ما لا يوصف، ومن تمام المكروه عليهم أنه خرجت لهم طواعين.

حيث تم في هذا الجهد إذ توفي المنصور.

5- يرجح أن هذه السياسة كانت سياسة الولاة العباسيين الذين بالغوا في تطبيق أوامره واتبعوه. واتبعوا طرقا مختلفة في جمع الضرائب. وهناك إشارة إلى محاسبة المنصور ولاته واستقصاء أخبارهم. ولعل هذه الرواية تشير إلى ما لحق بأهل فلسطين من ظلم الولاة وعسفهم.

6- استدعى المنصور أحد سكان فلسطين ويدعى "ابن مجير" وسأله عن أوضاعهم قائلا: ما وراءك يا ابن مجير؟ فأخرج له طائرا من كمه. كان قد نتفه حتى لم يبق عليه ريشة واحدة. فقال له: فارقت البلد. يا أمير المؤمنين. وقد نتفه ابن أخيك حتى تركه كما تركت هذا الطائر. ويبدو لنا أن المنصور لم يكن موفقا في اختيار أصحاب البريد (المخابرات) الذين يصدقون بالإخبار عن أعمال الولاة.

تدريب (2)

أوضاع القدس في العصر الفاطمي:

1- استولى جعفر بن فلاح على مدينة القدس عام 359هـ/970م.

2- اهتم الفاطميون بالقدس. وأسسوا فيها مجموعة من المؤسسات أهمها البيمارستان. ودار العلم الفاطمية. والخانات. لتسهيل أمور التجار.

3- شجعوا العلوم والآداب. ومنعوا ضرب الأطفال في المدارس.

4- كان نصف سكان القدس يعتنقون المذهب الشيعي. بينما كان النصف السني في خفية من أمرهم.

5- كانت علاقة السلطة الفاطمية بنصارى القدس سيئة في بعض الأحيان.

6- أسهمت الدولة الفاطمية في ترميم المسجد الأقصى وأسوار المدينة.

7- تمتع النصارى في عهد الظاهر الفاطمي بحريتهم الدينية. وأعيد بناء كنيسة القيامة.

تدريب (3)

الدوافع من وراء إنشاء حي البطريرك في القدس:

1- كان المسلمون والمسيحيون يعيشون بمساكن متجاورة.

2- تقرر إنشاء حي خاص بالنصارى في القدس له صبغة قانونية محددة. لكن نصارى القدس لم تتوافر لديهم وقتذاك الإمكانات المادية لبناء الحي فطلبوا السماح لهم بطلب المساعدة والدعم من الإمبراطور البيزنطي. وتم التوصل إلى اتفاق بين الخليفة الفاطمي والإمبراطور البيزنطي قسطنطين. تقرر بموجبه أن يقوم الإمبراطور بتمويل ذلك الجزء من السور المحيط بالقسم المخصص للنصارى والذي تم بناؤه عام 1063م. لكن بشرط أن يجعل الحي مقصورا على سكان المدينة من المسيحيين لا يخالطهم فيه أحد.

3- وافق الخليفة الفاطمي على ذلك رسميا.

4- نشأت أحياء خاصة بأصحاب الديانات السماوية الثلاثة.

5- أجبر المسلمون. وبأمر من الخليفة الفاطمي على الانتقال من مساكنهم في حي البطريرك إلى منازل أخرى داخل أسوار المدينة.

6- يرجع السبب الرئيس الذي أدى إلى هذا التغيير في سكنى الناس في القدس إلى أن أسوار المدينة كانت في حالة سيئة.

تدريب (4)

الإجراءات التي اتخذها المسلمون للدفاع عن المدينة المقدسة.

1- قاموا بطمر وإفساد ما يقع حول المدينة من مياه "الينابيع والعيون"؛ لمنع العدو من استخدامها والانتفاع بها.

2- قاموا بإخفاء الماشية والقطعان في الكهوف والمغاور.

3- عملوا على تقوية تحصينات المدينة. والتأكد من سلامة أسوارها. معتمدين على حامية كبيرة من الجند المصريين والسودان. المسلحين تسليحا جيداً. وأهالي مدينة القدس. ومن وفد إلى المدينة من سكان المدن والقرى المجاورة.

4- أخرجوا المسيحيين الشرقيين من المدينة المقدسة احترازا وخوفا من قيامهم بمساعدة الفرنجة.

تدريب (١٠)

الاستيطان الفرنجي في مدينة القدس:

أسهمت القوة العسكرية الفرنجية في قتل جميع سكان بيت المقدس، فضلا عن السيطرة الكاملة على المدينة المقدسة، ولعل ذلك فتح الباب على مصراعيه أمام المستوطنين الفرنجة للاستقرار والتملك في بيت المقدس، وفي ذلك يقول المؤرخ فوشيه الشارتري: «وبعد هذه المذبحة الكبيرة دخل الفرنجة بيوت السكان واستولوا على كل ما وجدوه بها، وتم هذا بطريقة جعلت كل من يسبق إلى الدخول، سواء أكان فقيرا أم غنيا، يستولي على البيوت، ولا يجد من ينزعه من الفرنج الآخرين، وكان له أن يحتل المنزل أو القصر ويمتلكه بكل ما فيه كما لو كان ملكية خاصة له، وهكذا اتفقوا جميعا على هذا النمط من حقوق الملكية، وبهذه الطريقة صار كثير من الفقراء أغنياء».

وثمة سؤال يطرح: هل كان عدد الفرنجة الذين استقروا في بيت المقدس كافيا لملء جميع أحيائها ومنازلها وشوارعها ؟ يبدو من سير الأحداث، وما ذكره المؤرخون الفرنجة، أن العدد لم يكن كافيا؛ فالمؤرخ الفرنجي وليم الصوري يقول: «وكان سكان قطرنا قليلي العدد قلة ملحوظة، ويعيشون في فقر مدقع حيث أنهم كانوا أقل من أن يشغلوا شارعا من شوارعها»، وبطبيعة الأمر فإن هذا العدد القليل من الفرنجة لم يكن كافيا لحراسة مداخل المدينة والدفاع عن أسوارها وأبراجها ضد أيّ غارة إسلامية تباغتها على غير توقع منها.

واجهت عملية الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس منذ البداية مجموعة من المصاعب والمشاكل التي كانت تهدد العملية الاستيطانية جميعها، مشكلة نقص العنصر البشري الفرنجي من أكثر التحديات التي واجهت القادة الفرنجة في الأراضي المقدسة؛ لأن الاستيطان كان بحاجة إلى الأمن والدفاع، وهذا لم يكن ممكنا في ظل النقص الحاد في عدد السكان الفرنجة الذين استوطنوا في بيت المقدس وغيرها من المناطق الأخرى.

عندما استولى الفرنجة على بيت المقدس ارتكبوا مذبحة مروعة ذهب ضحيتها سكان المدينة من مسلمين ويهود، وبذلك أضحت بيت المقدس خالية من السكان، ولم يشكل

الفرنجة الذين استقروا في القدس حيا من احياتها. ما دفع بالملك بلدوين الاول إلى استقطاب عناصر مسيحية شرقية من المدن والقرى الفلسطينية فضلا عما أحضره من الكرك والشوبك.

تدريب (6)

أهم التنظيمات الدينية التي ظهرت في مملكة بيت المقدس:

- هيئة فرسان الاسبتارية: تأسست على يد مجموعة من التجار الايطاليين الذين ينتمون إلى مدينة امالفي عام 1070م. وتحولت هذه الهيئة إلى طائفة من الفرسان لمقاتلة المسلمين.

- هيئة فرسان الداوية: تأسست عام 1118م على يد الفارس الفرنسي هيودي باينز.

- هيئة فرسان التيوتون: تعددت الأسماء التي عرفت بها هذه الهيئة ومنها 1) مستشفى القديس مريم للتيوتون في القدس 2) مستشفى القديس مريم لمنزل التيوتون في القدس. وتحولت الهيئة إلى الجانب العسكري بعد حطين. وحازوا على إقطاعات كثيرة في مملكة عكا الإسمية.

- **الإخشيديون:** ينتسب الإخشيديون إلى الإخشيد، وهو اللقب الذي كان يطلق على ملوك فرغانة، ومعناه الذكي أو نابه ملك الملوك.

- **السلاجقة:** سمي السلاجقة بهذا الاسم نسبة إلى جدهم سلجوق، وبدأوا يظهرون في بداية القرن الخامس الهجري /بداية القرن الحادي عشر الميلادي. انتصروا على البيزنطيين في معركة ملاذكرد (مانزكرت)، وانقسموا في أواخر عهدهم إلى مجموعة دول في مناطق مختلفة مثل: سلاجقة الشام، وسلاجقة العراق، وسلاجقة الروم، وسلاجقة إيران.

- **الفاطميون:** ينتسبون إلى فاطمة الزهراء، نشأت دولتهم في المغرب، ثم سيطروا على مصر، وفيها أعلنوا الخلافة، ومن قادتهم المشهورين جوهر الصقلي الذي أسس مدينة القاهرة.

- **افتخار الدولة الفاطمي:** تولى حكم مدينة القدس بعد سيطرة الفاطميين عليها، وحوصر من قبل الفرنجة، وقد اتخذ عدة إجراءات لحمايتها من الغزاة.

- **السريان:** طائفة من المسيحيين تقول أن للمسيح طبيعة واحدة مثل أقباط مصر، وهي تعترف برئاسة الكنيسة الكاثوليكية عليها، ولكن لها آراءها وبطريركها الخاص.

- **جودفري البويوني Godfrey de Bouillon:** انتخب حاكماً على بيت المقدس، ورفض أن يتوج ملكا في موقع لبس فيه السيد المسيح تاجا من الشوك.

- **بلدوين الأول:** كان خبيرا باستخدام السلاح، وبارعا في ركوب الخيل، نشيطا دائم الحركة، حكم الرها مدة من الزمن، ثم حضر إلى بيت المقدس عقب وفاة شقيقه جودفري، وانتخب ملكا على بيت المقدس عام 1100م.

- **محكمة المدينة Cour de la Fonde:** يرأسها موظف فرنجي يدعى بيالي Bailli، يختاره فيسكونت المدينة من بين طبقة الفرسان أو من الطبقة البرجوازية Burgesses، يساعده ستة محلفين Jures، أربعة من السكان الوطنيين، واثنان من الفرنجة، وكان لمحكمة المدينة سلطان قضائي على جميع الطوائف والفئات الموجودة في المدينة، ومن خصائصها النظر في القضايا التجارية، والقضايا البسيطة الخاصة بسكان المدينة على اختلاف طوائفهم، إضافة إلى أنها تسجل كل صفقات العقارات الخاصة بالسكان الوطنيين، مثل البيع والتأجير،

والرهونات العقارية، وأراضي المدينة، والحدائق، والآبار.

- **المحكمة البرجوازية Court of the Burgesses:** كان فيسكونت بيت المقدس هو الذي يتولى رئاسة تلك المحكمة، يساعده اثنا عشر محلفا يختارهم من بين أتباعه اللاتين. وكانت المحكمة البرجوازية تنعقد ثلاثة أيام في الأسبوع فيما عدا أيام المواسم والأعياد الدينية. وتنظر في القضايا التي لم يكن النبلاء طرفا فيها،وتبحث في جميع القضايا الخاصة بالنواحي المدنية، كقضايا التعدي على الأراضي، فضلا عن معالجتها شؤون العبيد. وتقوم بالفصل في جميع القضايا الخاصة بأفراد الطبقة البرجوازية. كذلك فإنها تفصل في قضايا الفرسان، إذ اختاروا المثول أمامها. وللمحكمة البرجوازية ما للمحكمة العليا من قوانين، وإن كانت في مجموعها تستند إلى العرف والتقاليد المرعية أكثر من كونها قوانين مدونة.

- **الصنجيل السنشال:** كان كبير موظفي البلاط، ومهمته الإشراف على جميع الاحتفالات في مملكة بيت المقدس اللاتينية، وكان يحمل الصولجان عند التتويج، ويتقدم الملك في المواكب. ويعدّ رئيس الإدارة المدنية، وهو المسؤول عن الأمور المالية.

- **الكندسطبل:** هو قائد الجيش في مملكة بيت المقدس، ويعد مسؤولا عن كل ما يتعلق بنظامه وإدارته.

- **المارشال**: مهمته مساعدة الكند سطبل والنيابة عنه في أثناء غيابه.

- **الفيكونت**: ينوب عن الملك في المدن الكبرى، كما أنه يمثل السيد في مدن إمارته، ويتولى جباية الضرائب المحلية وإرسالها إلى بيت المال، وحفظ الأمن في المدينة، وكانت المحاكم المحلية تخضع لمسؤوليته.

- **المحكمة العليا:** وتعرف باسم محكمة الملك، وكانت تعقد في أي موقع في المملكة وحسب ما تقتضيه الظروف. وكانت تعقد برئاسة الملك وكبار النبلاء، وممثلين عن الهيئات الدينية المحاربة، وممثلين عن الجاليات التجارية، فضلا عن البطريرك، ورؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورؤساء الكنائس والأديرة، وكانت تبحث في الخيانة العظمى، كما كانت تعقد لمناقشة أوضاع المملكة الداخلية والخارجية.

- **هيئة فرسان القديس صموئيل:** وتعرف بهيئة فرسان جبل السعادة، وكانت في أصلها

هيئة إسبانية ترجع إلى عام 1170-1177م. وقد اندمجت في هيئة فرسان الداوية.

- **الاسبتارية:** تأسست على يد مجموعة من التجار الإيطاليين الذين ينتمون إلى مدينة امالفي عام 1070م. وتحولت هذه الهيئة إلى طائفة من الفرسان لمقاتلة المسلمين.

- **هيئة فرسان الداوية:** تأسست عام 1118م على يد الفارس الفرنسي هيودي باينز.

- **هيئة فرسان القديس لعازر (St. Lazarus):** قامت أساسا من أجل رعاية المصابين بمرض الجذام. ولقيت دعما واضحا من مملكة بيت المقدس الفرنجية والبابوية. ومن النبلاء والأمراء الإقطاعيين. (عوض. 2004م).

- **هيئة فرسان القديس لورانس:** يعود السبب في ظهور هذه الهيئة إلى دوافع لغوية. إذ إن هؤلاء الفرسان الذين تشكلت منهم هذه الهيئة كانوا من مدينة جنوة الإيطالية. (عوض. 2004م).

- **هيئة الفرسان الكرمليين:** ظهرت في جبل الكرمل.

- **هيئة فرسان القبر المقدس:** تم تأسيسها على يد جودفري البويوني. واتبعت نظام الاوغسطيني. وأصبحت معروفة على المستوى الشعبي. وامتلكت العديد من الأملاك في أوروبا والأراضي المقدسة.

- **هيئة فرسان القديس جورج:** ظهرت في منطقة اللد.

- **هيئة فرسان القديس توما الكانتربري:** تعد من الهيئات الغامضة التي لا يعرف عنها إلا القليل. وقد نشأت في أثناء الحملة الصليبية الثالثة على أساس شبه ديني. شكل الإنجليز العنصر الأساس فيها ولذلك رأى أحد الباحثين أنها قامت على أساس قومي.

- **تنظيم الروح المقدسة:** يحتمل أن يكون هذا التنظيم قد تطور من خلال منظمة أو جماعة حملت الاسم نفسه. ونظمت نفسها كنظام حربي.

- **المقذاف:** آلة تستخدم لقذف الحجارة والنفط والزيت المغلي. ويبدو أنها المنجنيق.

- **هيئة فرسان التيوتون:** قامت منذ تأسيسها على أساس قومي. أي أنها ارتبطت بالعنصر التيوتوني أو الألمان ارتباطا وثيقا. وقد ارتبطت الهيئة منذ تأسيسها بتلك الصعاب التي كان يقابلها الحجاج الألمان في الأرض المقدسة.

- **المولدون (الأفراخ):** وهم نتيجة زواج مختلط بين طبقة النبلاء ونساء بيزنطيات، أو أرمنيات، أو بين البرجوازية ونساء سوريات وأحيانا مسلمات.

- **التركبوليه:** قام الفرنجة بتجنيدهم محليا، وساروا على نمط فرق الخيالة البيزنطية الخفيفة فيما اتخذوه من سلاح ونالوه من تدريب. ولعل اسم التركبوليه يدل على أنهم من المسيحيين الوطنيين، أو الذين تحولوا عن ديانتهم.

- **مستوطنة البيرة:** هي أولى المستوطنات التي أسسها الفرنجة في الأراضي المقدسة، وقد حملت اسم المستوطنة الكبرى Magna Mahumeria.

- **مستوطنة القبيبة:** أسسها الفرنجة على أراضي قرية بيت سوريك، وأطلقو عليها اسم المستوطنة الصغرى Parva Mahumeria والقبيبة تصغير قبة.

---

12. المصادر والمراجع.

أ- المصادر والمراجع العربية:

1- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ /1232م)، الكامل في التاريخ، 12جـ دار صادر، بيروت، 1966م.

2- أرنست، باركر، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط4، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت بدون تاريخ.

3- الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت 458هـ/ 1076م) تاريخ الأنطاكي (المعروف بصلة تاريخ أوتيخا) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، عام 1990م.

4- توديبود، بطرس، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1998م.

5- البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت622هـ 1225م) سنا البرق الشامي، تحقيق رمضان ششن، القسم الأول، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971م.

6- المنصوري، بيبرس، ركن الدين بيبرس المنصور الدوادار (ت725هـ/1324م).

7- الدوادار، بيبرس، زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد س. رتشاردن ج42، الشركة

المتحدة للتوزيع، بيروت، 1995م.

8- مؤنس، حسين، المساجد، عالم المعرفة، عدد 37، يناير 1981م.

9- عثامنة، خليل، فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي وحتى الغزو الفرنجي، (634-1099) ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2000م.

10- داجيل، ريموند، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989م.

11- كفافي، زيدان وآخرون، القدس عبر العصور، جامعة اليرموك، إربد، 2001م.

12- رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، 3جـ ترجمة السيد الباز العريني، ط1، دار الثقافة، بيروت 1967-1969م.

13- البيشاوي، سعيد، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990م.

14- عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، 2جـ، ط3، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1978.

15- جاسر، شفيق، القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها، 1099-1244م/492-642هـ، ط1، عمان 1409هـ/1989م.

16- العارف، عارف، تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ط1، مطبعة دار الأيتام، القدس 1955م.

17- المفصل في تاريخ القدس، ط1، مطبعة المعارف، القدس، 1961م.

18- السيد، علي أحمد محمد، رحلة برنارد الحكيم إلى مصر والشام (867-870م/254-257هـ)، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، عدد 22، 1996م.

19- خليل، عماد الدين، الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ/1980م.

20- الشارتري، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، ط1، دار الشروق، عمان، 1990.

21- العسلي، كامل جميل، معاهد العلم في بيت المقدس، الجامعة الأردنية، عمان، 1981م.

22- ابن كثير القرشي. عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر (ت774هـ/1373م). البداية والنهاية في التاريخ. 14جـ في سبع مجلدات. ط2. دار الفكر في بيروت. 1974م.

23- مجير الدين الحنبلي. أبو اليمن عبد الرحمن بن مجير الدين (ت 927هـ/1521م). الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. 2جـ. في مجلد. بيروت 1973م.

24- الحويري. محمود محمد. الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في عصر العصور الصليبية. دار المعارف. القاهرة. 1979م.

25- الحياري. مصطفى. صلاح الدين القائد وعصره. ط1. دار الغرب الإسلامي. 1994م.

26- خليل. مقبولة. حسن. الحاج خليل. مدينة القدس في العهد الأيوبي. رسالة ماجستير غير مطبوعة. الجامعة الأردنية. عمان. 1411هـ /1991م.

27- الصوري. وليم. تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر. 2 جـ. ط1. ترجمة سهيل زكار. دار الفكر. دمشق 1990م.

28- الفيتري. يعقوب. تاريخ بيت المقدس. ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي. ط1. دار الشروق. عمان. 1998م.

29- براور. يوشع. الاستيطان الصليبي في فلسطين. ترجمة عبد الحافظ البنا. ط1. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. 2001م.

30- فوزي. فاروق عمر. وحسين. محسن محمد. الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط. ط1. دار الشروق. عمان. 1999م.

31- ابن القلانسي. أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي محمد (ت 555هـ /1160م) ذيل تاريخ دمشق. مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت. 1908م.

32- عوض. محمد مؤنس. تاريخ الحروب الصليبية (التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية). ط1. دار الشروق. رام الله. 2004م.

ب- المراجع والمصادر الاجنبية:

33- Archer, T.A. and Kingsford, C.L The Crusades, The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem, London, G.P., Putnams>s Sons, New York and T. Fisher Unwin, London, 1898.

34- Besant, W.,and Palmer ,E.H., Jerusalem the City of Herod and Saladin, London 1888.

35- Campbell, f., The Crusades, London, 1935.

36- Conder, C.R. The Latin Kingdom of Jerusalem, Harrison and Sons, London, 1897.

37- Gil, M. Palestine during the First Muslim Period (634-1099) Telaviv, 1983 (in Hebrew).

38- Jean Richard, The Latin Kingdom of Jerusalem, 2vols., translated from the Original by Jenat Shirly, Amsterdam, 1979.

39- Miller, W. The Latin in the Levent, London,1908.

40- Montgomery, J.A, The Samaritans: The Earliest Jewish Sect, Their History, Theology, and Literature.Philadelphia, 1907.

41- Prawer, J., Crusader Institutions, Oxford University Press, 1980, Stevenson, The Crusader in the East, Beirut, 1968.

الوحدة الخامسة

القدس في العهدين الأيوبي والمملوكي

اعداد

د. سعيد عبد الله البيشاوي

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس، أرحب بك في الوحدة الخامسة من مقرر "تاريخ القدس" والتي تتناول أوضاع القدس في العهدين الأيوبي والمملوكي. وتعالج هذه الوحدة حصار السلطان صلاح الدين الأيوبي لمدينة القدس عام 583هـ/1187م. ولجوء الفرنجة إلى المفاوضات من أجل تسليم المدينة. ثم تتطرق إلى الاتفاق على تسليم الفرنجة للقدس وفق شروط اتفق عليها الطرفان. وتناقش الوحدة الإجراءات والتدابير التي اتخذها صلاح الدين الأيوبي بعد استرداد المدينة. وتتحدث الوحدة أيضاً عن مدى اهتمام الملك المعظم عيسى بالمدينة، والإنشاءات التي قام بها على الرغم من قيامه بتخريبها عندما شعر أنها بخطر. كما أنها توضح كيف أدى النزاع بين أفراد البيت الأيوبي إلى تسليم المدينة إلى الإمبراطور فردريك الثاني دون قتال عام 626هـ/1229م. ثم استردادها زمن الناصر داود بن المعظم عيسى. وفضلا عن ذلك تتحدث هذه الوحدة عن القدس زمن المماليك. والنهضة العمرانية. والثقافية. والاقتصادية التي شهدتها المدينة.

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الدارس، يتوقع منك بعد الانتهاء من دراسة هذه الوحدة أن تكون قادراً على أن:

1- تعرف الإجراءات التي اتخذها صلاح الدين لحصار بيت المقدس عام 583هـ/1187م.

2- تعرف على المفاوضات حول تسليم الفرنجة القدس دون قتال.

3- توضح الفرق بين استيلاء الفرنجة على القدس وتحرير صلاح الدين لها.

4- تعرف المستجدات التي حدثت في المدينة المقدسة بعد عودتها للسيادة الإسلامية.

5- تحدد الدوافع التي جعلت الملك الكامل بن السلطان العادل الأيوبي يسلم المدينة

المقدسة للإمبراطور فردريك الثاني.

6- تتبع التطورات العمرانية، والثقافية، والاقتصادية التي شهدتها المدينة في ظل الحكم الأيوبي والمملوكي.

7- تحلل أسباب الزيادة السكانية في المدينة المقدسة عقب السيطرة الإسلامية عليها.

3.1 أقسام الوحدة

تنقسم هذه الوحدة إلى خمسة أقسام رئيسة ترتبط بقائمة الأهداف السابقة وهي على النحو الآتي:

- القسم الأول: والذي يتناول حصار مدينة القدس من قبل المسلمين واستعادتها عام 1187م. وهذا يحقق الأهداف الخمسة الأولى.

- القسم الثاني: ويبحث في موضوع القدس في عهد الأيوبيين واهتمام سلاطينهم بهذه المدينة المقدسة. وهذا يحقق الهدف الثالث من أهداف الوحدة.

- القسم الثالث: ويبين فيه الأوضاع الحضارية في القدس في عهد الأيوبيين كالتنظيمات الإدارية والمظاهر الثقافية والعمرانية. وهذا يحقق الهدف السادس.

- القسم الرابع: ويتناول أوضاع القدس في عهد المماليك ودورهم في إعادة تحريرها من الفرنجة. ويتحقق هذا القسم من خلال كل الأهداف مجتمعة.

- القسم الخامس والأخير: ويوضح الأوضاع الحضارية في القدس في العهد المملوكي. وهذا يحقق الهدف السادس.

وتتكامل أقسام الوحدة جميعها لتحقق الهدف السابع والأخير.

4.1 القراءات المساعدة

يمكنك، عزيزي الدارس، الرجوع إلى المراجع الآتية لزيادة فهمك واستيعابك لمادة هذه الوحدة:

1- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/132لم)، الكامل في التاريخ، ج12، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1386هـ/ 1966م.

2- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت632هـ/1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1964م.

3- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ/1298م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج6، 3-1 تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة المعارف، القاهرة 1953- 1960م، ج 5+4 تحقيق محمد حسنين ربيع، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1972- 1977م، ج 6 تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ/2004م.

4- سبط بن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قيزوغلي (ت654هـ/1257م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج8، ق2، حيدر أباد، الهند، 1952م.

5- ستيفن رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ترجمة السيد الباز العريني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1968.

6- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ط3، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1978م.

7- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان شهاب الدين (ت 665هـ/1267م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ج5، تحقيق ابراهيم الزيبق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ/1997م.

8- الأصفهاني، عماد الدين محمد بن حامد ت 597هـ/1201م، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد صبح، القاهرة، 1965، بيروت، 1970.

9- مجير الدين الحنبلي، أبو اليمن عبد الرحمن بن مجير الدين، (ت 927هـ/1521م) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2ج، مكتبة المحتسب، عمان، 1973م.

10- ابن الوردي، أبوحفص زين الدين عمر بن المظفر (ت 749هـ/1349م) تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1977م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الدارس، قبل الشروع في دراسة هذه الوحدة، تأكد من أنك هيأت المكان الهادئ والمريح للدراسة. ولعلك تحتاج في أثناء دراسة هذه الوحدة إلى دفتر لتلخيص النقاط الرئيسة. وأنصحك أن تقرأ الوحدة قراءة ذاتية، ثم تناقش جميع الأنشطة والتدريبات الموجودة فيها. وسوف تساعدك إجابتك عن أسئلة التقويم الذاتي الواردة في أماكن مختلفة من الوحدة على مراجعة الأجزاء الرئيسة فيها. ولا مانع من الاتصال بمشرفك كلما اقتضت الحاجة لمناقشة ما تواجهه من صعوبات أو ما يخطر ببالك من استفسارات مثيرة للاهتمام.

2. حصار المسلمين لمدينة القدس واستعادتها عام 583هـ/1187م

1.2 حصار السلطان صلاح الدين الأيوبي لمدينة القدس عام 583هـ/1187م

عقب انتصار السلطان صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين، أرسل قواته لفتح المدن والقلاع التي كانت بيد الفرنجة، وبعد أن انتهت مهمة القوات الأيوبية باستعادة معظم المناطق قرر السلطان أن يتوجه بنفسه صوب القدس، وعندما وصل الخبر إلى المدينة «طارت قلوب من به رعبا، وخفقت أفئدتهم خوفا من جيش الإسلام» (الأصفهاني 1965، ص117). وقد وصلها السلطان يوم الأحد الموافق 15 رجب عام 583هـ/20، أيلول عام 1187م، فنزل بالجانب الغربي منها، وكان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة، وقد قدر عدد من فيه من المقاتلين بما يزيد على ستين ألفا ماعدا النساء والصبيان. وأخذ السلطان يطوف حول المدينة خمسة أيام ليتحسس مواطن الضعف في أسوارها حتى استقر رأيه أخيرا على أن يركز هجومه على الجهة الشمالية. (ابن شداد، 1964م، ص81، الأصفهاني 1965م، ص43، 124 ابن واصل، ج2، 1957م، ص212، عاشور، ج2، 1978م، ص788).

نصب المسلمون المجانيق على المدينة من الجانب الشمالي يوم الأحد الموافق 15 رجب عام

583هـ /20 أيلول عام 1187م (وضايقوه بالزحف والقتال وكثرة الرماة) حتى وصلوا إلى سور المدينة ونقبوه. وشرعوا بالهجوم عند باب العمود في الجانب الشمالي من بيت المقدس. وحمل المسلمون حملة رجل واحد (ابو شامة. ج3. 1997م ص 330-331). فلما رأى الفرنجة أن المسلمين ظهروا عليهم أسقط في أيديهم وطلبوا الأمان. (ابو شامة. ج3. 1997م ص -330 331. ابن واصل. ج2. 1957م ص212. المقريزي ج1. ق1. 1957م ص122. 1964م ص 81 الحنبلي 1979م ص 128. عاشور ج2. 1978م ص788)

2.2 مفاوضات الصلح بين السلطان صلاح الدين الأيوبي وباليان ابلين Balian de Ibelin والبطريرك هرقل Heraclius من أجل تسلم المدينة دون قتال

في الوقت الذي اشتد فيه هجوم صلاح الدين على بيت المقدس. اتسعت رقعة الخلاف داخل المدينة بين الطوائف المسيحية من أرثذوكس. وكاثوليك. حتى أن الفريق الأول نادى بأنه يفضل الحكم الإسلامي على سيطرة الكاثوليك الغربيين. وتشير بعض المراجع إلى تآمر الأرثوذكس في بيت المقدس مع صلاح الدين. وإلى أن ثمة اتصالات سرية تمت بين الطرفين تعهد فيها الأرثوذكس بفتح أبواب المدينة. ولم يلبث باليان دي إبلين Balian de Ibelin أن أدرك استحالة المقاومة. لا سيما بسبب نقص الرجال والمقاتلين. حتى قيل أنه كان في بيت المقدس عندئذ رجل واحد مقابل كل خمسين من النساء والأطفال. لذلك "أرسلوا جماعة من كبرائهم في طلب الأمان وتسليم القدس "بشرط احترام من بالمدينة من الفرنجة. والسماح لمن يشاء بمغادرتها". وكانت هذه الشروط نفسها هي التي سبق أن عرضها صلاح الدين من قبل ورفضها باليان Balian. ولكن صلاح الدين امتنع في هذه المرة وأصر على تسليم المدينة دون قيد أو شرط.لأنه أقسم على الاستيلاء عليها بحد السيف. وقال لرسل الفرنجة: "لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله (أهل القدس) حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي. وأجزي السيئة بمثلها".

وعندما ساء موقف الفرنجة داخل بيت المقدس. أخذوا يتدبرون المصير القاسي الذي ينتظرهم.

وعندئذ حاولوا مرة أخرى إقناع صلاح الدين بالعفو عنهم. فخرج باليان Balian (ابن بارزان) بنفسه لاستعطاف صلاح الدين. ولما وجده مصرا على موقفه لجأ إلى مزيد من الترغيب والتهديد. فقال لصلاح الدين: "إذا رأينا الموت لابد منه فوالله لنقتل أبناءنا ونساءنا ونحرق ما نملكه من أموالنا وأمتعتنا. ولا نتركم تغنمون منا دينارا ولا درهما. ولا تأسرون رجلا ولا إمرأة. فإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى وغيرها من المواضع الشريفة. ثم نقتل من عندنا من أسرى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا نترك لنا دابة ولا حيوان إلا قتلناه. ثم خرجنا إليكم وقاتلنا قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه. وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله" (ابن واصل. ج2. 1957م. ص 214-213. ابو شامة. ج3. 1997م. ص340-341).

3.2 الاتفاق على تسليم القدس دون قتال بين صلاح الدين الأيوبي والفرنجة

استشار السلطان صلاح الدين الأيوبي أصحابه في الموقف. فوافقوا على ترك المسيحيين يغادرون المدينة مقابل عشرة دنانير فداء الرجل منهم «يستوي فيها الغني والفقير». وخمسة دنانير فداء للمرأة. ودينار واحد للطفل. أما الفقراء والمعدمون من الفرنجة فقد وافق صلاح الدين على أن يدفع باليان لسبعة آلاف منهم مبلغا إجماليا قدره ثلاثون ألف دينار. وقام بالأداء ولم ينكل عن الوفاء (ابن شداد. 1964م. ص82. الاصفهاني. 1965م. ص128-127. المقريزي. ج1. ق1. 1957م. ص122). واشترط صلاح الدين أن يؤدي الفرنجة الفداء المفروض عليهم في مدى أربعين يوما. (Grous-set, 2, 1948, pp. 811-812. عاشور. ج2. 1978م. ص 788-789) وذكر ابن شداد أن السلطان صلاح الدين «أقام يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والعلماء. وإيصال من دفع قطيعته منهم إلى مأمنه». (ابن شداد. 1964م. ص82).

4.2 استرداد صلاح الدين الأيوبي للقدس عام 583هـ/ 1187م والتسامح الإسلامي مع الفرنجة

تم استرجاع المدينة المقدسة صلحا يوم الجمعة الموافق 27 رجب 583هـ/2 تشرين الأول 1187م. وفي ذلك يقول يعقوب الفيتري Jacques de Vitry: وعندما نصب السلطان صلاح الدين خيامه أمام أسوار بيت المقدس "سلموا المدينة بشرط أن يتم تحريرهم مع كل ما يمكن حمله من أمتعة. وأن يتولى حمايتهم بنفسه إلى أراض أكثر أمانا" (تاريخ بيت المقدس. 1998م. ص 152). وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم: عن كل رجل عشرة دنانير. وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية. وعن كل صغير ذكر أو أنثى دينارا واحدا. فمن أحضر القطيعة سلم بنفسه. وإلا أخذ أسيرا. وفرج الله عمن كان أسيرا من المسلمين. وكانوا خلقا عظيما زهاء ثلاثة آلاف أسير. وأقيمت الصلوات في المسجد الأقصى. وأدى صلاح الدين الصلاة في قبة الصخرة بعد أن تم غسلها وتطهيرها. (المنصوري. 1998م. ص4. المقريزي ج1. ق1. 1957م. ص122).

3. القدس في العهد الأيوبي

1.3 اهتمام السلطان صلاح الدين الأيوبي بالقدس

مكث صلاح الدين في القدس ينظر في مصالحه. وكان في خدمته الأمير علي بن أحمد المشطوب (مجير الدين الحنبلي. ج1. 1973م. ص 341). وعندما غادر المدينة المقدسة خلف أخاه الملك سيف الدين العادل. يقرر قواعدها. (ابن شداد. 1964م. ص83)

ولم تغفل عين السلطان عن القدس: إذ حضر لزيارتها يوم الجمعة الموافق 23 من ذي القعدة عام 587هـ/1191م. فلما وصلها نزل بدار القسس المجاورة لكنيسة القيامة. وقدم إليه عسكر من مصر «فقويت نفوس المسلمين بالقدس» (ابن الأثير. ج 12. 1966م. ص 74. المقريزي. ج1. ق1. 1957م. ص134) وشرع في تحصين المدينة. وفي مستهل ذي الحجة صلى في قبة الصخرة. وفي يوم الأحد صلى السلطان عيد الأضحى بالقدس. وأمر السلطان بعد ذلك بحفر خندق عميق. وأنشأ سورا. وأحضر من أسرى الإفرنج قريبا من ألفين. ورتبهم في ذلك. وجدد أبراجا حربية من

باب العمود إلى باب الحراب. وهو المعروف الآن بباب الخليل. وأنفق عليها أموالا جزيلة. وقسم بناء السور على أولاده وأخيه العادل وأمرائه. وصار يركب كل يوم ويحضر على بنائه. (ابن الاثير ج 12. 1166م ص74. المقريزي ج1. ق1. 1957م ص134. مجيرالدين الحنبلي ج2. 1973م ص 382-383).

طالت إقامة السلطان صلاح الدين في القدس «لتقوية البلد وتشييد أسواره. وجدد في عمارة الصخرة المقدسة. وأكمل السور والخندق. وسار في غاية الاتقان». (مجير الدين الحنبلي ج1. 1973م ص384) وشارك السلطان صلاح الدين في نقل الحجارة والعمارة ملوك ومراء الدولة الأيوبية. فضلا عن القضاة. والعلماء والصوفية. والزهاد. والأولياء. وجميع سكان القدس. (البغدادي 1998م ص44. مجير الدين الحنبلي. ج1. 1973م ص 385-384) وقد وقف السلطان ثلث دخل نابلس وأعمالها لمصالح القدس وعمارة سورها. (مجير الدين الحنبلي. ج2. 1973م ص 385-384) وقام السلطان صلاح الدين بترتيب عدة دواوين في بيت المقدس. «في كل ديوان منها عدد من النواب من المصريين ومنهم من الشاميين». (الاصفهاني. 1965م ص129)

تدريب (1)

وضح أوضاع مدينة القدس منذ حصارها من قبل السلطان صلاح الدين وحتى الاتفاق على تسليم المدينة دون قتال.

تدريب (2)

تحدث عن الأعمال التي قام بها السلطان صلاح الدين الأيوبي في مدينة القدس بعد تحريرها من الفرنجة عام 583هـ/1187م.

2.3 اتفاقية الرملة بين السلطان صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de Lion بتاريخ 21 شعبان 588هـ/ 12 أيلول 1192م

أسفرت المفاوضات بين السلطان صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد على توقيع اتفاقية الرملة وفق الشروط الآتية:

1- تستمر الاتفاقية مدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر.

2- تكون اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والإفرنج.

3- تبقى عسقلان خرابا لا تعمر بيد المسلمين.

4- السهل الساحلي من رأس الناقورة إلى يافا بيد الفرنجة.

5- السماح للحجاج النصارى بزيارة بيت المقدس، وبيت لحم، والناصرة، دون دفع أي ضرائب.

6- المنطقة الممتدة في ما وراء يافا إلى رفح مع المسلمين.

7- صيدا وبيروت وجبيل مع المسلمين.

8- البلاد الداخلية مع المسلمين.

سمح السلطان للفرنجة بزيارة بيت المقدس بعد توقيع اتفاقية الرملة، "فزاروه وتفرقوا" (ابن الأثير، ج12، 1966م، ص 86) أما هو فتوجه إلى بيت المقدس، وأمر بإحكام سوره، وعمل المدرسة والرباط والبيمارستان وغير ذلك من مصالح المسلمين، ووقف عليها الوقوف، وصام رمضان بالقدس. (ابن الأثير، ج12، 1966م، ص 87، لين بول، 1995م، ص 285، البيشاوي، 1990م، ص329).

3.3 أوضاع القدس بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي

كانت القدس وما جاورها من مدن وقرى وقلاع للعزيز عثمان، وتبقى دمشق وطبرية وأعمالها للأفضل نور الدين «هذا ما تم الاتفاق عليه 590هـ/1193م بين أمراء الدولة الأيوبية بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي». (ابن الأثير، ج12، 1966م، ص110) ويبدو أن سيطرة العزيز عثمان بن صلاح الدين على القدس لم تستمر؛ لأن السلطان سيف الدين العادل شقيق صلاح الدين

والأفضل نور الدين بن صلاح الدين أرسلا رسالة إلى نائب العزيز في القدس فسلم المدينة إليهما.

وتم تأكيد تبعية القدس إلى الأفضل نور الدين عام 595هـ/1198م. ومما يؤكد هذا أن الأفضل التقى «بفارسين أرسلا إليه من القدس. فأخبراه أن من بالقدس صار في طاعته» (ابن الأثير ج12، 1966م ص 141) وسيف الدين العادل. فأرسل إلى المماليك الناصرية بالبيت المقدس يستدعيهم إليه. فلبوا نداءه. (ابن الأثير. ج12. ص144. 1966م)

وفضلاً عن ذلك قام الملك المعظم عيسى (615-624هـ/ 1218-1227م) ببناء مدرسة الحنفية عند باب المسجد الأقصى. وشيد مكانا يسمى النحوية للاشتغال بعلم العربية. ووقف على ذلك أوقافا حسنة. وجددت زمنه عمارة القناطر الواقعة على درج الصخرة القبلي. وغالب الأبواب الخشب المركبة على أبواب المسجد شغلت في أيامه ومما يؤكد هذا أن اسمه مدون عليها. (مجير الدين الحنبلي ج1. 1973م ص 403)

وعندما علم المعظم أن الفرنجة عزموا على التوجه إلى القدس. قرر هدم المدينة في المحرم عام 616هـ /مارس 1219م. فأرسل إلى العزيز عثمان وعز الدين أيبك الاستدار بطلب منهما هدم المدينة فترددوا. فكتب إليهما المعظم: «لو أخذوه لقتلوا من فيه فأرسل الحجارين والنقابين فشرعوا في خراب السور في أول يوم من المحرم. ووقع في القدس صيحة عظيمة. وهرب خلق كثير من سكان المدينة خوفا من الإفرنج أن تهجم عليهم. وتركوا أموالهم وأثقالهم وتفرقوا في البلاد. وبيع قنطار الزيت بعشرة دراهم. ورطل النحاس بنصف درهم. وذم الناس المعظم على ذلك». (المقريزي. ج1. ق1. 1957م. ص 240. مجير الدين الحنبلي ج1. 1973م ص403. الحريري. الأعلام والتبيين. 1981م ص94)

1.3.3 معاهدة يافا بين السلطان الكامل محمد الأيوبي والإمبراطور فريدرك الثاني في 28 ربيع الأول عام 626هـ/ 25شباط عام 1229م

عقد السلطان الكامل محمد والإمبراطور فريدريك الثاني اتفاقية يافا التي نصت على التنازل الكامل عن بيت المقدس للفرنجة وفق الشروط الآتية: (ابن الاثير. ج12. 1966م. ص483. ابن الوردي. ج2. 1977م. ص 222-223. المقريزي. ج1. ق1. 1957م. ص268-269. جرجس بن العميد. مكتبة الثقافة الدينية. ص15-16. البيشاوي. 1991م. ص 155)

1- تستمر الاتفاقية مدة عشر سنوات. وخمسة أشهر. وأربعين يوما.

2- تسليم القدس إلى الفرنجة بشرط ألا تجدد أسوارها.

3- تبقى قرى منطقة القدس بأيدي المسلمين. ويعين وال عليها يكون مقامه في بلدة البيرة شمال القدس.

4- تكون اللد. والناصرة. وبيت لحم. وصيدا. وتبنين. والقرى الممتدة على الطريق بين بيت المقدس وعكا بيد الفرنجة.

5- يتعهد الإمبراطور فردريك الثاني أن يبقى الحرم الشريف بما فيه من المزارات بيد المسلمين. ويقيمون فيه شعائر الإسلام من الأذان والصلاة وغيرها.

6- يتعهد الإمبراطور فريدريك الثاني بمنع وصول الحملات الصليبية إلى مصر وبلاد الشام طوال مدة المعاهدة.

وكان الملك الكامل محمد الأيوبي قد سلم القدس إلى الإمبراطور فردريك الثاني. عندما وصلت "الأخبار بتسليم القدس إلى الفرنج قامت القيامة في جميع بلاد الإسلام واشتدت العظائم" (سبط بن الجوزي. ج8. ق2. 1952م. ص654). وحضر الإمبراطور إلى القدس. وأقام فيها ليلتين. وكان السلطان الكامل محمد «قد تقدم إلى القاضي شمس الدين أن يأمر المؤذنين. ما دام الإمبراطور في القدس. لا تصعدوا المنبر ولا تؤذنوا في الحرم فنسي القاضي أن يعلم المؤذنين. وصعد عبد الكريم المؤذن في تلك الليلة في وقت السحر والإمبراطور نازل في دار القاضي فجعل يقرأ الآيات التي تختص بالنصارى». وفي الليلة الثانية لم يصعد عبد الكريم المأذنة. وفي الصباح

استدعى الإمبراطور القاضي، وكان قد دخل القدس في خدمته، وهو الذي سلمها إليه، وسأله: يا قاضي (أين ذاك الرجل الذي طلع البارحة المنارة وذكر ذاك الكلام. فعرفه أن السلطان أوصاه. فقال الإمبراطور: أخطأتم يا قاضي. تغيرون أنتم شعاركم وشرعكم ودينكم لأجلي). ولم يقم بالقدس سوى ليلتين، وعاد إلى يافا (سبط بن الجوزي، ج8، ق2، 1952م، ص656-657).

ولم يلتزم الفرنجة بما تم الاتفاق عليه: فقد عمر في غربي الحرم "قلعة جعلوا برج داود من أبراجها، وكان بقي هذا البرج لم يخرب لما خرب معظم أسوار القدس" (ابن واصل، ج5، 1977م، ص246). وتمكن الناصر داوود من استعادة القدس في جمادى الأول عام 637هـ/كانون الأول 1237م، وهاجم القلعة التي شيدها الفرنج، «ونصب عليها المجانيق». ولم يزل محاصرا لها حتى استسلمت إليه بالأمان «بعد سبعة وعشرين يوما، وغادر الفرنجة المدينة المقدسة بسلام. وأمر الناصر داوود بتدمير القلعة، وأمر بكتابة بشائر استرداد المدينة المقدسة إلى مختلف أنحاء الدولة الإسلامية». (ابن واصل، ج5، 1977م، ص247-246، المقريزي، ج1، ص399)

ويذكر جمال الدين ابن واصل أنه كان في بيت المقدس عام 641هـ /1243م، وأنه دخل المدينة المقدسة، وشاهد الرهبان والقسوس يشربون الخمر على الصخرة المقدسة، وعندما دخل المسجد الأقصى رأى جرساً معلقاً، كما أنه لاحظ أن الفرنجة منعوا الأذان، وإقامة الصلاة بالحرم الشريف، وأضاف ابن واصل أنه تصادف قدوم الملك الناصر داود إلى القدس في يوم زيارته له». (ابن واصل، ج 5، 1977م، ص333).

2.3.3 هجوم الخوارزمية على بيت المقدس عام 642هـ/1244م

قام الخوارزمية في الحادي عشر من شهر تموز عام 1244م /3 صفر 642هـ ببسط سيطرتهم على بيت المقدس، وجرى القتال في شوارع المدينة، واضطرت الحامية الفرنجية إلى طلب المساعدة من الملك الناصر داوود صاحب الكرك بسبب عدم وصول نجدات فرنجية لمساعدتهم في الدفاع عن المدينة، فضلا عن أن الناصر داوود كان أقرب الحلفاء المسلمين مكانا إلى بيت المقدس. (رانسيمان، ج3، 1968م، ص 392، سليم، 2000م، ص104) وغادر المدينة المقدسة نحو ستة آلاف من المسيحيين الفرنجة من الرجال والنساء والأطفال، وتركوا المدينة لجموع الخوارزمية، ويقول

ستيفن رانسيمان: «بينما كان المسيحيون يتحركون على الطريق إلى يافا تطلعت جماعة منهم إلى الوراء. فشاهدت أعلام الفرنجة ترفرف على أبراج المدينة. وإذا اعتقدوا أن نجدة وصلت بوسيلة من الوسائل أصر عدد كبير منهم على الرجوع إلى المدينة غير أنهم وقعوا في كمين تحت أسوار المدينة. فهلك منهم نحو ألفين». (رانسيمان. 1968. ج3. ص 392) واكتفى الناصر داوود بأن أرسل من العساكر من حمل جموع الخوارزمية على أن يسمحوا للحامية الفرنجية بالمغادرة بأمان إلى الساحل إذا سلموا قلعة بيت المقدس. (رانسيمان. ج3. 1968م ص 392. سليم. 2000م ص104-105).

وفي عام655هـ/1257م توجه المماليك البحرية نحو بيت المقدس «وخطبوا للملك المغيث صاحب الكرك. وجاؤوا إلى غزة وقبضوا على واليها. وأخذوا حواصل الملك الناصر بغزة والقدس. وقاصدتهم عساكر الملك الناصر. وقتلوا منهم. ثم انتصرت عليهم عساكر الملك الناصر. ثم انهزموا إلى البلقاء ثم إلى زغر ودخلوا في طاعة الملك المغيث في الكرك». (ابن واصل. ج6. ص204)

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- اذكر بنود اتفاقية الرملة عام 588هـ/ 1192م.

2- عدد بنود اتفاقية يافا عام 626هـ/1229م.

4. الأوضاع الحضارية في القدس في العهد الأيوبي

1.4 التنظيمات الإدارية

استحدث السلطان صلاح الدين الأيوبي عدة تنظيمات إدارية بعد فتحه للقدس عام 583هـ/1187م:

1- الولاية والوالي: أصبحت القدس والمناطق التابعة لها تشكل ولاية صغيرة في العهد الأيوبي. يحكمها وال واحد توكل إليه مهمة الإدارة والحرب في المدينة. ويكون مسؤولاً عن تعميرها والمناطق التابعة لها. وقيادة قوافل الحج. (القلقشندي. ج4. 1987م. ص205. حسن. 1991م. ص64-65)

2- النائب: ويتولى المسؤولية عن ولاية القدس في أثناء غياب الوالي. ويتم تعيينه من قبل الوالي مباشرة. (حسن. 1991م. ص69. محاسنة وآخرون. 2003م. ص185)

3- الناظر الشرعي: وهي من الوظائف الدينية. وتم استحداثها بسبب كثرة الأوقاف في مدينة القدس في العهد الأيوبي. ويكون الناظر مسؤولا عن العناية بالأوقاف. ومراقبة أرباب الوظائف الوقفية. وكانت في القدس أوقاف للمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة. وأوقاف للصوفية. والمدارس. والمستشفيات. (حسن. 1991م. 73. محاسنة وآخرون. 2003م. ص185)

4- القضاء: كان لمدينة القدس جهاز قضائي على المذهب الشافعي. وكان يعقد مجلس للقضاء يضم القضاة والكتاب والشهود والمدعي والمدعي عليه. وكان في مدينة القدس أيضا خطيب. ومؤذن للمسجد الأقصى. وهناك وظيفة القراء الذين يعلمون القراءات القرآنية. ويتولاها من يتقن العمل بهذه الوظيفة. (محاسنة وآخرون. 2003م. ص185)

5- وكيل بيت المال: هو الذي يتولى مبيعات بيت المال ومشترياته. ويكون الوكيل من أهل العلم والدين. (حسن. 1991. ص73)

2.4 المظاهر العمرانية

كان هدف صلاح الدين بعد استرداد القدس إعادة الطابع الإسلامي للمدينة، وإزالة كل ما يشير إلى الوجود الفرنجي، والتغييرات العمرانية التي أحدثوها في المدينة، فقام بالآتي:

1- طهر المدينة من الإضافات التي استحدثها الإفرنج في الأماكن الإسلامية المقدسة: فأزال المنشآت والمظاهر العمرانية التي أقامها الداوية في منطقة الحرم الشريف من رسوم، وصور، وخانات، وكنائس، وأزال الصليب الذي رفعوه فوق مسجد قبة الصخرة، وجدد محراب المسجد الأقصى، كما أمر بإزالة جميع المقابر الإفرنجية المجاورة لقبة الصخرة والمسجد الأقصى، وأحضر صلاح الدين المنبر الذي بدأ بصنعته نور الدين زنكي للمسجد الأقصى، وغسل مسجد قبة الصخرة بماء الورد لتطهيرها من دنس الإفرنج.

2- أقام بيمارستان للمرضى، زوده بكل ما يحتاج إليه من الأطباء والدواء، وأوقف عليه أوقافا كثيرة، كما رتب خانقاه للصوفية، وأوقف عليها أيضا أوقافا معتبرة، وفضلا عن ذلك فوض ولاية القدس إلى عز الدين جرديك النوري. (ابن واصل، 1957م، ص408، محاسنة وآخرون، 2003م، ص186).

3- أعاد بناء سور المدينة، ورمم أبراجها، كما حفر خندقا في الجهة الشمالية من المدينة لتحصين المدينة ضد أي خطر قد تتعرض له من جديد، ثم استكمل الملك العادل تحصين المدينة بتجديد الجزء الجنوبي الغربي من السور الواقع على جبل صهيون. (الأصفهاني، 1965م، ص 144-582-581، أبوشامة، ج4، 1997م، ص297-296، محاسنة وآخرون، 2003م، ص186

4- استحدث عدداً من المباني الجديدة: فقد أعيد بناء قبة المعراج الواقعة على يمين الصخرة، وأنشئت مجموعة من المدارس كالمدرسة الميمونية عند باب الساهرة، والمدرسة الأفضلية في حارة المغاربة، والمدرسة الجراحية بظاهر القدس من الجهة الشمالية، وتم إنشاء المسجد العمري جنوب كنيسة القيامة، هذا فضلا عن المدرسة الصلاحية التي تعدّ من أهم الأعمال التي أنشأها الملك العادل صلاح الدين الأيوبي، وأقيمت مجموعة أخرى من الأبنية أهمها القناطر، والأروقة، والسبل وأهمها سبيل الشعلان في الجانب الغربي من صحن مسجد قبة الصخرة. (مجير الدين الحنبلي، ج2، 1973م، ص 20-19، 46-42، محاسنة وآخرون، 2003م ص 185-187)

5- أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي بإنشاء مدرسة للفقهاء الشافعية، ورباط للصوفية، واختار كنيسة القديسة حنة لبناء المدرسة، ودار البطريرك لإقامة الرباط، وأوقف عليهما وقوفا. (أبوشامة، ج3، 1997م، ص400)

3.4 الحياة الثقافية

1.3.4 اهتمام السلطان صلاح الدين الأيوبي بالعلماء

فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي القدس عام 583هـ/1187م. وفرح المسلمون واستبشروا. وعاد المسجد الأقصى إلى سابق عهده، بعد أن نظفه المسلمون. وأزالوا الآثار الفرنجية منه. وأحضر المسلمون المصاحف ووضعوها في المسجد. كما أجروا فيه العمران. وأضيف إلى مبانيه وأروقته في العهدين الأيوبي والمملوكي الشيء الكثير. وبدأت بعد تحرير القدس جماهير العلماء تحضر إلى القدس تتبرك به. وتدرس فيه. وتنشر فضائله وفضائل القدس في الناس. (العسلي، 1981، ص 34)

أحسن السلطان صلاح الدين لعدد كبير من العلماء. وحضر مجالسهم. وكان منهم وزيره القاضي الفاضل. والكاتب العماد الأصفهاني. والقاضي بهاء الدين بن شداد. وكان العالم الرحالة الطبيب عبد اللطيف البغدادي من المقربين له. وقد زار القدس أكثر من مرة. ووصف مجلسه في المدينة المقدسة بقوله: «وشاع أن صلاح الدين هادن الفرنج وعاد إلى القدس. فقادت الضرورة إلى التوجه إليه... وتوجهت إلى القدس فرأيت ملكا عظيما يملأ العين روعة. والقلوب محبة. قريبا بعيدا سهلا مجيبا... وأول ليل حضرته وجدت مجلسا حفلا بأهل يتذاكرون في أصناف العلوم. وهو يحسن الاستماع والمشاركة». (البغدادي، 1998م ص43)

وأقام عبد اللطيف البغدادي في القدس مدة من الزمن. وكان يتردد على المسجد الأقصى وشارك في التدريس. وكتب مجموعة من المؤلفات. (البغدادي، 1998م ص 44، العسلي، 1981م ص35)

اهتم السلطان صلاح الدين بإعادة الحياة العلمية الدينية إلى المسجد الأقصى. فرتب له إماما. فضلا عن الخطباء والمدرسين والسدنة. كما أوقف الأوقاف للإنفاق على ذلك كله. (العسلي، 1981م ص 35)

اشتهر المسجد الأقصى بعد الفتح الصلاحي بحلقات العلم التي أخذت تعقد فيه. وكانت حلقات الدرس تشتمل في الأساس على العلوم الشرعية واللغوية. (السخاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، ص131، 133، 135، 138، العسلي، 1981م ص 37)

2.3.4 أوضاع المدارس والمدرسين في العصر الأيوبي

أخذت المدارس في الظهور منذ أواخر القرن السادس الهجري /أواخر القرن الثاني عشر الميلادي. وشاركت المسجد الأقصى في التدريس. وحددت عدد الطلبة. وعين مدرسون بكل مدرسة. وفي الوقت نفسه استمرت الدراسة في المسجد الأقصى كما كانت عليه في الماضي. وكان مدرسو المدارس يدرسون في الحرم أيضاً. وإن كان بعض المدرسين لزم المسجد الأقصى دون أن يشارك في التدريس في المدارس. (العسلي. 1981م. ص39)

وأشار المؤرخ مجير الحنبلي إلى أن عدد المدرسين في المسجد الأقصى كان كبيرا جدا. هذا إلى جانب المعيدين والمؤذنين والخدام والقراء. فضلا عن موظفين آخرين لم يذكر الحنبلي أصنافهم. وكان عددهم كبيرا جدا. «ولم يكن فيهم من يباشر واجبه إلا بعض الناس والله أعلم» (مجيرالدين الحنبلي. ج2. 1973م. ص33. العسلي. 1981م. ص40) ويبدو واضحا من حديث مجير الحنبلي أن عدد الموظفين في المسجد الأقصى كان كبيرا جدا بحيث أنه لم يشر إلى العدد. وإن كان أشار إلى أن من كان يقوم بعمله من بين هذا العدد الكبير كان قليلا جدا. الأمر الذي كان ينعكس سلبا على خزينة الدولة.

3.3.4 المدارس في القدس في العهد الأيوبي

المدرسة الصلاحية:

تعد هذه المدرسة من أشهر مدارس القدس الإسلامية. وقد بقيت قائمة بعملها زهاء ستة قرون منذ عام 588هـ/1192م حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري /القرن الثامن عشر الميلادي. وتقع الصلاحية داخل سور القدس عند باب الأسباط. وقد شيدت في موقع كنيسة القديسة حنة. (العسلي. 1981م. ص55) وقد اهتم السلطان صلاح الدين بالمدرسة الصلاحية. وعمل جاهدا على ازدهارها. وأوقف عليها الأوقاف. واشترط أن تكون أوقاف المدرسة على المشتغلين بالفقه على مذهب الإمام الشافعي. (العسلي. 1981م. ص 64)

المدرسة النحوية:

تقع هذه المدرسة في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من صحن الصخرة. وقد أنشأها الملك المعظم عيسى عام 604هـ /1207م. وكان المعظم عيسى من المهتمين بعلوم اللغة العربية. واشتغل باللغة والنحو. وكان يحفظ المفصل للزمخشري. وكان يجيز من يحفظه بثلاثين دينارا. ويقول ابن واصل أن المعظم وقف على القبة النحوية وقفا جليلا على أن يشتغلوا في تلك القبة بالقراءات السبع. وشرط أن لا يصرف من وقفها شيء إلا للحنفية فقط. (ابن واصل. ج4. 1972م. ص 211. العسلي. 1981م. ص105)

وتجدر الإشارة إلى أن الملك المعظم عيسى اهتم بالمدينة المقدسة. وشيد قبة بالحرم القدسي. وولى تدريسها للشيخ شمس الدين بن رزين البعلبكي الذي قرأ عليه جمال الدين ابن واصل في تلك القبة «كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي وجوّد عليه القرآن». وعثر جمال الدين ابن واصل وهو بالقدس على نسخة من كتاب سيبويه وعليها خط المعظم في عدة مواضع «كما وقف فيها على كتاب صنفه المعظم سماه: «السهم المصيب في الرد على الخطيب» وطالعه جميعه فوجده في غاية الحسن (ابن واصل. ج6. 2004م. ص9). والمعروف أن ابن واصل أعطي التدريس في المدرسة الناصرية الصالحية في القدس من قبل الملك الناصر داوود بن المعظم عيسى عام 630هـ/1232م. وذلك بعد وفاة والد المؤرخ ابن واصل مباشرة.

المدرسة الأفضلية:

تأسست المدرسة الأفضلية في عام 590هـ/1194م. وكان الملك الأفضل نور الدين قد أسسها في المنطقة المحيطة بالبراق الشريف. ووقفها على فقهاء المالكية. وكان معظمهم من أهل المغرب. (العسلي. 1981م. ص116)

4.4 الحياة الاقتصادية في القدس في العهد الأيوبي

استرجع الأيوبيون مدينة القدس وأخرجوا الفرنجة منها. واستقر بها خلق كبير من العلماء. والفقهاء. والجاهدين من العراق والشام ومصر والمغرب. وأصبحت الحياة تدب في المدينة. وانتعشت الحركة التجارية في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية حتى أن السياح الغربيين الذين زاروا القدس في ذلك العهد قالوا: «إن من صادراتها الجبن. والقطن. وقضم فريش الذي لا نظير له. والمرايا. وقدور القناديل. والإبر. والألبان» (العارف. 1961م. ص 177) وكان سوق المبيضين على عهد السلطان صلاح الدين سوقا للخضار. وكان القسم غير المسقوف منه. وهو الممتد من سوق المبيضين في الجنوب إلى الشارع الممتد إلى كنيسة القيامة في الشمال. سوقا لبيع الدجاج. والجبن. وجميع أنواع الألبان. (المرجع السابق نفسه. ص177) أما سوق العطارين. وهو الواقع شرقي السوقين. فإنه كان في تلك الأيام سوقا للمطاعم والحلاقين. (المرجع السابق نفسه. ص177) وعلى الرغم من ذلك فهناك من يشير إلى أن واردات القدس في العهد الأيوبي كانت قليلة مقارنة بإيرادات غيرها من المدن الفلسطينية. (لبنل. 1992م. ص 224).

5. القدس في العهد المملوكي

1.5 القدس في عهد الظاهر بيبرس

(658-676هـ/ 1260-1276م)

اهتم السلطان الظاهر بيبرس بمدينة القدس. فقام بزيارتها عام 661هـ/1263م. وخصص مبلغاً قدره خمسة الاف درهم في السنة للإنفاق على المسجد الأقصى. كما جدد ما تهدم من قبة الصخرة. وقبة السلسلة. (وأنشأ خانا للسبيل. وبنى به مسجدا. وطاحونا. وبستانا. وفرنا). (المقريزي. ج1. ق2. 1957م. ص 491. الكتبي. ج1. 1973م. ص243. العارف. 1961. ص198. السيد. 1986. ص27). وفضلا عن ذلك شيد على قبر موسى - عليه السلام- قبة ومسجدا ... وأوقف عليها وقفا. (ابن شاكر الكتبي. ج1. 1973م. ص243. ابن شداد. 1983م. ص351).

فوض السلطان الظاهر بيبرس إلى الأمير جمال الدين محمد بن نهار بناء خان للسبيل. ولما ت
تشييد الخان زوده بفرن وطاحونة. «وجعل للمسجد الذي فيه إماما» وأجرى فيه أعمالا للخير
منها توزيع الخبز على بابه. وإصلاح من يرد عليه من المسافرين المشاة. (ابن شداد. 1983م. ص351. ابن
تغري بردي. النجوم الزاهرة. ج7. ص121. مجير الدين الحنبلي. ج2. 1973م ص 87. السيد. 1986. ص 27)

ومن الأحداث المهمة في عهده أنه علم أن ملك الكرج (جوروج) خرج من بلاده قاصدا زيارة القدس والحج إلى كنيسة القيامة في زي الرهبان (ومعه جماعة من خواصه) فأطلع السلطان الظاهر بيبرس الأمير بدر الدين الخزندار على أمره. وعندما وصل ملك الكرج إلى بيت المقدس قبض عليه. وعندما وصل إلى السلطان وسأله «حبسه في برج من قلعة دمشق. وأمره أن يبعث من جهته إلى بلاده من يعرفهم بأسره فبعث نفرين» (ابن شداد. 1983م. ص 75-74. ص168 العسقلاني المصري. 1976م. 153)

وحظيت القدس بزيارة الملك الظاهر مرة ثانية عام 646هـ/1265م. ويبدو أنه أمر بإنشاء رباط البصير. الواقع شمالي الطريق المؤدية إلى الحرم من ناحية باب الظاهر. وقد أنشأ الرباط عام 666هـ/1267م. وهناك بلاطة من رخام وضعت فوق بابه. وهي منقوشة من نسخ مملوكي واشتملت على الكلمات الآتية: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما وقف الأمير علاء الدين أيدغدي الركني. وقف جميع داخل هذا الباب من الأقباء والساحة على الفقراء الواردين لزيارة القدس الشريف وقفا مؤبدا في سنة ست وستين وستمائة....» (العارف. 1961م. ص 199. السيد 1986م. ص27)

وأمر بارتجاع عدة ضياع من أوقاف الخليل - عليه السلام- كانت قد دخلت في الإقطاع. وعوض الأمراء عنها. ثم وقف وحبس القرية المعروفة باذنا عليه وقفا صحيحا شرعيا. (ابن عبد الظاهر 1976م ص 89. السيد. 1986م. ص27) وفي عهده تم إنشاء دار الحديث بجوار التربة الجالقية على طريق باب السلسلة. (السيد. 1986م. ص27)

2.5 القدس في عهد المنصور سيف الدين قلاوون (678-689هـ/1278-1290م)

تم في عهده إنشاء الرباط المنصوري (مجير الدين الحنبلي، ج2، 1973م)، وهو يقع بباب الناظر، أحد أبواب المسجد الأقصى، وهو رباط غاية في الحسن والبناء المحكم. كما عمر سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة عند جامع الأنبياء (مجير الدين، المصدر نفسه، السيد، 1986م ص 27، ص 290، عاشور «بعض أضواء جديدة على مدينة القدس» ص16) كذلك أنشئت في عهده المدرسة الغزية على مقربة من باب الأسباط. كما تم إنشاء المسجد القلندري الواقع في طريق دير اللاتين أو حارة دير الإفرنج في الناحية الجنوبية. ومن الأحداث المهمة في عهده اعتقال ملك الكرج (جورجيا) توما بن كلياري عند زيارته للقدس عام 681هـ/1282م، وإرجاعه إلى بلاده. (العارف، 1961م ص200).

3.5 القدس في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون (693-696هـ/1294-1296م)

زار الملك الناصر محمد القدس «وأجرى إليه الماء، وبنى الجوامع والمدارس والخوانق». (العبني، 1967م ص 311) «وشهدت فلسطين، بما فيها القدس، في عهد الناصر اجتياح التتار، فقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن التتار وصلوا إلى مدينة القدس، وحازوا على أشياء كثيرة، فضلا عن عمليات النهب والأسر «وذلك يوم الاثنين الموافق عشرة ربيع الاخر عام 699هـ/4 يناير 1300م (ابن حبيب، ج1، 1976م، ص220، المقريزي، ج1، ق3، 1970م ص 890، 896).

4.5 القدس في عهد الملك الناصر فرج بن برقوق (801هـ1398م)

عزيزي الدارس، بالرغم مما اشتهر به في التاريخ من سوء السيرة، إلا أنه في زيارته إلى القدس «تصدق على الناس بخمسة آلاف دينار وعشرين ألف فضة» وبات ليلة واحدة بالقدس، وليس من شك في أن المبلغ الذي تصدق به الملك الناصر يعد كبيرا بالنسبة لمقاييس ذلك العصر، كما عرج على مدينة الخليل لزيارتها وبات فيها، وعلق بمسجد الحرم الإبراهيمي الستائر الحريرية على الأضرحة الموجودة به. (المقريزي، السلوك، ج4، ق 1، ص 108، السيد، 1986م ص 28)

5.5 القدس في عهد المؤيد شيخ المحمودي (815-824 هـ/1412-1421م)

زار الملك المؤيد مدينة القدس في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عام 820هـ/6 تشرين الثاني عام 1417م. «وفرق في أهله مالا جزيلا. وصلى الجمعة. وجلس في المسجد الأقصى بعد الصلاة. وقرأ صحيح البخاري من رقعة فرقت على من بين يديه من الفقهاء القادمين إلى لقائه من القاهرة والقدس. «وأجريت المدائح بعد قراءة صحيح البخاري. وكان وقتا مشهودا. (المقريزي. ج4. ق1. 1972م ص421. العيني 1967م ص 328. 341. في ذكر حوادث سنة 820هـ السيد. 1986م ص 28) وبعد انتهاء زيارته إلى القدس عرج على مدينة الخليل «فزار. وتصدق» ولقيه الأمير فخر الدين بين قرية السكرية والخليل فأقبل عليه. وسر الملك المؤيد بلقائه. (المقريزي. ج4. ق1. 1972م ص421).

6.5 القدس في عهد الملك الأشرف برسباي (825-841هـ/ 1422-1438م)

في عهده عمرت الأوقاف بالقدس الشريف. واشتريت عدة جهات للوقف من القرى والمسقفات «وورد مرسوم الأشرف بصرف معاليم المستحقين منها وإرصاد ما بقي منها لمصالح الصخرة الشريفة». وأمر بنقش رخامة الصقت على حائط الصخرة تجاه قبة المحراب. وقد تم ذلك عام 836هـ/1432م. ومن الأمور التي تذكر للملك الأشرف برسباي المصحف الشريف الذي وضعه بالمسجد الأقصى تجاه المحراب وبالقرب من دكة المؤذنين. (مجير الدين الحنبلي. ج2. 1973م ص96. السيد. 1986م ص28)

كما تم في عهده إنشاء المدرسة الباسطية شمال الحرم بالقرب من باب الضأن. والمدرسة القادرية بين باب حطة من الغرب ومئذنة إسرائيل من الشرق. وكذلك المدرسة الحسينية بباب الناظر غربي الحرم فوق رباط علاء الدين البصير. هذا بالإضافة إلى المدرسة العثمانية بباب المتوضأ تجاه سبيل قايتباي. (العارف. 1961م. ص 208. 209. السيد. 1986م. ص 28)

6. الأوضاع الحضارية في العهد المملوكي

1.6 الإدارة المملوكية في القدس

اهتم سلاطين الدولة المملوكية بالقدس والمناطق التابعة لها اهتماما بالغا، وجعلوها إحدى نياباتهم المستقلة، وكانت تضم ثلاث ولايات هي: ولاية الخليل، وولاية نابلس، وولاية الرملة، وجعلوا القدس مركزا لحكم النيابة، وقد اعتنوا بها كثيرا، وعينوا لحكمها كبار الأمراء والنواب بسبب أهميتها الدينية والروحية، الأمر الذي أدى إلى رفع مكانتها الإدارية والسياسية (القلقشندي، ج4، 1987م، ص205).

قام المماليك بإجراء مجموعة من التغييرات اشتملت على جوانب كثيرة أهمها:

1.1.6 التنظيمات الإدارية: استحدثت في عهدهم مجموعة من الوظائف يمكن تصنيفها إلى: وظائف عسكرية، وإدارية، ودينية

1- نائب السلطنة: أصبحت القدس نيابة عام 777هـ/1375م عندما رفعها الملك الأشرف شعبان بن حسين إلى هذه الدرجة، وكان نائب السلطنة يمثل السلطان وينوب عنه، ويقيم في دار النيابة التي تم تأسيسها بجانب الرواق العلوي من المسجد الأقصى، وكانت صلاحيته تتعلق بالإشراف على شؤون الجيش وبيت المال، ويتولى تعيين ولاة الأعمال وصغار الموظفين في نيابة القدس. (الإمام 1976م ص-95 96، العارف، 1961م ص 219) وفضلا عن ذلك كان ناظرا في الحرمين الشريفين: المسجد الأقصى، ومسجد الخليل، وكان يضاف إليه نيابة الخليل ونابلس والرملة، وقد فصلت السلطة الدينية عن المدنية، وأصبحت السلطة الدينية من اختصاص شيخ الصلاحية. (القلقشندي، ج4، 1987م، ص206، العارف، 1961م ص220).

2- نائب القلعة: ويأتي بالأهمية بعد نائب السلطنة، ويتم تنصيبه بمرسوم من نائب السلطنة، ويتولى الإشراف على قلعة المدينة من ناحية صيانتها، وحفظها، وعمارة ما تردم منها، وتخزين مختلف أنواع الأسلحة، والإشراف على الجنود الذين يتولون مهمة حراسة المدينة والدفاع عنها.

3- والي المدينة: كان يتم تعيينه من قبل نائب السلطنة، ويقوم بالمحافظة على أرواح الناس وأموالهم، ومعاقبة الخارجين عن القانون ومن يلحقون الأذى بالأخلاق العامة، وكان يساعده مجموعة من الحرس ورجال الشرطة. (القلقشندي، ج4، 1987م، ص 206، يوسف غوانمة، 1982م، ص34).

4- الحاجب: كانت مهمته الفصل بين الأمراء والجند، وفض المنازعات بين الناس، والنظر في القضايا التي تختص بأرباب الجرائم، وغيرها من القضايا التي ترفع إلى أصحاب الشرطة. (القلقشندي، ج4، 1987م، ص 20، العارف، 1961م، ص220).

5- الدوادار: كان المماليك يرسلون من وقت لآخر مفتشين يستطلعون أخبار النيابة وينظرون في شكاوى الناس التي ترفع إلى السلطان، وكانوا يسمون المفتش من هؤلاء دوادارا كبيرا، وكان كبير المفتشين يسمى الدوادار الكبير، وهو بمثابة أمين السر العام، وفضلا عن ذلك كان كل نائب سلطنة في مقر عمله دوادارا، وهو بمثابة أمين السر الخاص. (العارف، 1961، ص 220)

2.1.6 الوظائف الدينية

1- ناظر الحرمين الشريفين: كان مسؤولا عن الحرمين في القدس والخليل، وغالبا ما كانت هذه الوظيفة تناط بنائب القدس، ومهمة ناظر الحرمين الإشراف على كل ما يحتاج إليه الحرم الشريف في القدس، وحرم المسجد الإبراهيمي في الخليل، من العناية بأوقاف الحرمين، ورواتب العاملين فيه «وكان ناظر الحرمين يهتم بتعمير الأوقاف وزيادتها مما يرصده من المال». (مجير الدين الحنبلي، ج2، 1973م، ص275-274، المقريزي، ج4، ق2، ص181)

2- القضاة: كان قاضي القضاة يمثل رأس الهيئة القضائية في نيابة القدس في العهد المملوكي، وكان على المذهب الشافعي، وتناط به أحيانا مناصب ناظر الحرمين الشريفين، وقد استحدث في القدس في العهد المملوكي مناصب قضائية على المذاهب: الحنفية، والمالكية، والحنبلية، وعلى فترات مختلفة. (مجير الدين الحنبلي ج2، 1973م، ص 87، الإمام، 1976م، ص103، غوانمة، 1982م، ص39)

3- خطيب المسجد الأقصى: ويتولى صاحب هذا المنصب إلقاء الخطب أيام الجمع والأعياد في المسجد الأقصى.

4- مشيخة المدرسة الصلاحية، ومشيخة الخانقاه الصلاحية المختصة بالمتصوفين والمؤذنين ووظيفة المدرسين في المدارس المملوكية. (الإمام، 1976م، ص107-106، غوانمة، 1982م، ص43-44)

5- جيش نيابة بيت المقدس: خصص المماليك جيشا لنيابة بيت المقدس أسوة بالنيابات الأخرى، واشتمل جيشها على الفرسان، والرجالة، ورجال القبائل المقيمة في نيابة بيت المقدس، والولايات التابعة لها، وهو جيش إقطاعي، ولهذا خصص له ناظر يتولى الإشراف على إقطاعات الأمراء والجند، وترتيب أمورها، وإبلاغ السلطان عن الإقطاعات التي يتوفى أصحابها. (غوانمة 1982م ص-40 49، محاسنة واخرون 2003م ص192).

وشارك جيش نيابة القدس في قمع كثير من الفتن وردع المتمردين في القدس، وكلف أيضا بمهمة قمع المتمردين من أبناء الولايات المملوكة المجاورة لنيابة القدس، كما خاض جيشها في حروب المماليك ضد العثمانيين، (غوانمة، 1982م، ص49-53، محاسنة واخرون، 2003م، ص192، مجير الدين الحنبلي، ج2، 1973م، ص 336-337، 341-342).

2.6 الحياة الثقافية في العهد المملوكي

حظيت بيت المقدس بنوع من الأمن والاستقرار، شجع الكثير من الناس على الهجرة إليها والاستقرار بها، وقد حفظت كتب التاريخ والأدب أسماء العديد من رجال العلم والدين الذين رحلوا من المغرب إلى المشرق، وقد زودنا مجير الدين الحنبلي بمعلومات عن كثير من علماء المغرب الذين وفدوا إلى القدس في عصر سلاطين المماليك.

وتشير المصادر والمراجع إلى أن القدس غدت في عصر سلاطين المماليك مهوى أفئدة كثير من العلماء وطلبة العلم في ذلك الوقت، هذا إلى جانب صبغتها الدينية، وتعدد مدارسها التي حازت على رعاية الحكام من سلاطين وأمراء وكثير من أهل الخير، الذين جادوا لها بالأموال والعقارات التي خصصت لأعمال الخير وكان ينفق من ريعها على العلماء وطلبة العلم. وكانت حلقات التدريس تعقد في مساجدها وزواياها المتعددة، كما أنجبت مدينة القدس الكثير من العلماء الذين أثروا الحياة العلمية بنتاجهم، وانتشروا في أنحاء الدولة المملوكية، وتولوا

المناصب المهمة في البلاد المختلفة. (السيد. 1986م. ص122)

وكان للمؤسسات العلمية في القدس حظ كبير. وقد شيد سلاطين وأمراء المماليك الكثير منها. وقدم لنا مجيرالدين الحنبلي أسماء أكثر من أربعين مدرسة في القدس. وأكثر من عشرين زاوية. فضلا عن مكاتب الأطفال والمساجد (السيد. 1986م. ص152).

وشجع نظام الأوقاف في تلك المؤسسات التعليمية. وشد من أزرها. ومكنها من البقاء في أداء رسالتها. وبعبارة أخرى فإن حياة كل من المدرسة والزاوية والمكتب والمسجد لم تكن رهنا بحياة مؤسسها. حيث كان يوقف عليها من الأوقاف ما يضمن به لها الاستمرار في أداء رسالتها عقب وفاته. وقد تكون هذه الأوقاف أرضا زراعية. أو عقارات. أو أسواقا وحوانيت وحمامات تدر إيرادا ثابتا. ينفق منه على صيانتها. ودفع مرتبات العاملين بها ومخصصات النازلين فيها (السيد. 1986م. ص 153). وقد اخترنا بعض المدارس المشهورة في القدس في العهد المملوكي للوقوف عندها وهي:

المدرسة التنكزية:

تعد المدرسة التنكزية من مدارس القدس الشهيرة. أسسها الأمير تنكيز الناصري عام 729هـ/ 1328م. وهي واقعة عند باب الحرم المعروف بباب السلسلة. وقد تجلى الفن المعماري المملوكي بصورة رائعة في بناء المدرسة الذي حفل بالزخارف والمقرصنات التي تزين بوابتها العالية والأحجار الملونة. (العسلي. 1981م. ص119) وقد جعل تنكز التولية والنظارة على الوقف لنفسه. ومن بعده لورثته. وحدد واجبات ناظر الوقف. كتعمير الموقوف وفرشه. وتنويره. وشراء البخور. وشراء اللحم في عيد الأضحى وتفريقه. وشراء الشمع. وتفريق الجرايات والأطعمة. وكتب على واجهة المدرسة الخارجية فوق الباب الشمالي الكلمات الآتية «بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذا المكان المبارك راجيا ثواب الله وعفوه المقر الكريم السيفي تنكز الملكي الناصري - عفا الله عنه. وأثابه- وذلك في شهور سنة تسع وعشرين وسبعماية. وهي موقوفة باسمه». (العارف. 1961م. ص244. العسلي. 1981م. ص126).

وتجدر الإشارة إلى أن السلطان فرج استقر في هذه المدرسة في أثناء إقامته بالقدس. وفي عهد السلطان قايتباي اتخذت مركزا للحكام والقضاة. وكانت مقرا لسكناهم أيضا. (العارف. 1961م. ص 244. 245).

المدرسة الأرغونية:

أنشئت في العهد المملوكي حوالي عام 759هـ/1358م، وكان قد شرع في بنائها الأمير أرغون الكاملي، وأكملها الأمير ركن الدين بيبرس السيفي، وهي واقعة تجاه المدرسة الجوهرية، ومتصلة بالمدرسة الخاتونية، وهناك بلاطة كتب عليها بالخط النسخي المملوكي الجميل: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بإنشاء هذه التربة والمدرسة المباركة المقر الأشرف السيفي أرغون الكاملي نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس، توفي إلى رحمة الله تعالى ثامن عشر شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وتولى شدها وتكميلها ركن الدين بيبرس السيفي، وأكملت في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبعمائة». (العارف، 1961م، ص247)

المدرسة المنجكية:

أنشئت عام 762هـ/1360م، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الأمير سيف الدين منجك الذي أمر بإنشائها، وهي واقعة في طرف الحرم من الناحية الغربية، وإلى الشمال من باب الناظر وكانت لها أملاك موقوفة، وكان هناك ناظر يدبرها، وجاب يجني أوقافها، وقراء يقرؤون القرآن فيها ويعلمونه بأجر معلوم، وكان قاضي القدس يتولى التدريس فيها بنفسه. (العارف، 1961م، ص248، 249).

المدرسة الأشرفية:

حظيت هذه المدرسة بشهرة خاصة بين مدارس القدس إذ أنها كانت أفخم مدارسها من ناحية البناء، وسميت بالسلطانية أو المدرسة السلطانية، وكان قد شيدها الأمير حسن الظاهري باسم الملك الظاهر خوشقدم (ت 875هـ/1470م)، وعندما توفي الملك الظاهر ولم يكن بناؤها قد تم، طلب الأمير حسن من الملك الأشرف قايتباي أن يتقبلها فقبلها منه، وعندما زار الملك الأشرف قايتباي القدس عام 880هـ/1475م لم تعجبه المدرسة فأمر بهدمها وإعادة بنائها من جديد، وقد استخدم في بنائها مهندسا نصرانيا من القاهرة، فجاءت آية في الإبداع، ويمكن قراءة الكلمات الآتية على الجدار الباقي من جدرانها: «أمر بإنشاء هذه المدرسة الشريفة مولانا السلطان الملك الأشرف عبو النصر عز نصره، بتاريخ مستهل شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثمانمائة، وذلك في أيام مولانا المعز الأشرف الناصري سيدي

محمد الخازندار ناظر الحرمين الشريفين عظم الله شانه». وذكر مجير الدين الحنبلي عندما وصفها: «كانوا يقولون قديما: مسجد بيت المقدس به جوهرتان هما: قبة الجامع الأقصى، وقبة الصخرة الشريفة. فقلت: وهذه المدرسة سارت جوهرة ثالثة؛ فإنها من العجائب في حسن المنظر ولطف الهيئة» (مجير الدين الحنبلي، ج2، 1973م ص329، العسلي 1981م ص 158) وقد أوقف عليها الملك الاشرف قايتباي مجموعة من الأوقاف.

وهناك مجموعة كبيرة من المدارس التي ظهرت في العهدين: الأيوبي، والمملوكي، لا يتسع المجال للحديث عنها في هذه العجالة.

وظهرت في القدس في العصرين: الأيوبي، والمملوكي، مجموعة من المدارس كانت تدرس فيها العلوم الشرعية، والعلوم اللغوية، وهناك من المدارس من اختص بنوع واحد من العلوم: كالمدرسة النحوية التي اختصت بعلوم اللغة والأدب. وكانت المدرسة الصلاحية تهتم بتدريس الرياضيات والتاريخ. (العسلي، 1981م ص 47)

3.6 الحياة الاقتصادية في القدس في العهد المملوكي

تقدم لنا وثائق الحرم أدلة على وجود تجار أجانب من الشرق في القدس، وخصوصا تجار القماش، وهناك إشارات إلى تجار الحرير والقطن، ووجود الأخيرين أمر غير مستغرب نظرا لوجود سوق القطانين الكبير الملاصق للحرم. ونحن نعرف أن الصابون كان يصنع في القدس في هذا العهد، وارتبطت هذه الصناعة بالطبع بزراعة الزيتون بجوار المدينة. وتضمنت المصنوعات الأخرى منتجات القطن والكتان المعروف بـ«القدسي» ويتضح من وصف الأدوات المنزلية، والأثواب المخلفة في تركات المقدسيين في أواخر القرن الرابع عشر أن المدينة كانت تعتمد على الواردات التي كانت ترد إليها من أماكن بعيدة: كالأناضول (السجاجيد) ونيسابور (القلانس، والجلابيب، والقمصان) واليمن (البطانيات) والمغرب (الستر والأردية) والبندقية (القمصان) والبرتغال (الجلود)، ومهما كانت هذه الإشارات إلى اقتصاد القدس مثيرة للاهتمام فإننا لا نعرف شيئا عن حجم التجارة أو حجم الصناعات المحلية (ليتل، 1992م ص 224).

وذكر الرحالة الألماني بورشارد من دير جبل صهيون Burchard of Mount Sion أن أراضي

القدس والمناطق المجاورة لها كانت تمتاز بالخصوبة (بورشارد، 1995م ص 126). ومن المعروف أن أراضي القدس والمناطق المجاورة لها كانت تشتهر بزراعة أشجار الزيتون التي تعتمد عليها صناعة استخراج زيت الزيتون، وصناعة الصابون، فضلا عن شهرة المنطقة بزراعة أشجار الكرمة، والنفاح، والمشمش، والخروب، وغيرها.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- وضح جهود صلاح الدين في نشر الحياة العلمية في القدس بعد تحريرها من الفرنجة.

2- تحدث عن أهم المدارس التي ظهرت في القدس في العهدين: الأيوبي والمملوكي.

7. الخلاصة

درست، عزيزي الدارس، في الوحدة الخامسة القدس في العهدين الأيوبي والمملوكي، وتوضح هذه الوحدة الدولة الأيوبية وقائدها صلاح الدين الأيوبي وما قام به من جهود كبيرة لتوحيد المسلمين وتحرير القدس من الصليبيين في معركة حطين والمفاوضات التي حدثت بين السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله والفرنجة من أجل تسليم المدينة بدون قتال وهذا ما حدث فيما بعد، وجهوده بعد تحرير المدينة لاعمار القدس وتنشيط الحركة الثقافية الدينية بالمدينة. وكذلك تناولت هذه الوحدة دور المماليك في حماية القدس وتحريرها من بقايا الصليبيين في عهد الظاهر بيبرس وسيف الدين قلاوون والأوضاع الحضارية في المدينة كالادارة والتنظيمات الادارية والوظائف الدينية والحياة الثقافية والاقتصادية في مدينة القدس.

8. لمحة عن الوحدة الدراسية السادسة

تناقش الوحدة السادسة، عزيزي الدارس، الفتح العثماني للمدينة عام 1516م والتشكيلات الادارية للمدينة والنشاط العمراني كالسرايا والتحصينات والأماكن المقدسة والتكايا والترب والمواصلات والاتصالات بالإضافة إلى الحمامات والتكايا التي بقيت معالمها حتى يومنا هذا.

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

أوضاع مدينة القدس منذ حصارها من قبل السلطان صلاح الدين وحتى الاتفاق على تسليم المدينة دون قتال:

بعد أن انتهت مهمة القوات الأيوبية باستعادة معظم المناطق قرر السلطان صلاح الدين أن يتوجه بنفسه صوب مدينة القدس، وعندما وصل الخبر إلى المدينة «طارت قلوب من به رعبا، وخفقت أفئدتهم خوفا من جيش الإسلام، وتمنت الفرنج لما شاعت الأخبار أنها ما عاشت. وقد وصلها السلطان يوم الأحد الخامس عشر من رجب عام 583هـ/20 أيلول 1187م، فنزل بالجانب الغربي، وكان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة. ولقد حَازر أهل الخبرة عدة من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على ستين ألفا ماعدا النساء والصبيان. وبناء على هذا الوضع أخذ السلطان يطوف حول المدينة خمسة أيام؛ ليتحسس مواطن الضعف في أسوارها حتى استقر رأيه أخيرا على أن يركز هجومه على الجهة الشمالية.

ونصب المسلمون المجانيق على المدينة من الجانب الشمالي يوم الأحد الموافق الخامس عشر من رجب عام 583هـ /عشرين سبتمبر عام 1187م (وضايقوه بالزحف، والقتال، وكثرة الرماة) حتى وصلوا إلى سور المدينة، ونقبوه، وشرعوا بالهجوم عند باب العمود

في الجانب الشمالي من بيت المقدس، وحمل المسلمون حملة رجل واحد، ونصب المجانيق، وتعلق النقابون وقاتلوا قتالا شديدا، فلما رأى الفرنجة أن المسلمين ظهروا عليهم سقط في أيديهم وطلبوا الأمان.

مفاوضات الصلح بين السلطان صلاح الدين والفرنجة:

عندما شعر الفرنجة أنهم لا طاقة لهم بقتال المسلمين استقر الأمر أن يخرجوا بأموالهم، سوى الخيل البحرية والسلاح.

وفي الوقت الذي اشتد فيه هجوم صلاح الدين على بيت المقدس، اتسعت رقعة الخلاف داخل المدينة بين الطوائف المسيحية من أرثذوكس، وكاثوليك، حتى أن الفريق الأول نادى بأنه يفضل الحكم الإسلامي على سيطرة الكاثوليك الغربيين. وتشير بعض المراجع إلى تآمر الأرثوذكس في بيت المقدس مع صلاح الدين، وإلى أن ثمة اتصالات سرية تمت بين الطرفين تعهد فيها الأرثوذكس بفتح أبواب المدينة. ولم يلبث باليان دي إبلين أن أدرك استحالة المقاومة، لا سيما بسبب نقص الرجال والمقاتلين، حتى قيل أنه كان في بيت المقدس عندئذ رجل واحد مقابل كل خمسين من النساء والأطفال. لذلك «أرسلوا جماعة من كبرائهم في طلب الأمان وتسليم القدس» بشرط احترام من بالمدينة من الفرنجة، والسماح لمن يشاء بمغادرتها. وكانت هذه الشروط نفسها هي التي سبق أن عرضها صلاح الدين ورفضها باليان. ولكن صلاح الدين امتنع في هذه المرة، وأصر على تسليم المدينة دون قيد أو شرط، لأنه أقسم على الاستيلاء عليها بحد السيف، وقال لرسل الفرنجة «لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله (أهل القدس) حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي، وأجزي السيئة بمثلها».

وعندما ساء موقف الفرنجة داخل بيت المقدس، أخذوا يتدبرون المصير القاسي الذي ينتظرهم، وعندئذ حاولوا مرة أخرى إقناع صلاح الدين بالعفو عنهم، فخرج باليان (ابن بارزان) بنفسه لاستعطاف صلاح الدين، ولما وجده مصرا على موقفه لجأ إلى مزيد من الترغيب والتهديد، فقال لصلاح الدين: «إذا رأينا الموت لابد منه فوالله لنقتل أبناءنا ونساءنا، ونحرق ما نملكه من أموالنا وأمتعتنا، ولا نترككم تغنمون منا دينارا ولا درهما، ولا تأسرون رجلا ولا امرأة، فإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى وغيرها من المواضع الشريفة، ثم نقتل من عندنا من أسرى

المسلمين، وهم خمسة آلاف أسير، ولا نترك لنا دابة ولا حيوان إلا قتلناه، ثم خرجنا إليكم، وقاتلنا قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه، وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله».

وكان أن استشار صلاح الدين أصحابه في الموقف، فوافقوا على ترك المسيحيين يغادرون المدينة مقابل فداء عشرة دنانير للرجل «يستوي فيها الغني والفقير» وخمسة للمرأة، وواحد للطفل. أما الفقراء والمعدمون من الفرنجة فقد وافق السلطان صلاح الدين على أن يدفع باليان لسبعة آلاف منهم مبلغا إجماليا قدره ثلاثون ألف دينار، وقام بالأداء ولم ينكل عن الوفاء. واشترط صلاح الدين أن يؤدي الفرنجة الفداء المفروض عليهم في مدى أربعين يوماً حتى انقضت الأربعون يوما ولم يؤد ما عليه فقد صار مملوكا. (عاشور، ج2، 1978م، ص788-789، Grousset, 2, 1948, pp 82-84) وذكر ابن شداد أن السلطان صلاح الدين «أقام يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والعلماء، وإيصال من دفع قطيعته منهم إلى مأمنه، وهو صور».

تدريب (2)

1- أدى السلطان صلاح الدين الأيوبي الصلاة في قبة الصخرة بعد أن تم غسلها وتطهيرها.

2- مكث السلطان في القدس ينظر في مصالحه، وعندما غادر المدينة المقدسة خلف أخاه الملك سيف الدين العادل، يقرر قواعدها.

3- لم تغفل عينه عن القدس إذ حضر لزيارتها يوم الجمعة الموافق 23 من ذي القعدة عام 587هـ /1191م، فلما وصلها نزل بدار القسس المجاورة لكنيسة القيامة.

4- قدم إليه عسكر من مصر، فقويت نفوس المسلمين بالقدس، وشرع في تحصين المدينة.

5- صلى في قبة الصخرة في مستهل ذي الحجة كما صلى عيد الأضحى بالقدس.

6- أمر السلطان بعد ذلك بحفر خندق عميق، وأنشأ سورا، وأحضر من أسرى الإفرنج قريبا من ألفين، وجعلهم ينفذون ذلك.

7- جدد أبراجا حربية من باب العمود إلى باب المحراب، وأنفق عليها أموالا جزيلة، وبناها بالأحجار الكبيرة، وكان الحجر يقطع من الخندق، ويستعمل في بناء السور، وقسم بناء السور

على أولاده وأخيه العادل وأمرائه. وصار يركب كل يوم ويحضر على بنائه. وطالت إقامة السلطان صلاح الدين في القدس "لتقوية البلد. وتشييد أسواره".

8- جدد في عمارة الصخرة المقدسة. وأكمل السور والخندق. وسار في غاية الإتقان.

9- شارك السلطان صلاح الدين في نقل الحجارة والعمارة ملوك ومراء الدولة الأيوبية. فضلا عن القضاة. والعلماء. والصوفية. والزهاد. والأولياء. وجميع سكان القدس.

10- أوقف السلطان ثلث دخل نابلس وأعمالها لمصالح القدس وعمارة سورها. وقام السلطان صلاح الدين بترتيب عدة دواوين في بيت المقدس. "في كل ديوان منها عدد من النواب من المصريين. ومنهم من الشاميين".

10. مسرد المصطلحات

- **معركة حطين:** معركة نشبت بين المسلمين بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي والفرنجة بقيادة الملك جاي لوزينان Guy Lusignan عام 583هـ/1187م. وكان النصر حليف المسلمين.

- **الملك جاي لوزينان Guy Lusignan:** هو الملك الذي خاض معركة حطين. وأسر في المعركة. واحترمه السلطان صلاح الدين وقدم له ماء مثلجا.

- **اتفاقية الرملة:** هي الاتفاقية التي وقعها السلطان صلاح الدين الأيوبي مع ريتشارد قلب الأسد عام 588هـ/1192م. وقد تضمنت مجموعة من البنود أهمها: تستمر الاتفاقية مدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر. تكون اللد والرملة مناصفة بين الطرفين. المنطقة الممتدة في ما وراء يافا إلى رفح مع المسلمين. صيدا وبيروت وجبيل مع المسلمين. وتسلم مدينة عسقلان إلى المسلمين على أن تبقى خرابا. حرية وصول المسيحيين إلى الأماكن المقدسة في القدس. وبيت لحم. والناصرة. وفضلا عن ذلك البلاد الداخلية مع المسلمين.

- **الملك الكامل محمد (615-635هـ /1218-1238م):** ولد الملك الكامل عام 573هـ/1177م. تفرد بالخطبة في ديار مصر وأعمالها. واستقل بأمورها وتدبير أحوالها. وشهد عهده قدوم حملتين فرنجيتين: الحملة الخامسة على دمياط. والسادسة «الحملة الدبلوماسية أو

الحملة العجيبة» التي سلم الكامل محمد فيها الإمبراطور فريدريك الثاني بيت المقدس دون قتال عام 626هـ/1229م.

- **اتفاقية يافا:** هي الاتفاقية التي وقعت بين السلطان الكامل محمد الأيوبي والإمبراطور فريدريك الثاني عام 626هـ/1229م. وسلم الملك الكامل بموجبها مدينة القدس إلى الفرنجة.

- **الخوارزمية:** ينتسب الخوارزمية إلى إقليم خوارزم الواقع في عمق آسيا الوسطى. ولذلك يمكن القول أنهم ينتمون من حيث الأصل إلى الجنس التركي الذي غلب على معظم أجزاء آسيا الوسطى.

- **الصالح نجم الدين أيوب:** 603-647هـ /1239-1249م ولد بمصر، ونشأ بها. استخلفه أبوه على مصر. والصالح هو الذي أنشأ المماليك الأتراك. وفي عهده حضرت الحملة الفرنجية السابعة التي كان يقودها الملك لويس التاسع.

- **الظاهر بيبرس (658-676هـ /1260-1276م):** هو تركي الأصل. ورغب الملك الصالح نجم الدين أيوب بالاستحواذ عليه. وتم له ذلك. وأصبح بيبرس من مماليكه البحرية الذين أسكنهم قلعة الروضة. وارتقى بيبرس حتى وصل إلى درجة عالية. وشارك في معركة عين جالوت عام 658هـ /1260م. وقام باغتيال المظفر قطز. ثم أصبح سلطاناً على مصر والشام.

- **المنصور قلاوون (678-689هـ/1278-1290م):** هو سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي الذي ينتسب إلى قبيلة تركية الأصل. وسبب تسميته بالألفي أنه اشترى بألف دينار. أما الصالح فلأنه كان من مماليك الصالح نجم الدين أيوب. وقد وصف بأنه كان رجلا مهيبا شجاعا. حكم إحدى عشرة سنة. وقد بدأ حكمه عام 679هـ/1279م.

- **الحاجب:** كانت مهمته الفصل بين الأمراء والجند. وفض المنازعات بين الناس. والنظر في القضايا التي تختص بأرباب الجرائم وغيرها من القضايا التي ترفع إلى أصحاب الشرطة.

- **الدوادار:** كان المماليك يرسلون من وقت لآخر مفتشين يستطلعون أخبار النيابة. وينظرون في شكاوى الناس التي ترفع إلى السلطان. وكانوا يسمون المفتش من هؤلاء دوادارا كبيرا. وكان كبير المفتشين يسمى الدوادار الكبير. وهو بمثابة أمين السر العام. وفضلا عن ذلك كان كل

نائب سلطنة في مقر عمله دوادارا، وهو بمثابة أمين السر الخاص.

- **ناظر الحرمين الشريفين:** كان مسؤولا عن الحرمين في القدس والخليل. وغالبا ما كانت هذه الوظيفة تناط بنائب القدس، ومهمة ناظر الحرمين الإشراف على كل ما يحتاج إليه الحرم الشريف في القدس، وحرم المسجد الإبراهيمي في الخليل من العناية بأوقاف الحرمين، ورواتب العاملين فيه «وكان ناظر الحرمين يهتم بتعمير الأوقاف وزيادتها ما يرصده من المال».

- **الناظر الشرعي:** وهي من الوظائف الدينية، وتم استحداثها بسبب كثرة الأوقاف في مدينة القدس في العهد الأيوبي. ويكون الناظر مسؤولا عن العناية بالأوقاف، ومراقبة أرباب الوظائف الوقفية، وكانت في القدس أوقاف للمسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، وأوقاف للصوفية والمدارس والمستشفيات.

11. المصادر والمراجع

أ- المراجع العربية:

1- باركر أرنست: الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط4، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

2- الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ/1021م):

-1 الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة 1965م.

-2 البرق الشامي، تحقيق مصطفى الحياري، ط1، ج3، ج5، مؤسسة عبد الحميد شومان 1987م.

3- البغدادي، موفق الدين أبو محمد عبداللطيف (ت629هـ/1232م)، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق عبد الرحمن عبدالله الشيخ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.

4- البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت622هـ/1225م)، سنا البرق الشامي، تحقيق رمضان ششن، القسم الأول، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت 1971م.

5- بيبرس المنصوري. ركن الدين بيبرس المنصور الدوادار (ت725هـ/1324م) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة. تحقيق دونالد س. ريتشاردز. ج42. الشركة المتحدة للتوزيع. بيروت 1998م.

6- ابن حبيب. الحسن بن عمر (ت 797هـ/1377م): تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه. ج1. تحقيق محمد أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1976م

7- الحنبلي. أحمد بن إبراهيم (ت876هـ/1472م) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب. تحقيق ناظم رشيد. بغداد 1979م.

8- ليتل. دونالد ب. القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك 1187-1516. انظر: القدس في التاريخ. ترجمة وتحرير كامل العسلي. عمان 1992.

9- الإمام. رشاد. مدينة القدس في العصر الوسيط. الدار التونسية للنشر والتوزيع. تونس. 1976م.

10- كفافي. زيدان وآخرون. القدس عبر العصور. جامعة اليرموك. إربد. 2001م.

11- لين بول. ستانلي. صلاح الدين وسقوط مملكة القدس. ترجمة فاروق سعد أبو جابر. ط1. القاهرة. 1416هـ/1995م.

12- رانسيمان. ستيفن. تاريخ الحروب الصليبية. ج3. ترجمة السيد الباز العريني. ط1. دار الثقافة. بيروت. 1969-1967م.

13- البيشاوي. سعيد:

-1 الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية. ط1. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1990م.

-2 نابلس (الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية). ط1. عمان. 1991م.

14- عاشور. سعيد. الحركة الصليبية. 2ج. ط3. الأنجلو المصرية. القاهرة. 1978.

15- أبو شامة. شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي الدمشقي ت(665هـ/1267م) الروضتين في أخبار الدولتين. 5ج. تحقيق إبراهيم الزيبق. ط1. مؤسسة الرسالة. بيروت. 1997م.

16- ابن شداد. عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم (توفي 684هـ/1285م). تاريخ الملك

الظاهر. تحقيق أحمد حطيط. فرانز اشتايز بافيسبادن. بيروت. 1983م.

17- جاسر. شفيق. القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها. 1099-1244م/492-642هـ. ط1. عمان 1409هـ/1989م.

18- سليم. صبري. الأتراك الخوارزميون في الشرق الأدنى الاسلامي. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. 2000م.

19- العارف. عارف. المفصل في تاريخ القدس. مكتبة الأندلس. القدس. 1961م.

20- ابن عبد الظاهر. محي الدين (ت692هـ/1293م):

-1 تشريف الأيام والعصورفي سيرة الملك المنصور. تحقيق مراد كامل. القاهرة. 1961م.

-2 الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر. تحقيق عبد العزيز الخويطر. ط1. الرياض. 1976م.

21- العسقلاني المصري. شافع بن علي الكاتب (ت730 هـ /1330م). حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية. تحقيق عبدالعزيز الخويطر. الرياض. 1976م.

22- السيد. علي. القدس في العصر المملوكي. دار الفكر للدراسات والنشر. القاهرة 1986م.

23- حسن. علي. تاريخ المماليك البحرية. ط3. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. 1967م.

24- العيني بدر الدين (ت 855هـ/1451م). السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي. تحقيق فهيم شلتوت. دار الكتاب العربي. القاهرة. 1387هـ/1967م.

25- عبده. قاسم. قاسم والسيد. علي علي: الأيوبيون والمماليك. ط1. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. 1995م.

26- القلقشندي. أحمد بن علي (ت821هـ/1418م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. 15جـ تحقيق محمد حسين شمس الدين. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت. 1407هـ/1987م.

27- العسلي. كامل جميل. معاهد العلم في بيت المقدس. الجامعة الأردنية. عمان. 1981م.

28- مجير الدين الحنبلي، أبو اليمن عبد الرحمن بن مجير الدين، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2ج، في مجلد، بيروت، 1973م.

29- محاسنة، محمد وآخرون، تاريخ مدينة القدس، ط1، دار حنين، عمان، 2003م.

30- الحويري محمود، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، القاهرة، 1979م.

31- الحياري مصطفى، صلاح الدين القائد وعصره، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1994م.

32- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (توفي 845هـ/1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، 4جـ في 12قسم، 2-1جـ تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط2، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1957م، 4-3 تحقيق سعيد عاشور، وزارة الثقافة والإعلام، القاهرة، 1972-1970م.

33- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1298م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جـ3-1، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، 1960-1953م، جـ5-4 تحقيق محمد حسنين ربيع، القاهرة 1977-1972م، ج6، تحقيق عمر تدمري، بيروت، 2004م.

34- الفيتري يعقوب: تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان، 1998م.

35- براور يوشع: الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة عبد الحافظ البنا، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001م.

36- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/1132م)، الكامل في التاريخ، ج12، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1386هـ/ 1966م.

37- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت632هـ/1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1964م.

38- سبط بن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قيزوغلي (ت654هـ/1257م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج8، ق2، حيدر أباد، الهند، 1952م.

39- ابن الوردي، أبوحفص زين الدين عمر بن المظفر (ت 749هـ/1349م) تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1977م.

ب- المراجع الأجنبية:

1- Richard Jean, The Latin Kingdom of Jerusalem, 2vols. Translated from the Original by Jenat Shirly, Amsterdam, 1979.

2- Archer, T.A. and Kingsford, C.L The Crusades, The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem, T. Fisher Aunwin LTD, London, 1914.

3- Conder, C.R. The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1897.

4- Stevenson, The Crusader in the East, Beirut. 1968.

5- Prawer, J., Crusader Institutions, Oxford, 1980.

6- Besant, W., and Palmer, E.H., Jerusalem the City of Herod and Saladin, London, 1888.

الوحدة السادسة

القدس في ظل الحكم العثماني 1516-1918م

اعداد

د. امين ابو بكر

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

يسعدني، عزيزي الدارس، أن أرحب بك أجمل ترحيب في الوحدة السادسة من هذا المقرر، والتي وضعت تحت عنوان "القدس في ظل الحكم العثماني 1516-1918م"، وستعالج في ثلاثة محاور أساسية: أفرد الأول منها لعرض الجوانب الإدارية، والمتمثلة في كيفية دخولها تحت الحكم العثماني عام 1516م، والتشكيلات، والتبعية الإدارية التي انتظمت فيها، والجهاز الإداري الذي كلف بإدارتها بالنيابة عن المؤسسة الحاكمة في اسطنبول، والأجهزة التنفيذية في مركز كل من ولاية الشام، وصيدا، ومصر، وعواصم الولايات التي ألحقت بها. بينما خصص المحور الثاني لمعالجة الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، وركز في ذلك على الأنشطة الاقتصادية التي انتابت المدينة، والعلاقة القائمة بين السكان، ومستوى معيشتهم، ومدى اهتمامهم بمجالات الصحة، والتعليم، والحرف، والصنائع، وحركة التغلغل الأجنبي التي بدأت ملامحها الأولى في ظل الحكم المصري عام 1831-1841م. أما المحور الثالث فكرس لعرض النشاط العمراني الذي شهدته المدينة، وما خلفته من شواهد عمرانية نادرة، أدرجتها منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة ضمن التراث العالمي، الذي يتوجب الحافظ عليه.

2.1 أهداف الوحدة

بعد الانتهاء من دراسة هذه الوحدة، ينتظر منك، عزيزي الدارس، أن تكون قادرا على أن:

1. تتتبع مسيرة القدس الحضارية إبان الحكم العثماني.
2. تدرك الدور الذي لعبه الحكم العثماني في الحفاظ على المدينة.
3. تستنتج أثر التنظيمات العثمانية في نهضة المدينة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية.
4. تتعرف الدور الذي ما يزال سور القدس يقوم به في الدفاع عن المقدسات.
5. تقدر الموقف الشعبي والرسمي من التغلغل الأجنبي، والحركة الصهيونية.
6. تتعرف على ما تمتلكه المدينة من تراث عمراني.

3.1 أقسام الوحدة

تقسم هذه الوحدة إلى ثلاثة أقسام رئيسة تتصل اتصالا وثيقا بالأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. فالقسم الأول يتمثل في الإدارة العثمانية. والقسم الثاني يتجسد في الحياة الاقتصادية. والاجتماعية. بينما خصص القسم الثالث لعرض النشاط العمراني.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس. القراءات الآتية على درجة كبيرة من الفائدة: فهي تساعدك على تعميق فهمك لموضوع الوحدة:

1. الحنبلي. مجير الدين العليمي. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. مكتبة المحتسب. دار الجليل. عمان. الأردن. 1973م.
2. العارف. عارف. المفصل في تاريخ القدس. مطبعة المعارف. القدس. فلسطين. 1996م. ص ص 261-368.
3. المحامي. محمد فريد. تاريخ الدولة العثمانية. تحقيق إحسان حقي. دار النفائس. بيروت. لبنان. 1983م.
4. نجم. رائف. وآخرون. كنوز القدس. مآب. مؤسسة آل البيت المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية. منظمة المدن العربية. عمان. الأردن. 1403هـ/1983م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

قبل أن تبدأ. عزيزي الدارس. بدراسة هذه الوحدة تأكد من أنك قد وفرت المكان المريح والمناسب للدراسة. وتذكر أن يكون معك قلم رصاص. وممحاة: لتسجيل ملاحظاتك على حاشية الوحدة. ومن الضروري الاستعانة بالخرائط. والأطالس عن الدولة العثمانية بعامة. ومدينة القدس بخاصة. وتحديد الأماكن والمواقع التي ترد بين سطور الوحدة.

2. الإدارة

1.2 الفتح العثماني1516م

عزيزي الدارس، اشتد التنافس بين الدولتين السنيتين: العثمانية، الممتدة في هضبة الأناضول وشرق أوروبا من جهة، والمملوكية في مصر والشام من جهة أخرى، على زعامة العالم الإسلامي، وكان هذا التنافس قد وصل ذروته في 22/8/1516م، في الصدام العسكري الذي جرى في معركة مرج دابق إلى الشمال من حلب، وانتهى بهزيمة الجيش المملوكي، بقيادة السلطان قانصوة الغوري، الذي قتل في أرض المعركة، وانتصار الجيش العثماني، بقيادة السلطان سليم الأول.

ونتيجة لذلك، واصل السلطان سليم زحفه جنوبا لضم بقية المقاطعات الشامية لسلطنته، فدخل دمشق في 28/9/1516م، ومنها أرسل وحدة عسكرية قوامها عشرة آلاف جندي، للسيطرة على القدس، فاجتازت جسر بنات يعقوب على نهر الأردن، ومنه إلى خان اللجون في مرج ابن عامر، فقرية قاقون في السهل الساحلي، وتابعت سيرها جنوبا، فأحرزت نصرا حاسما على تجمعات الجيش المملوكي في موقعة جلجولية إلى الجنوب من طولكرم، والتي كان لنتائجها الأثر الكبير في السيطرة على بقية أنحاء فلسطين، فواصلت زحفها جنوبا نحو القدس، عبر ممر باب الواد الاستراتيجي، ودخلتها سلما دون قتال في 28/12/1516م.

وبعد يومين من سيطرة الجيش العثماني على القدس، عرج السلطان سليم إليها، وهو في طريقه إلى مصر، وذلك بهدف زيارة الأماكن المقدسة، والاطلاع على شؤونها، وتنظيم أمورها، وإزاء ذلك خرج في استقباله خارج الأسوار العلماء، والأعيان، والوجهاء، والأهالي، وسلموه مفاتيح المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وأمام هذا الإنجاز والتكريم نزل السلطان عن حصانه ساجدا لله الذي كرمه بفتح أولى القبلتين، ودخل موكبه وسط مظاهر الزينة والفرح، وبعد أن فرغ من زيارة أماكنها المقدسة، واطلع على شؤونها وأوضاعها قام بتنظيم أمورها الإدارية، وأجزل العطايا لأعيانها، وفقرائها ومساكينها، وكرم وجهاءها، وعلماءها، (العقوب، ناجية، 1998، المهتدي، 1999).

وبموجب ما تقدم. دخلت مدينة القدس عهدا جديدا من الحكم الإسلامي استمر نحو أربعة قرون. ونتيجة لمكانتها المقدسة حظيت باهتمام الهيئات الشعبية والرسمية في الدولة العثمانية. فأطلقوا عليها اسم «القدس الشريف». بدلاً من بيت المقدس. الذي تم تداوله في العهدين: الأيوبي. والمملوكي. وعمموا مصطلح التشريف على جميع بلاد الشام. فأصبحت تعرف باسم «شام شريف». أي بلاد الشام المشرفة. (سجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية).

أسئلة التقويم الذاتي (1)

تتبع مسار حركة الجيش العثماني من حلب إلى القدس.

2.7 تشكيلات القدس الإدارية

عزيزي الدارس. تباينت تشكيلات القدس الإدارية في أثناء الحكم العثماني من فترة لأخرى. ويرجع ذلك لعدة عوامل. من أهمها:

1. مكانتها الحضارية كعاصمة روحية لأصحاب الديانات السماوية الثلاث.
2. تطور النظم الإدارية العثمانية.
3. التهديدات التي تعرضت لها بلاد الشام مما يلي الجنوب مثل حملة نابليون على عكا القادمة عبر صحراء سيناء. وحركة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية.
4. توجهات الدولة نحو فرض نظام الحكم المركزي بعد عام 1841م.
5. الصراعات الداخلية التي نشبت في فلسطين بعد الحكم المصري عام 1841م.
6. احتلالها مركز الريادة السياسية والاستراتيجية في المقاطعات الجنوبية من بلاد الشام.
7. مواجهة حركة التغلغل الأجنبي والهجرة الصهيونية ما بين 1841- 1918م.

وفي ضوء ذلك، اتخذت مدينة القدس مركزاً إدارياً لأربعة تشكيلات إدارية متباينة من حيث: مساحتها، ومستوياتها، والعوامل الفاعلة فيها، وهي:

1. سَنْجَقْ القدس 1516-1841م: ويتألف من مقاطعات جبال القدس والخليل.

2. ولاية القدس الشريف 1841-1864م: وهو أكبر وأرفع تشكيل ألحق بالمدينة في العهد العثماني، واشتمل على جميع مقاطعات وسط فلسطين وجنوبها، والمؤلفة من لواء القدس، والخليل، ونابلس، وجنين، وغزة.

3. متصرفية القدس 1864-1874م: وتتألف من مقاطعات وسط فلسطين وجنوبها، واشتملت في المدة الواقعة ما بين 1864-1869م، على ألوية القدس، والخليل ونابلس، وجنين، وغزة، وذلك قبل أن ينفصل عنها لواء نابلس، ولواء جنين عام 1869م.

4. متصرفية مستقلة 1874-1918م: حظيت القدس بالدرجة الممتازة، وفقا للتصنيف الإداري العثماني، ونعتت بالاستقلال، بعد أن فصلت عن الولايات الشامية، ووضعت تحت إشراف رئاسة الوزراء في اسطنبول مباشرة، وذلك من خلال نظارة الداخلية عام 1874م. واستمر ذلك حتى رحيل الحكم العثماني عنها عام 1918م، وجاء ذلك بهدف وقف حركة التغلغل الأجنبية في أراضيها، وكانت تتألف من أربعة أقضية هي: القدس، والخليل، وغزة، ويافا، وفي عام 1899م تم استحداث قضاء بئر السبع في الأقسام الشرقية والجنوبية من قضاء غزة، وتزامن ذلك مع بداية التصعيد الحدودي بين مصر والدولة العثمانية، كما ألحق بها عام 1909م قضاء الناصرة لمدة قصيرة، وذلك بهدف توحيد جميع الأماكن الدينية المقدسة في تشكيلة إدارية واحدة، وقبيل اشتعال الحرب العالمية الأولى عام 1914م، تم استحداث قضاء عوجا الحفير في المناطق الغربية من قضاء بئر السبع لتشديد الرقابة على الحدود المصرية الفلسطينية. (سجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية، أبو بكر، 1996م).

؟

أسئلة التقويم الذاتي (2)

على خريطة صماء ظلل تشكيلات القدس الإدارية 1516-1918م.

3.2 التبعية الإدارية

عزيزي الدارس، نقصد بالتبعية الإدارية العلاقة التي كانت تربط القدس بالعاصمة اسطنبول، مروراً بمراكز الولايات الشامية، والتي كانت تمر بها المراسلات من العاصمة اسطنبول القائمة في قارة أوروبا عند المدخل الجنوبي للبحر الأسود وإليها. وهي المرة الأولى في التاريخ الإسلامي التي تصبح فيها القدس تابعة للعاصمة القائمة خارج الوطن العربي، بعد أن تراوحت في العصور الماضية بين المدينة المنورة، ودمشق، وبغداد، والقاهرة.

وأسوة بالتشكيلات الإدارية، فقد تباينت تبعيتها من حين لآخر، وذلك تبعا لعوامل عدة من أهمها:

1. تطور النظم، والتشكيلات الإدارية في الدولة العثمانية.
2. ضعف ولاة الشام في دمشق، وقوة ولاة عكا من أمثال أحمد باشا الجزار.
3. الأخطار التي كانت تحدق بفلسطين بعامة، ومدينة القدس بخاصة.
4. الحملة المصرية بين أعوام 1831-1841م.
5. تطور وسائل الاتصال والمواصلات، وأهمها: السفن، والقاطرات، والتلغراف.

وبموجب ذلك، فقد انتظمت تبعيتها في أربعة محاور هي:

أ- محور القدس - دمشق - اسطنبول: وقد ساير فترة ازدهار الأمن، والاستقرار، وانسجم مع الجولة التي كان يقوم فيها، والي دمشق في لوائها، لجمع الضرائب المرصودة للإنفاق على مصالح تجهيز قافلة الحاج الشامي، التي كان يقع على عاتقه تجهيزها، وإنفاذها من دمشق إلى الحجاز، وحمايتها من تعديات القبائل البدوية على الطريق الصحراوي المار في البوادي الأردنية. وكان الوالي يضطر لسلوك طريق دمشق – القدس - العقبة تجنباً لمخاطر الطريق الداخلي.

ب- محور القدس - عكا - اسطنبول: وقد ساير فترة ضعف ولاة دمشق، ونمو قوة ولاة عكا، وفي مقدمتهم أحمد باشا الجزار، وخلفاؤه من بعده، والأخطار التي كانت تتعرض لها بلاد الشام عبر ولاية مصر، وغالبا ما بادرت الدولة لفصلها عن دمشق، وإلحاقها بمدينة عكا، مركز ولاية صيدا أو عكا، بهدف بناء خط دفاعي متين في مواجهة تلك الأخطار، كما حصل عام

1799م. عند التصدي لحملة نابليون على عكا. والحملة المصرية على بلاد الشام عام 1831م.

ج- محور القدس - دمشق - القاهرة: وساير فترة الحكم المصري لبلاد الشام ما بين عام 1831-1841م. وكانت السلطة المصرية قد وضعت جميع الولايات الشامية تحت إشراف «حكمدار إيالات بر الشام» أو الحاكم العام. ومن دمشق إلى القاهرة. ونتيجة لذلك انقطعت تبعية القدس عن اسطنبول. بالرغم من أن (محمد علي باشا) والي مصر كان يرى نفسه خادماً للسلطان وليس خارجاً عليه. وأن إرسال حملته ما كان إلا لتأديب الخارجين على إرادة سيده السلطان في اسطنبول. وفي مقدمتهم والي عكا (عبد الله باشا الخزندار). وإن كانت أسباب الحملة تتمثل في مجموعة من العوامل من أهمها:

1. ضم بلاد الشام لولايته في مصر بهدف إقامة دولة كبرى.
2. الاستفادة من موارد بلاد الشام: الطبيعية. والبشرية.
3. التعويض عن الخسائر التي لحقت بمصر بسبب مشاركتها في حروب السلطان.
4. إرجاع الجنود الهاربين من الخدمة العسكرية. والذين وجدوا في بلاد الشام ملاذاً لهم.
5. سوء علاقته الشخصية بوالي عكا عبد الله باشا الخزندار.
6. ضعف الدولة العثمانية. وعدم مقدرتها على مواجهة الأخطار: الداخلية. والخارجية.
7. قوة الجيش المصري. الذي خبرته معارك الجزيرة العربية. والسودان. وبلاد اليونان.
8. وعود السلطان العثماني لمحمد علي باشا بمنحه ولاية عكا إلى جانب ولاية مصر.

وبموجب ذلك. أرسل محمد علي باشا جيشه إلى بلاد الشام. بقيادة ابنه البكر وولي عهده إبراهيم باشا عام 1831م. وكان بتشكيلاته: البرية. والبحرية. قد ركز في خط سيره على السهل الساحلي. والاستيلاء على مدنه. وتشديد الحصار على مدينة عكا مركز ولاية عبد الله باشا الخزندار. الذي استمر ستة أشهر. وما أن شدد الجيش المصري حصاره لمدينة عكا حتى أعلنت المدن الجبلية. بما فيها القدس. ولاءها للسلطة المصرية.

كانت القدس في أثناء الحكم المصري تتصل بالقاهرة بحراً عبر ميناء يافا، وبراً عبر صحراء سيناء، كخط مواز ورديف للخط البحري، للحيلولة دون انقطاعه من قبل الأساطيل العثمانية والأجنبية.

وفي عام 1834م انطلقت ثورة مدوية في القدس، وغيرها من المقاطعات الفلسطينية، على الحكم المصري، لأسباب عدة تتمثل فيما يأتي:

1. الضرائب الباهظة التي حاول إبراهيم باشا فرضها على السكان.
2. إلغاء الامتيازات التي تمتعت بها الزعامات المحلية في فلسطين إبان عهد الإقطاع.
3. إجبار السكان على تسليم الأسلحة غير المرخصة.
4. فرض التجنيد الإجباري على الشبان القادرين على الخدمة العسكرية.
5. فتح فلسطين بما فيها القدس للامتيازات الأجنبية.

كانت القدس من أبرز المراكز التي حاولت جموع المتمردين السيطرة عليها، واتخاذها مقراً لهم، وذلك بالرغم من كثافة الحشودات النظامية التي تمركزت فيها، وحافظت على سيادة الحكومة في القلاع والحصون، إلى أن قدم إبراهيم باشا على رأس الوحدات والتعزيزات التي أحضرها والده بنفسه من مصر، واستمع إلى توجيهاته في ميناء يافا، لفك الحصار عنها، وذلك بعد أن سقطت من أيديها جميع أحياء المدينة.

د- **محور القدس - اسطنبول:** وساير فترة تشكيل ولاية القدس بين الاعوام 1841 1864م، وتشكيل المتصرفية المستقلة بين أعوام 1874-1918م، حيث أصبحت القدس تخاطب اسطنبول مباشرة، وقد تعزز استقلالها عن دمشق وعكا نتيجة لاستمرار الأخطار المحدقة بها، والموجبة لوضعها تحت الإشراف المباشر للعاصمة اسطنبول، ودخول مجالات التحديث، وفي مقدمتها تطور وسائل المواصلات والاتصال: ففي مجال المواصلات تم استخدام القارب البخاري كوسيلة نقل سريعة بين اسطنبول وميناء يافا وذلك بعد عام 1840م، وتعبيد طريق القدس - يافا لسير العربات عام 1867م، والاستعاضة عنها

بالسيارات بعد عام 1914م، وبناء الخط الحديدي بينهما عام 1892م، وربطها بشبكة التلغراف العثماني عام 1863م، ومدها إلى القدس عام 1865م، والتلفون عام 1914م، حيث أصبح من السهولة بمكان أن تخاطب الهيئات الحاكمة في اسطنبول أجهزتها التنفيذية في القدس، وتتلقى الرد عبر البرقيات التلغرافية في دقائق معدودة.

تدريب(1)

علل ما يأتي:

أ- تباين تشكيلات القدس الإدارية في العهد العثماني.

ب- اختلاف تبعية القدس الإدارية 1516-1918م.

ج- قدوم الحملة المصرية إلى بلاد الشام عام 1831م.

4.2 الجهاز الإداري

عزيزي الدارس، عهدت الدولة العثمانية بإدارة القدس والمناطق التابعة لها إلى عدد من الهيئات المدنية والعسكرية، كما عملت على إشراك السكان المحليين في الإدارة من خلال المجالس، والهيئات المنتخبة، ويمكن تصنيفها إلى ثلاث دوائر هي:

1.4.2 الدائرة المدنية

وتتألف من قسمين هما:

أ- الهيئات التنفيذية: احتل الحاكم العام رأس الهرم في الجهاز الإداري التنفيذي، وكانت أوامر العزل والتولية بحقه تصدر عن السلطان، بناء على تنسيب والي دمشق أو عكا، ونظارة الداخلية في عهد التنظيمات. وفي بداية العهد العثماني عرف باسم أمير اللواء، وحمل طوخاً واحداً، وهو عبارة عن خصلة مجدولة من شعر ذيل الفرس، ترفع على سارية العلم الذي يتقدمه عند المسير، وبمرور الزمن أصبح يعرف باسم المتسلم

أو القائم مقام، وهو الذي يتسلم المدينة نيابة عن الوالي. وغالباً ما كان يعين لمدة عام قابلة للتجديد.

وفي عهد الولاية، عهد بإدارة القدس لولاة تمرسوا في إدارة ولايات الشام، من أمثال ثريا باشا والي حلب. وغالباً ما كانوا من كبار قادة الجيش، وحملوا رتبة مشير، وهي أعلى رتبة في الجيش، وتم ابتداعها في الدولة عام 1832م، أو فريق، وزينت أعلامهم بثلاثة أطواخ، وحصلوا على رتبة الوزارة.

أما في عهد المتصرفية فعهد بإدارتها إلى متصرفين على درجة عالية من الكفاءة، وغالباً ما كانوا من خارج المدينة، ومن رجالات البلاط السلطاني والجيش على وجه التحديد. وحملوا رتباً رفيعة المستوى، ومن أهمها مير ميران: أي أمير الأمراء، وزين علمه بطوخ إلى ثلاثة أطواخ، وذلك حرصاً على ضبط الأوضاع، وإنفاذ أوامر الدولة وتعليماتها بدقة. وبالتالي فإن الشخصيات العربية التي كلفت بمنصب الحاكم العام، في أثناء العهد العثماني كانت قليلة جداً. ومن أبرزها صالح باشا طوقان عام 1717م، وأسعد بك طوقان عام 1788م، من أهالي نابلس، وجبر أبو غوش من أهالي قرية العنب القائمة إلى الغرب من القدس، وقاسم الأحمد الجماعيني من قرية جماعين، وحافظ بك السعيد من يافا. (سجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية).

ومن أبرز الشخصيات التي تولت هذا المنصب في القرن التاسع عشر رؤوف باشا، الذي حكم المدينة في السنوات الواقعة ما بين 1877-1889م، نظراً لكفاءته الإدارية، ومواقفه الحازمة من التغلغل الأجنبي والحركة الصهيونية في المدينة، وهو ما أثار حفيظة قناصل الدول الأجنبية في القدس، وسفرائها في اسطنبول، فأخذت بالضغط على وزارة الخارجية العثمانية، للعمل على عزله من منصبه. وتحت هذه الضغوط بادرت الدولة لإقالته، وتكريماً له منح رتبة الوزارة، وعين والياً على ولاية سوريا، أكبر ولايات بلاد الشام عام1892م. (أبو بكر، 1996م).

ويمارس الحاكم العام مهامه في السراي، أو دار الحكومة المجاورة للمسجد الأقصى، ويمثل في عمله السلطان، ومن ينوب عنه من الولاة، ونظارة الداخلية إبان عهد الإشراف المباشر، وينظم عمله عدد من الموظفين: مدير التحريرات أو مدير ديوانه، والحراس، والكتبة، والفراشين، ويمثله في المقاطعات مديرو الألوية، والأقضية، والنواحي، تبعاً للتشكيلات الإدارية السائدة، وغالبا

ما اتخذ مقر إقامته على مقربة من السراي. وبعد انطلاق مشاريع العمران خارج الأسوار عام 1856م. نقل مقره إلى الأحياء الجديدة القائمة إلى الشمال الغربي من السور.

وفي سبيل الاطلاع على سير العمل، والوقوف على دقائق الأمور، كان الحاكم العام يشارك في الاحتفالات الدينية، والوطنية، والشعبية، ويقوم بجولات ميدانية في الأسواق، والساحات العامة، ودور العبادة، والدوائر الحكومية المدنية، والعسكرية، وتوسعت دائرة الجولات لتشمل المقاطعات: للاجتماع مع نوابه، والهيئات الرسمية والشعبية، وقيادة وحدات الجيش: للتصدي لغارات القبائل البدوية، ووداع قوافل الحجاج وملاقاتهاعلى الطرق الخارجية، وفض الخلافات بين العائلات، والقرى، والقبائل المتخاصمة على أماكن الرعي، ومصادر المياه، والأراضي الزراعية، ومساعدة السكان في إنفاذ المشاريع الخيرية: كبناء المدارس، والمشافي، والمطاحن، وحفر قنوات المياه، ودعمهم في مواجهة الحركة الصهيونية.

وعلى مقربة من ديوان الحاكم العام القائم في السرايا، تمركزت مجموعة من الدوائر المختصة، التي تقدم خدماتها للسكان في المدينة والمناطق التابعة لها. ومن أهمها دائرة المالية، والطابو، والصحة، والمعارف أو التعليم، والنفوس، والتابعة أو الجوازات، والبوستة، والتلغراف، والنافعة أو الأشغال العامة، والجمارك، والزراعة، والجفتلك السلطاني، والأحراش، وغيرها.

ب- المجالس المنتخبة: عرفت القدس هذا النمط من الدوائر أول مرة إبان الحكم المصري 1831-1841م، تحت اسم «مجلس الشورى»، ويتألف من هيئة منتخبة من العلماء، والوجهاء، والأفندية المسلمين، ورؤساء الطوائف غير الإسلامية، وكان يعقد اجتماعاته برئاسة الحاكم العام، وفي ديوانه الخاص في دار الحكومة أو السرايا، أو خارجها إذا اقتضى الأمر، وذلك بغية إشراك المجتمع في الأمور العامة. وبعد عودة الحكم العثماني إلى المدينة عام 1841م، ظل مستمرا تحت اسم مجلس الإدارة أو المجلس العمومي، ومثلت فيه الألوية، والأقضية التابعة للقدس بنسب مختلفة، وأسوة بهذا المجلس شكلت مجالس موازية في المقاطعات، والأقضية، والنواحي.

وبعد عام 1841م وسعت دائرة التمثيل الشعبي في المجالس المنتخبة من خلال المجالس الاختيارية، وتقوم فكرتها على إشراك السكان في الإدارة العامة بصورة أوسع، وذلك عن طريق

انتخابهم هيئاتهم المحلية على نطاق محدد، قوامه المحلة في المدينة، والحارة في القرية، والديرة في البادية، ويتراوح عدد أعضائها ما بين (6-15)عضواً، وكانت مهمتها التعريف بالسكان وتمثيلهم، ونقل مطالبهم للهيئات الرسمية العليا.

وفي سبيل إضفاء نوع من الرقابة والمركزية المشددة عمدت الدولة في عهد التنظيمات، بعد عام 1841م، إلى استحداث منصب المختار، كبديل عن المشايخ والوجهاء، ويقضي ذلك بأن يقوم سكان المحلة في المدينة، والحارة في القرية، والديرة في البادية باختيار رجل، هو المختار الأول، ومن ينوب عنه في حالة غيابه، وهو المختار الثاني، لتمثيلهم والتعريف بهم في الدوائر الحكومية، ونقل أي إجراءات حكومية قادمة إليهم، ونتيجة لذلك، وثق المختار علاقته بالأجهزة الحكومية، وأخذ يمارس سلطة قوية على المنطقة التي يمثلها، وعلى وجه التحديد في مجالات أخذ أبنائهم إلى العسكرية.

عزيزي الدارس، تكريماً لمكانتها المقدسة، كانت القدس عام 1863م، ثاني مدينة تنعم بتشكيل مجلس بلدي بعد العاصمة اسطنبول، وجاء ذلك بإرادة سلطانية، وتشكل ذلك بالتعيين، وضم خمسة أعضاء مثلوا سكان المدينة بطوائفهم الإسلامية، والمسيحية، واليهودية، وكان برئاسة عبدالرحمن الدجاني. وبعد صدور قانون البلديات عام 1877م، اتضحت معالم المجلس البلدي بصورة أفضل، وبات تشكيله يتم بالانتخاب، حيث أتيح لكل شخص مقدسي يحمل الجنسية العثمانية، وبلغ ال(25) سنة من عمره، أن يقوم بالانتخاب، شريطة أن يدفع ما يترتب عليه من ضرائب للخزينة، لا تقل عن (50) ليرة عثمانية في العام، كما أتيح لكل شخص بلغ ال(30) سنة من عمره، وسدد الضرائب المترتبة عليه، والتي لا تقل عن (150) ليرة عثمانية، أن يرشح نفسه لعضوية المجلس، وبموجب ذلك، شكل المجلس من (12)عضواً، ينتخبون لمدة أربع سنوات، وتتمثل فيه جميع الطوائف، ومن أبرز الشخصيات التي تولت منصب الرئاسة يوسف الخالدي، الذي تولاها (9)سنوات، وفي عهده وسعت البلدية خدماتها إلى حد كبير، فأقامت مسرحا لعرض الفنون، ومتحفاً لحفظ المقتنيات الأثرية وعرضها، ومشفى، وفرقة موسيقية وكشفية، تعزف ألحانها في متنزه البلدية الخاص بين حين وآخر. (ارمسترونغ، 1998م).

وبصدور الدستور العثماني عام1876م، وإطلاق العنان لأول انتخابات برلمانية، خاضت القدس

والمناطق التابعة لها أول انتخابات برلمانية عام 1877م. وبموجبها تم انتخاب يوسف الخالدي ممثلاً عن المتصرفية بما فيها القدس. ونتيجة لظروف الدولة الحرجة. أقدم السلطان على تجميد العمل بالدستور ووقف الحياة النيابية بعد عام واحد من الانتخابات الأولى.

وفي عام 1908م. أعيدت الحياة البرلمانية مرة أخرى. ومثل متصرفية القدس كل من روحي بك الخالدي. وسعيد بك الحسيني من أبناء المدينة. وحافظ بك السعيد من أهالي يافا. بينما فاز بها عام 1914م كل من روحي بك الخالدي و عثمان النشاشيبي من أهالي القدس. وعارف الحسيني من أهالي غزة. وكانت مدة التمثيل محددة بأربعة أعوام.

2.4.2 الدائرة الأمنية

عزيزي الدارس. منذ بداية الحكم العثماني تألفت الدائرة الأمنية في مجملها من قسمين: الأول الجيش النظامي. الذي ارتبطت وحداته بالقيادة العامة في اسطنبول. تبعاً للتشكيلات العسكرية القائمة في بلاد الشام. فبعد القضاء على وحدات الانكشارية عام 1826م. وضعت جميع تشكيلات بلاد الشام ضمن الجيش الخامس المعروف باسم جيش عربستان. وكان قد اتخذ من دمشق مقراً له. وقد أبدلت دائرته مع بداية الحرب العالمية الأولى من الخامس إلى الرابع. ووضع على رأسها ناظر الحربية أحمد جمال باشا الشهير بالسفاح. والذي قام بدوره بنقل مقر قيادته من دمشق إلى القدس. بغية اتخاذها قاعدة متقدمة لشن هجماته على مصر لطرد الاستعمار البريطاني منها.

وكانت الوحدات العسكرية. والمؤلفة من المشاة. والفرسان. والمدفعية. تتمركز في القلعة. والأبراج. وتقوم بالتمارين المتواصلة في منطقة الميدان قبالة باب الخليل. ومن مهامها حفظ الأمن الداخلي. والدفاع عن المدينة من التعديات الخارجية. وفرض هيبة الدولة من خلال ضرب قطاع الطرق. واللصوص. والمساعدة في جباية الضرائب. وإخضاع القبائل البدوية. ووقف الحروب الأهلية. والتصدي للتحرشات المصرية على الحدود. والمدعومة من الاستعمار البريطاني عام 1906م. كما واجهت الفرقة ال(20) من الجيش الرابع العثماني. الجيش البريطاني المهاجم عام 1917 مواجهة شرسة في معارك وادي سيدنا

علي، والنبي صموئيل، وبيت عور، ووادي الصرار، وجبل الزيتون، وذلك باعتراف قيادة الجيش البريطاني.

ومن الجدير بالذكر، أن الغالبية العظمى من الوحدات العسكرية المرابطة في المدينة كانت وافدة من الخارج، إلا أن محاولات تجنيد أبناء المدينة في الجيش، قد بدأت في ظل الحكم المصري، عندما سعى إبراهيم باشا لمحاورة أعيان المدينة، وإقناعهم بفكرة التجنيد الإجباري، وجدواه في الدفاع عن بلاد العرب والمسلمين، إلا أن محاولته باءت بالفشل، بينما نجحت الدولة العثمانية عام 1863م بتجنيد مجموعات كبيرة من الشبان من أهالي المدينة والمناطق التابعة لها، واستمرت في ذلك حتى عام 1918م، وظهرت فعالياتها في أسماء المجندين، وجبهات القتال التي شاركوا فيها، ومن أهمها جبهة اليمن، والبلقان، وقناة السويس، وغزة.

أما القسم الثاني فيتمثل في قوات الأمن الداخلي، والمؤلفة من الضبطية، والبوليس فرسان، والمشاة، والتي ظهرت تشكيلاتها بعد عام 1841م، وكانت مهامها تتمحور حول فرض الأمن الداخلي، وفض المنازعات، ومطاردة اللصوص وقطاع الطرق، والإشراف على السجون، وحماية الدوائر الحكومية.

3.4.2 الدائرة الشرعية

عنيت هذه الدائرة بإدارة الشؤون الشرعية، والقضائية، والمقدسات الإسلامية في المدينة، وقد شكل القاضي أو النائب الشرعي رأس الجهاز الشرعي في مدينة القدس والمناطق التابعة لها، ويحتل درجة رفيعة في سلك القضاء في الدولة، ويعد من أبرز ثمانية قضاة في الدولة، وكان منصبه مقصورا على القضاء الحنفي، لكون الدولة حنفية المذهب، ويتم تعيينه مدة عام، من قبل قاضي عسكر الأناضول، الذي أشرف على سلك القضاء في مشرق الدولة، ويتصل اتصالا مباشراً بشيخ الإسلام في اسطنبول.

وغالباً ما كان القاضي من خارج مدينة القدس، بينما وصل القضاة من أبناء المدينة إلى مناصب عالية في الدولة، أمثال موسى الخالدي، الذي تولى منصب قاضي عسكر

الأناضول، الذي كان يتولى الإشراف على جميع القضاة في مشرق الدولة العثمانية. وعهد إلى قاضي القدس تعيين قضاة ألوية الأقسام الجنوبية من بلاد الشام، كما تولى النظر في القضايا الخاصة بالحياة العامة التي تعرض عليه مباشرة، بغية خدمة أغراض سامية، غايتها خدمة الدين والدولة، حيث يحضر طرفا العقد إلى أروقة المحكمة الشرعية، التي تمركزت في المدرسة التنكزية، ويعرضان أمرهما أمام القاضي.

ويصدر القاضي الحكم بناء على أقوال المتقاضين، والقرائن الدالة، كمشاهدة العين المنقول المختلف عليه في محضر المجلس الشرعي، وساحة المحكمة: كالنقود، والبضائع، والكتب، والحيوانات، وغيرها، وبيانات الشهود إذا اقتضى الأمر، ويتم الاستعانة برأي المفتي لتقديم الحكم المناسب، والمترجم لنقل اللغة الأجنبية إلى العربية، وإصدار الحكم المناسب في القضية، بينما يقوم الكاتب بتسجيل العقود، والمداولات التي جرت في محضر العقد، وإذا اقتضت الأمور فإنه يخرج لمعاينة دقائق الأمور على ارض الواقع، ولهذا نجد في سجلات المحاكم الشرعية العديد من المحاضر، التي عقدت خارج أروقة المحكمة الشرعية، فعقدت على سبيل المثال في الكروم، والبساتين، والمدابغ، والمصابن، والمعاصر، والساحات العامة، والدكاكين، والحمامات....... .

ونتيجة للتسامح، والعدالة البينة في فصل الأحكام، عمد العديد من أهل الذمة إلى عرض قضاياهم على قاضي القدس في المحكمة الشرعية، بدلاً من المحاكم الطائفية المختصة بهم، وتوثيق قيودهم في سجلاتها، للحيلولة دون خراب أصولها، والاستشهاد بها عند الضرورة، وتوكيل القاضي بفض المنازعات التي كانت تنشب فيما بينهم.

أما المفتي الحنفي فيحتل المرتبة الثانية بعد القاضي، وكانت مهمته إصدار الأحكام التي يمكن أن يستأنس برأيه فيها، وبخلاف القاضي كان يعين مدى الحياة، ومن أعيان علماء مدينة القدس، وبمرور الزمن أخذ هذا المنصب يتكرس بيد عائلة آل الحسيني، وتلاه في ذلك ناظر الحرم، وما يتبعه من خطباء، وأئمة، ومؤذنين، وفراشين، وحراس، وخدم، ومدير عموم الأوقاف، الذي يشرف على جميع الأوقاف الخاصة بالقدس، والذرية، والخيرية المنقولة وغير المنقولة، ونقيب الأشراف، الذي ركز جل اهتمامه على النسب الهاشمي.

[redacted]

1.3 الحياة الاقتصادية

عزيزي الدارس، كان للحياة الاقتصادية بقطاعاتها المختلفة، وهي: الزراعة، والحرف، والتجارة، والوظائف، والخدمات، دور كبير في الحياة العامة للمدينة إبان العهد العثماني. فعلى صعيد الزراعة، لم يقتصر اهتمام السكان بزراعة نباتات الزينة، التي ظهرت في ساحات بعض البيوت القديمة وشرفاتها، والكروم والبساتين المنتشرة في محيط الأسوار، فبعد خروج المشاريع العمرانية خارج الأسوار أصبح ظهور الحديقة المنزلية جزءاً أساسياً من البيت المقدسي، ومع تشكيل المجلس البلدي عام 1863م، بات تزيين المدينة من أهم مقاصده، وذلك بزراعة نباتات الزينة في الشوارع الرئيسة، وإقامة الحدائق، والمتنزهات العامة. وبانتعاش الأمن أخذ السكان يخرجون إلى كرومهم، ويقيمون في أكنفها في أثناء مواسم القطاف، وهو ما شجع عدداً كبيراً من أثرياء المدينة ووجهائها على شراء مساحات واسعة من أراضي القرى المجاورة؛ لإقامة المزارع والكروم.

وفي إطار ارتفاع ربحية الأراضي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وزيادة الطلب على منتجاتها من الحبوب، والحمضيات، والقطن، وغيرها من المحاصيل في الأسواق: المحلية، والإقليمية، والدولية، عمد أفندية القدس وتجارها إلى استثمار أموالهم في شراء الأراضي الزراعية في السهل الساحلي، والأغوار، وشرق الأردن، واستغلالها من خلال العمال الزراعيين، ومن أبرزها ملكية آل الحسيني، التي تجاوزت ال(50000) دونم، والتي انتشرت في (15) قرية وديرة بدوية، وملكية عثمان النشاشيبي التي انتشرت في(9) قرى، وآل بطاطو التي انتشرت في(7) قرى، وغيرهم. (ابو بكر 1996م).

وعلى صعيد آخر عني سكان المدينة باقتناء الحيوانات العاملة من الخيول، والحمير، والبغال؛ لكونها المصدر الأساسي لطاقة الحمل والجر، وتشغيل الطواحين ومعاصر الزيتون. إلا أن دورها بدأ في التراجع مع تطور وسائل النقل، ودخول المحركات الآلية العاملة بطاقة البخار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومما يؤيد ذلك إقدام بلدية القدس على بيع حيوانات الجر الخاصة

بها، والتي كانت تستخدمها في عمليات نقل المسافرين على طريق يافا - القدس بعد تدشين الخط الحديدي عام1892م. (شولش، 1988م).

وكان لقطاع الحرف والصنائع إسهاماته الواضحة في الحياة الاقتصادية المقدسية، فكانت أسواقها وزوايا محلاتها متحفا للحرف والصنائع العاملة على إنتاج السلع والبضائع: كالخبز، والكعك، وعصر الزيتون، والنسيج، والسيرج، والحلويات، والأحذية، والأثاث، والصابون، والتحف التذكارية، وغيرها. وإذا كان الصابون النابلسي لا ينافسه منافس في الأسواق المحلية والدولية، فإن الصابون المقدسي حقق قدم السبق في نفحاته المقدسة، فصمم بشكل دائري، ورسم على سطحه شعار الهلال أو جبل الزيتون، أحد جبال المدينة، وعطر بالمسك والعنبر لإكسابه رائحة طيبة، وهذا جعله يحظى باهتمام الحجاج والزوار الوافدين لزيارة الأماكن الدينية المقدسة وتقديرهم.

ومع دخول الآلة العاملة بطاقة الهواء والبخار ثم البترول إلى حيز العمل، بدأت الحرف التقليدية بالاختفاء شيئا فشيئا من الأسواق، وجاءت بدايتها على يد إبراهيم باشا عام 1839م، عندما عمد إلى إنشاء مطحنة تعمل بطاقة الرياح إلى الغرب من المدينة، بهدف طحن ما يحتاجه الجيش من الدقيق، وفي الوقت نفسه سمح لأهالي المدينة بطحن حبوبهم فيها، ولم تمض عدة شهور حتى قام دير الأرمن ببناء طاحونة مشابهة لها في ساحة ديرهم، وما أن شارف القرن التاسع عشر على الرحيل حتى شرعت المدينة بوضع الخطط الطموحة، والعطاءات، والمزايدات لإدخال التيار الكهربائي إلى حيز الخدمة. (سجلات محكمة القدس الشرعية، 1516-1918م، العارف، 1996م).

كانت الصنائع والحرف في القدس منذ بداية العهد العثماني تحت إشراف الطوائف الحرفية، حيث وجد في القدس في أثناء تلك المدة ما يقرب من (40) طائفة: كالعطارين، والخبازين، واللحامين،....... ويشرف على كل طائفة منها شخص يحمل لقب شيخ، وينتظم رجالات الطائفة في ثلاثة مستويات، وهم: المعلم، والصانع، والأجير، إلا أن هذا التنظيم الحرفي تراجع مع ظهور النقابات المستوحاة من النظم الغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

أما القطاع الاقتصادي الثالث، الذي استحوذ على عدد كبير من سكان المدينة، فيتمثل في

قطاع التجارة بفعالياتها: المحلية، والإقليمية، والدولية. ففي عام 1672م وصل عدد الدكاكين المنتشرة في الأسواق الداخلية للمدينة إلى (2045) دكاناً. وفي عام 1876م أحصى المستشرق الإنجليزي وارن (Warren) ما يقرب من (1320) دكاناً. انتشرت في أسواق البلدة القديمة المتخصصة ببيع سلعة محددة، وغير المتخصصة. ووصلت في مجملها إلى ما يقرب من (10) أسواق، علاوة على سوق الجمعة الخاص بالحيوانات، والذي غالباً ما كان يعقد خارج المدينة قبالة الزاوية الجنوبية الغربية لسور القدس، بالقرب من بركة السلطان. بالإضافة للأسواق التي كانت تعرض في الساحات العامة، وعلى جنبات الطرق المؤدية إلى الأماكن الدينية المقدسة في مواسم الزيارة والأعياد. وكانت مركزاً لتسوق أهالي المدينة والقرى المحيطة بها، وجموع الحجيج الوافدة لزيارة الأماكن الدينية المقدسة.

ومع انتشار حركة العمران خارج البلدة القديمة، امتدت حركة بناء الأسواق قبالة باب الخليل، وعلى جانبي الطريق المؤدية إلى يافا، ونابلس. ونتيجة لسعتها، وأناقتها، وقربها من مراكز انطلاق العربات، وسكة القطار، وساحة الميدان، أخذت باجتذاب قطاع واسع من حركة التسوق الداخلية. كما أسهم موقع القدس كمحطة نشطة على الطريق التجاري العابر بين بلاد الشام، ومصر، والحجاز، في تنشيط حركة التجارة الإقليمية. فصدرت إلى مصر منتجاتها من الحبوب، والصابون، وما جلبه تجارها من منتجات حيوانية من البوادي الأردنية. واستوردت منها الأرز، والمنسوجات، واستوردت من حلب ودمشق الملابس، ومن الحجاز التوابل، ومن العراق التمور، ومن إيران البسط والسجاد. بينما صدرت الحبوب والصابون إلى الأسواق الأوروبية، والتحف التذكارية، واستوردت من أوروبا الآلات، ومواد البناء من اسمنت، وبلاط، وحديد، وقرميد، وأثاث خشبي، ومشتقات البترول من الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت الحركة التجارية في الأسواق، مع بداية العهد العثماني، تحت إشراف المحتسب من مراقبة للأسعار، وجودة السلع، والآداب العامة، والنظافة، في حين تولى الإشراف على الحرف والصنائع شيخ الطائفة. إلا أن دور المحتسب اختفى بعد تشكيل المجلس البلدي في المدينة عام 1863م.

وفي سبيل تنشيط الحركة التجارية في الأسواق الأجنبية شاركت القدس بفاعلية في معارض الإنتاج والتسوق الدولية التي نظمت في أوروبا، وعمدت إلى فتح الوكالات التجارية في الموانئ

الأجنبية، كما عملت على فتح البنوك التجارية في المدينة، وتنشيط حركة الصيرفة، وتحويل الأموال. (شولش، 1988م).

أما قطاع الوظائف والخدمات فلا يقل أهمية عن القطاعات الإنتاجية المتقدمة من حيث عدد العاملين فيه، ونسبة مساهمته في الحياة الاقتصادية، ويرجع ذلك إلى كثافة الدوائر الحكومية القائمة في المدينة، ومساهمة أبناء المدينة فيها مساهمة فاعلة، ووجود المسجد الأقصى المبارك، وغيره من المؤسسات المحلية الاجتماعية والثقافية، ففي عام 1672م، على سبيل المثال، كان يعمل في المسجد الأقصى (800) شخص، تحت إشراف شيخ الحرم، يتقاضون رواتب معينة من الدولة، وعائدات الأوقاف المرصودة لمصالحه، والهبات، والأعطيات التي يقدمها لهم الحجاج والزوار، إضافة إلى الصرة العثمانية، التي كانت تأتي من اسطنبول سنوياً، والصرة المصرية، وكانتا توزعان على أهالي المدينة، وفي مقدمتهم خدمة الحرم، والمؤسسات التابعة له، ناهيك عن الأماكن الدينية المقدسة الأخرى، وما تم فتحه من مؤسسات تبشيرية، والتي حتمت على المستثمرين إقامة قطاع واسع من الخدمات، وفي مقدمتها الخانات ثم الفنادق. (سجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية).

أسئلة التقويم الذاتي (3) ؟

بين أهم ركائز الحياة الاقتصادية في مدينة القدس إبان العهد العثماني.

2.3 الحياة الاجتماعية

1.2.3 عدد السكان

بلغ عدد سكان المدينة في القرن السادس عشر ما يقرب من (14000) نسمة، غالبيتهم من العرب المسلمين والمسيحيين، بينما لم يتجاوز عدد اليهود في ذلك الحين (300) نسمة، وبالرغم من قلة عددهم اشتكى اليهود عام 1572م المغالاة في أعدادهم، وهو ما حمل السلطان على إعادة إحصائهم، حيث تبين أن عددهم لم يتجاوز ال(600)

نسمة. كانوا في معظمهم من طائفة السفرديم. التي أخرجت مع المسلمين من الأندلس عام 1492م. بينما وصل عدد الطائفة اليهودية عام 1800م (2000) نسمة من أصل مجموع السكان ال(8750) نسمة. ويرجع تذبذب المجمل العام لعدد السكان منذ بداية العهد العثماني وحتى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مجموعة من العوامل. ومن أهمها:

1. انتشار الأمراض الجارفة مثل: الكوليرا. والطاعون. والسل. والحصبة.
2. تدني مستوى الخدمات الطبية مقارنة بعدد السكان.
3. عصف الكوارث الطبيعية. والمتمثلة في شيوع موجات الجفاف. وهطول الأمطار الغزيرة. وتراكم الثلوج. وغزوات أسراب الجراد. وضربات الصواعق. والزلازل.
4. اضطراب حبل الأمن والاستقرار. الذي كان يدفع قطاعا من السكان إلى الهجرة.

ومع مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر. أخذ النمو السكاني في المدينة يعود للازدهار من جديد. نتيجة انتهاء بعض العوامل التي أثرت فيه من قبل أو تراجع وطأتها إلى حد كبير. وهو ما تظهره بيانات الجدول الآتي:

النمو السكاني في مدينة القدس 1850-1918

الرقم	السنة	عدد السكان العرب	عدد السكان اليهود	المجموع
.1	1849	4946	895	5841
.2	1864	9000	9000	18000
.3	1870	11000	11000	22000
.4	1876	13030	12000	25030
.5	1880	14000	17000	31000
.6	1886	14354	17155	21459
.7	1890	17000	25000	42000
.8	1896	17308	28122	45430
.9	1900	20000	35000	55000
.10	1904	20000	40000	60000
.11	1910	25000	45000	70000
.12	1913	30000	60000	90000
.13	1917	30000	10000	40000

إذ تظهر بيانات الجدول النمو المتسارع للسكان بين أعوام 1850-1913م، ويرجع ذلك لارتفاع مستوى المعيشة، وتطور الخدمات الصحية، واستتباب الأمن، والاستقرار، والهجرة الوافدة من جميع أنحاء العالم الإسلامي، بالإضافة للهجرة الأجنبية، وفي مقدمتها الهجرة الصهيونية.

أما انخفاض عدد السكان في السنوات بين 1914-1918م، فيرجع إلى الظروف الطبيعية الصعبة التي خيمت على المدينة في أثناء الحرب العالمية الأولى، بفعل انتشار وباء الكوليرا عام 1916م، وشيوع الجفاف، وغزوات أسراب الجراد الكثيفة التي رعت كل خضراء ويابسة، علاوة على الأحكام العرفية التي فرضتها الدولة وتقضي بإغلاق قنصليات دول الحلفاء، وحمل رعاياها من المستوطنين على الرحيل أو التجنس بالجنسية العثمانية، وإعلان النفير العام - سفر برلك -، وسوق الرجال القادرين على الخدمة العسكرية، والبالغين (16-60) سنة من أعمارهم، إلى ميادين القتال.

2.2.3 العلاقة بين السكان

اتسمت العلاقة بين السكان بالتسامح والهدوء وحسن الجوار، وما يؤيد ذلك مشاهد الحياة اليومية العامة المسطرة في سجلات المحكمة الشرعية، فظهر أهل الذمة في أروقة المحكمة الشرعية مدعين، ومدعى عليهم، ومسجلين لقيودهم الشخصية في المحاكم الإسلامية، مدفوعين بنزاهة القضاء، وعلاقاتهم الوثيقة بالمسلمين، وأن الخلافات التي كانت تنشب بين حين وآخر بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة، غالباً ما جاءت في إطار الحركة العامة اليومية.

وقد تعززت علاقة التسامح والهدوء بين السكان في ضوء السياسة العامة للدولة العثمانية، التي حرصت على إشاعة روح التسامح والسكينة بين رعاياها، وذلك بالرغم من التوتر السائد بين الدول الأوروبية وروسيا، ومحاولات تلك الدول التدخل في شؤونها الداخلية، بحجة حماية الطوائف غير الإسلامية، فعندما خرج المسلمون من الأندلس، سمح السلطان العثماني لمن خرج معهم من اليهود بالإقامة في أراضي الإمبراطورية

العثمانية، بما فيها مدينة القدس. كما سمح لرعايا الدول الأجنبية زيارة الأماكن الدينية المقدسة، وعزز إجراءات حمايتهم من خلال قوات الجيش والأمن، والزعامات المحلية التي يمرون عبر أراضيها.

وفي عهد التنظيمات العثمانية التي انطلقت عام 1839م، وكانت بغية النهوض بالدولة إلى مصاف الدول المتقدمة، أكدت المراسيم والقوانين العثمانية ترسيخ دعائم العلاقة بين الطوائف. ففي خضم احتفالات السكان بمناسبة انتصار الجيش العثماني، والفرنسي، والبريطاني في حرب القرم على الجيش الروسي، أصدر السلطان إرادته عام 1856م، القاضية بالمساواة بين جميع الرعايا في الحقوق والواجبات، وبموجب ذلك أصبح بإمكان أبناء الطوائف غير الإسلامية أداء الخدمة العسكرية في صفوف الجيش العثماني، وفي المقابل سقطت عنهم الجزية، ودفع البدل العسكري لكل من رغب بعدم الخدمة.

ولم يعكر صفو هذه العلاقة إلا حشودات الحملة الصليبية السلمية التي شنتها، وعلى نطاق واسع، الدول الأوربية على الدولة العثمانية بعامة ومدينة القدس بخاصة، منذ رحيل الحكم المصري عن بلاد الشام عام 1841م، بهدف إيجاد موطىء قدم لها في المدينة لممارسة أنشطتها: الاستخبارية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتبشيرية، والثقافية، والعطف على المشروع الصهيوني في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، حيث عمدت الدوائر الاستعمارية الأوروبية والصهيونية إلى تجنيد بعض فاسدي الضمائر من المسلمين وغير المسلمين في صفوف الطابور الخامس، الذي بات يعمل لصالحها في شراء الأراضي، والالتفاف على أنظمة الدولة العثمانية وقوانينها.

3.2.3 التعليم

استمرت المؤسسات التعليمية الموروثة عن العهدين: الأيوبي، والمملوكي، في أداء دورها إبان العهد العثماني، وفي مقدمتها المسجد الأقصى، الذي أدى دوراً فاعلاً في الحركة العلمية، إلى جانب ما انتشر في محيطه من المدارس، والتكايا، والزوايا، والربط، والكتاتيب، ويرجع ذلك إلى ما يأتي:

1. مكانة المدينة المقدسة التي غدت محطة جذب للعلماء والدارسين من العالم الإسلامي.
2. تسامح الدولة مع جميع المذاهب بالرغم من اعتمادها المذهب الحنفي مذهباً رسمياً.
3. حجم الأوقاف والأعطيات التي رصدت للإنفاق على المؤسسات التعليمية.
4. حرص العائلات المقدسية المتنفذة على الحفاظ على امتيازاتها المادية والمعنوية.
5. تنافس الولاة على دعم الحركة التعليمية، ونيل الأجر والثواب.

إلا أن الأوضاع العامة للدولة، وتحولها من طور الهجوم إلى الدفاع، بسبب ضعف الجيش بعد وفاة سليمان القانوني عام 1566م، انعكس على معظم المؤسسات التعليمية. وكان إصلاح نظام التعليم من أهم المجالات التي سعت الدولة إلى تحقيقه، فكان النصف الثاني من القرن التاسع عشر فاتحة عصر النهضة في التعليم الحديث في المدينة، ويرجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب هي:

1. تراث المدينة الزاخر بالمؤسسات التعليمية، والمكتبات، والمخطوطات.
2. صدور قانون المعارف العثماني عام 1869م، الذي ينظم شؤون التعليم.
3. دخول مجالات التحديث على نطاق واسع، وفي مقدمتها المطابع، والقرطاسية.
4. احتدام التنافس الأجنبي في مسألة فتح المدارس التبشيرية.
5. حرص أبناء المدينة على دراسة العلوم الحديثة في الجامعات العثمانية والأجنبية.

ونتيجة لهذه النهضة، ازدهرت الحركة الفكرية والأدبية، فظهر مجموعة كبيرة من الأطباء، والمهندسين، ورجال الأعمال، والفكر، والأدب، وفتحت المتاحف، والمسارح، وصدرت الصحف والمجلات الرسمية والشعبية، والمكتبات، والمدارس الحديثة، وفرق الكشافة، والأندية الرياضية، والتطوعية، ومن أهم المدارس التي دشنت في أثناء تلك النهضة مدرسة صهيون عند الزاوية الجنوبية الغربية من السور، وجاء ذلك على يد المطران

غوبات. ودار الأيتام السورية المتخصصة في تعليم الصنائع والحرف عام 1860م. والمدرسة الميمونية القائمة داخل السور على مقربة من باب الساهرة عام 1892م. وكلية الفرير على يد بطريك اللاتين عام 1892م. والرشيدية على يد متصرف القدس رشدي بك عام 1906م. وكلية روضة المعارف الوطنية. وهي مدرسة خاصة. تأسست عام 1906م على يد مجموعة من أعيان القدس. وهم: الشيخ حسن أبو السعود. وإسحق درويش. وعبد اللطيف الحسيني.

4.2.3 الصحة

حظيت الجوانب الصحية باهتمام المدينة على المستويين: الرسمي. والشعبي. منذ بداية العهد العثماني. ولا ننسى أنها مدينة مقدسة مفتوحة على العالم الخارجي. وأن احتمالات انتشار الأمراض والأوبئة بين السكان وزائريها يظل احتمالاً وارداً. وإزاء ذلك أولت دوائر الدولة والهيئات الشعبية الفاعلة مسألة النظافة قدراً كبيراً من العناية والاهتمام. فحرصت على تزويد المدينة بما تحتاجه من المياه على مدار الساعة. بصفته المادة الأساسية في التنظيف. وراقبت ما يصل إلى المدينة من المواد. والسلع. وما يعرض في الأسواق. ومنعت كل ما من شأنه أن يضر بالسكان والزوار. فمنعت عام 1902م إدخال السمك الوارد من مصايد قرية الجورة القائمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط مدة (3) أشهر. وذلك في أعقاب تفشي مرض الكوليرا. واعتنت بالصرف الصحي. وقمامة الأحياء. والأسواق. وفحص المياه وتحليل مدى صلاحيتها للشرب والاستهلاك المنزلي. ومعالجة البرك والآبار بالمواد المطهرة والمعقمة. ورش شوارع المدينة بالماء صيفاً؛ للحيلولة دون إثارة الغبار. وتشديد الإجراءات على الوافدين إلى المدينة. وحجز كل من يشك في سلامته في الحجر الصحي المخصص لذلك مدة عشرة أيام. ومعالجة كل من هو بحاجة للمعالجة.

بالرغم من كل الإجراءات إلا أن المدينة عانت الأوبئة الجارفة. وعلى وجه التحديد الكوليرا. والطاعون. والحصبة. والسل. والتفوئيد. ونتيجة لذلك خسرت من سكانها

عام 1865/1866م، ما يقرب من (800) نسمة، في أشهر معدودة جراء تفشي وباء الكوليرا، وفي عام 1916م، ونتيجة لتفشي المرض نفسه، والذي تزامن مع شيوع المجاعة، وغزو أسراب الجراد، وظروف الحرب العالمية الأولى، خسرت ما يقرب من (50000) نسمة، أي ما يقرب من نصف سكانها، ومن المرجح أن تتضح حجم الخسائر إذا ما وضعنا ذلك إلى جانب المليون ونصف نسمة، الذي خسرته بلاد الشام بفعل ذلك المرض.

وبموجب ذلك، اهتمت المدينة بالمؤسسات الطبية الموروثة عن العهد المملوكي، ناهيك عن الطب الشعبي، وقطعت شوطاً كبيراً على طريق الطب الحديث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما أخذ أبناؤها بشد الرحال لدراسة الطب والصيدلة في الجامعات الأوروبية، كما سمحت الحكومة العثمانية للمؤسسات التبشيرية، والقنصلية العاملة في القدس، بفتح المشافي الحديثة، وما أن شارف الحكم العثماني على الرحيل حتى كانت المدينة تنعم بخدمات العديد من المشافي، ومن أهمها ما يأتي:

1. الروسي: يقع في المسكوبية قبالة باب الخليل، وافتتح عام 1859م.
2. الموراڤي: وهو متخصص بأمراض الجذام، وافتتح عام 1867م.
3. الفرنسي: قبالة الباب الجديد، وافتتح عام 1880م.
4. مار يوحنا: وهو متخصص بأمراض العيون، وافتتح عام 1882م.
5. الإنجليزي: افتتح وسط الأحياء اليهودية عام 1887م.
6. البلدي: يقع في حي الشيخ بدر، وافتتح من قبل البلدية عام 1891م.
7. الألماني: يقع على مقربة من باب العامود، وافتتح عام 1894م.
8. الايطالي: يقع على مقربة من باب الخليل، وافتتح عام 1910م.
9. روتشيلد: يقع للغرب من باب الخليل، وتحول اسمه بعد عام 1918م إلى هداسا.
10. المجانين: وهو خاص بالمستوطنين اليهود.

5.2.3 التغلغل الأجنبي

عزيزي الدارس، تسارعت وتيرة التغلغل الأجنبي في المدينة بصورة لافتة للنظر بعد عام 1831م، وجاء ذلك في إطار الأزمة الدولية التي فجرتها الحملة المصرية على بلاد الشام، أو ما اصطلح عليه ب«المسالة المصرية»، وموقف الدول الكبرى منها، والذي تمحور في رفضها الشديد لما قام به محمد علي باشا من تحرك عسكري ضد الدولة العثمانية، وذلك بهدف منع قيام دولة قوية على أنقاضها تهدد مصالحها الاستعمارية، وقد حاول محمد علي باشا عام 1838م، التأثير في بنيته بالسماح لرائدته بريطانيا بفتح أول قنصلية لها في المدينة، إلا أن محاولته باءت بالفشل.

ومع تطور الازمة المصرية، ولجوء التحالف الدولي للعمل العسكري لفرض الانسحاب، وما أعقبها من فوضى واضطرابات، فقد تأخرت موجة النشاط القنصلي إلى عام 1842م، وكانت رائدتها القنصلية البروسية، ولم تخف حدتها إلا بعد أن فتحت الغالبية العظمى من الدول الأوروبية ممثليات قنصلية لها، وكانت أنشطتها العلنية والسرية تتمحور حول رعاية مصالح بلادها: الاقتصادية، والاجتماعية، وممارسة الأنشطة الاستخبارية في المقاطعات الجنوبية من بلاد الشام، ومراقبة الأنشطة الدولية التي قد تخل بسياسة التوازن الدولية القائمة على منع أي دولة من الانفراد بشؤونها.

أما الحركة الصهيونية فقد حاولت إيجاد موطىء قدم لها في المدينة إبان الحكم المصري، وذلك من خلال مطالبها بتملك العقارات في المدينة، والسماح لها بتبليط زقاق المغاربة العائد لأوقاف المغاربة، وفي عام 1854م حصلت على مرسوم سلطاني لشراء قطعة من الأرض لبناء مشفى لمرضى الجذام، إلا أن الأرض استخدمت لبناء مستوطنة لإيواء المهاجرين اليهود، فكانت النواة الأولى للاستيطان الصهيوني، والذي تمكن من بناء ما يقرب من(36) مستوطنة في الزاوية الشمالية الغربية من البلدة القديمة بحلول عام 1918م. (ابو بكر 1996م).

وفي مطلع القرن العشرين، أخذت سياسة التوازن الدولي تميل لصالح الاستعمار البريطاني، ويتجلى ذلك في إعلان وعد بلفور في 2/11/1917م، وزحف الجيش البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي عبر محور قناة السويس – العريش - غزة، وذلك في أثناء فعاليات الحرب العالمية الأولى،

والذي توج انتصاراته باحتلال القدس يوم 9/12/1917م وتقديمها هدية رمزية للعالم الغربي في احتفالات رأس السنة الميلادية، وتحقيق ما عجز عنه ملك بريطانيا ريتشارد قلب الأسد «Richard Lion Heart» في العصور الوسطى في حملته الشهيرة لاسترجاع القدس من أيدي المسلمين، وأسدل الستار على هجمات الحروب الصليبية السلمية التي شنتها الدول الكبرى للسيطرة على المدينة عبر الغزو: السياسي والاقتصادي، والاجتماعي.

وقد أدركت الدولة العثمانية أبعاد التوجهات الاستعمارية نحو القدس، فعمدت إلى مسايرة الضغوط السياسية التي يمارسها سفراء تلك الدول، وحشودات جيوشها على حدودها من جهة، وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى، فماطلت في إصدار اعتمادات فتح القنصليات، والأذونات الرسمية اللازمة لشراء الأراضي، وبناء المؤسسات التبشيرية، والثقافية، والاقتصادية، وشددت من رقابتها الإدارية، وآزرت المواقف الوطنية للسكان في رفضها للمشاريع الاستعمارية، كما وثقت علاقاتها بألمانيا المعارضة لسياسة فرنسا، وبريطانيا، وروسيا الطامعة في أراضيها.

وباشتعال الحرب العالمية الأولى عام 1914م، وضعت الدولة العثمانية حداً لسياستها المرنة، فانحازت إلى حلف الوسط في مواجهة دول الحلفاء، وبموجب ذلك أعلنت حالة الطوارئ - الأحكام العرفية - التي عملت على تجميد النشاط القنصلي باستثناء قنصليتي أمريكا وألمانية، بفعل حياد الأولى في الحرب حتى منتصف عام 1917م، وتحالف الأخرى مع الدولة العثمانية، إلى أن تم إغلاقهما ورفع العلم العثماني عليهما في 15/11/1917م، وذلك بعد أن غدت المدينة هدفاً للعمليات العسكرية البرية والجوية البريطانية.

4. النشاط العمراني

عزيزي الدارس، تركز النشاط العمراني في المدينة منذ عام 1516م داخل التحصينات الدفاعية، ولم يكن هناك أي مبان خارج السور نظراً لتوافر الأراضي اللازمة للبناء من ناحية، واضطراب الأمن من ناحية أخرى، واستمر ذلك حتى عام 1856م وجاء البناء خارج السور مدفوعا بعدة عوامل هي:

1. زيادة عدد السكان نتيجة للزيادة الطبيعية والهجرة الوافدة.

2. تحسن ظروف الأمن نتيجة لفرض نظام الحكم المركزي.

3. ارتفاع مستوى المعيشة بفعل تحسن مستويات الدخل، وتطور المجالات الاقتصادية.

4. دخول مجالات التحديث بما فيها مواد البناء المستوردة من الأسواق الأجنبية.

5. تطور فنون العمارة والهندسية المحلية والوافدة.

تدريب (2)

عدد الأسباب التي دفعت الحركة العمرانية في القدس إلى خارج الأسوار.

وبالرغم من انتشار البناء خارج الأسوار في الزاويتين: الشمالية والغربية من البلدة، إلا أن أبوابه ظلت تغلق ليلا بعد غروب الشمس، ولا تفتح لأي إنسان يأتي متأخراً، فيضطر قضاء ليلته خارج السور معرضا نفسه لهجمات اللصوص والحيوانات المفترسة. كما كانت تغلق عند صلاة الجمعة مدة ساعتين، حتى يتمكن الجنود المرابطون في القلعة على الأبراج والأبواب من الذهاب إلى المسجد الأقصى؛ لأداء فريضة الجمعة، واستمر ذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر، وحرصاً على التواصل بين الأحياء القديمة والجديدة فتحت خوخات صغيرة في الأبواب للعبور الشخصي.

وتتجلى مظاهر النشاط العمراني فيما يأتي:

1.4 التحصينات الدفاعية

عنيت الدولة العثمانية منذ عام 1516م بتحصين المدينة حيث شاهد السلطان سليم في زيارته لها ما تعانيه جراء خراب أسوارها منذ (300) عام، والتي تم تدميرها من قبل السلطان الأيوبي المعظم عيسى عام 1291م، حتى لا يتحصن بها الصليبيون مرة أخرى، فعزم على إعماره وتجديده، إلا أن المنية عاجلته قبل ذلك، فحقق ما عزم عليه ابنه السلطان سليمان القانوني عام 1540م، وكانت غايته حماية المدينة والأماكن الدينية المقدسة من الأخطار الأجنبية، وتعديات اللصوص، وغارات القبائل البدوية، ورصد القانوني لهذه الغاية ضرائب ألوية

لسطين علاوة على تبرعات السكان. واستغرقت عمليات البناء (5) أعوام. وأشرف على بنائه مهندس البلاط السلطاني سنان باشا. (ارمسترونغ، 1998م).

يحتضن السور البلدة القديمة بطول (4200) م. ويستحوذ الجدار الشرقي، والجدار الجنوبي من المسجد الأقصى على (600) م منها. ويختلف ارتفاعه وسماكته من مكان لآخر. وذلك تبعاً لطبيعة التضريسية للمدينة. فيبلغ ارتفاعه في بعض المناطق (30) م. وتزيد سماكته في معظم الحالات على (2) م. حتى يتمكن الحراس من السير والتنقل أعلاه. كما ارتفع فوقه (34) برجاً للحراسة والمراقبة.

قد صمم الجزء العلوي من السور. باستحداث طاقات مستطيلة لاستخدامها من قبل الحراس في توجيه بنادقهم منها. كما يلاحظ أن الجزء العلوي قد انشيء باستعمال حجارة صغيرة الحجم مقارنة بالحجارة السفلية. وتبرز من الخارج بعض الشبابيك. وفيها فتحات رفيعة للحراسة تتسع من الداخل لتسهيل توجيه البنادق. واستخدم في بنائه الأحجار الكلسية بحجوم مختلفة. وفي مداميك منظمة. واستخدمت المونة الجيرية في لحامتها. مما أضفى عليه قوة ومتانة.

يتخلل السور (7) أبواب مفتوحة. وهي: الساهرة. والعامود. والجديد أو عبد الحميد من الناحية الشمالية. والمغاربة. والنبي داود من الناحية الجنوبية. والأسباط أو ستنا مريم من الناحية الشرقية. والخليل من الناحية الغربية. وكانت قد صنعت بواباتها من الخشب. وصفحت بالحديد ما عدا باب الساهرة. وباب الجديد اللذين تم تجديدهما بأبواب حديدية إبان عهد الانتداب البريطاني. كما يتخلل السور أربعة أبواب مغلقة هي: المفرد. والمزدوج. والثلاثي من الناحية الجنوبية. وقد تم إغلاقها لكونها في قبلة المسجد الأقصى. ولا حاجة للعبور منها. بينما أغلق باب الذهبي أو باب التوبة أو الرحمة لوضع حد لإشاعة مفادها أن الصليبيين سيعودون. يحتلون المدينة من جديد. ويدخلون من خلاله. (نجم، 1983، المهندي، 1998م).

حرصاً على استمرار السور في أداء دوره. فقد تم إيقاع أشد العقوبات بكل من حاول المس به من السكان. كما منع الأجانب من الاقتراب منه. وعدم السماح لهم بدخول المدينة إلا بعد الحصول على إذن مسبق من الحاكم العام. وكان يتحتم على الزائرين تسليم أسلحتهم عند الأبواب.

والترجل عند دخول البوابات. الأمر الذي يفسر فتح ثغرة في السور عام 1898م. ليمر عبرها ضيف السلطان عبد الحميد الثاني إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني. وهو على صهوة جواده. ومن ثم عقد باب جديد بعد انقضاء الزيارة تحت اسم الباب الجديد أو باب عبد الحميد. وبذلك ارتفع عدد الأبواب إلى (7) أبواب. (ابو بكر 1996).

ويتصل بسور القدس من الداخل سور حجري يفصل المسجد الأقصى عن الأسواق والمباني السكنية من الناحيتين: الشمالية. والغربية. ويتخلله من الناحية الشمالية ثلاثة أبواب مفتوحة. هي: باب الرحمة. وباب حطة. وباب فيصل. وستة أبواب من الناحية الغربية مفتوحة. هي: باب الغوانمة. وباب الناظر وباب الحديد. وباب القطانين. وباب السلسلة. وباب المغاربة.

وعززت الدولة تحصينات المدينة الخارجية والداخلية بإعادة إعمار قلعة القدس. وهي من بناء السلطان المعظم عيسى الأيوبي. وتقع على يمين الداخل من باب الخليل. ونهضت على مرتفع صخري يعلوها (5) أبراج للمراقبة والحراسة. ومن أهمها: برج غزة. والنبي داود. والكنخذا. وتتألف من مسجد. ومنامات للجند. وسجن. وعدد من الخازن والمستودعات اللازمة لتخزين التموين وعتاد المدفعية. والاصطبلات. (اليعقوب. ناجية. 1986م).

وتمركزت فيها وحدات الجيش والمدفعية العثمانية. وقد أولتها الدولة أهمية كبيرة لكونها أحد المراكز الاستراتيجية الرئيسة للدفاع عن المدينة وحفظ سيادتها في وجه أي عدوان خارجي أو اضطرابات داخلية. وغالباً ما قامت الهيئات الحاكمة بإجراء الترميمات المستمرة. وتفقد مستودعات التموين والعتاد. واستخدمت المنطقة المقابلة لباب الخليل. والمعروفة بالميدان. موضعاً لعرض الجيش والتدريب ورماية المدفعية.

أما القلعة الثانية فتتمثل في المدرسة الجاولية القائمة عند الزاوية الشمالية الغربية من المسجد الأقصى. واتخذت مقراً لتمركز وحدات الأمن. ومحبساً لسجن الخارجين على القانون. وتمثل أحد الحصون القديمة العائدة إلى العهد الروماني. وقد عرفت بالجاولية نسبة إلى موقفها الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة. والقدس (745-683هـ). وقد جعلها مدرسة عام 715هـ/1315م. فسميت باسمه. وفي عام 800هـ/1400م. اتخذ منها مقراً لقوات الأمن حتى نهاية العهد العثماني. (العارف. 1996. نجم. 1983).

أما القلعة الثالثة فتقع وسط البلدة القديمة إلى الجنوب من خط باب الناظر، أحد أبواب الحرم، وهي المقر العام للحاكم العام في المدينة أو ما يعرف بالسرايا، وتعرف بالدار الكبيرة التي بنتها طشنق خاصكي سلطان، واستمر استخدامها مقرا لسراي الحكومة حتى بداية الحرب العالمية الأولى عام 1914م، حيث تم نقلها إلى نزل القديس بولس القائم على بعد (100) م إلى الشمال من باب العامود، وعرف النزل بدار رعايا شميدت للألمان الدومكان، وقد شرع ببنائه عام 1902م، وفرغ منه عام 1908م، (العارف، المفصل، جوهرية، ج1،ج2).

وكانت السرايا تستخدم مقرا للحكومة المحلية وأجهزتها التنفيذية المدنية والعسكرية، وعلى رأسها الوالي أو المتصرف في العهد العثماني، وفي عام 1914م نقل جمال باشا القائد العام للجيش الرابع العثماني، مقر قيادة تشكيلاته من دمشق إلى القدس، لتكون قاعدة متقدمة في حملاته إلى قناة السويس، واتخذ من عمارة الألمان القائمة على جبل الزيتون، والمعروفة باغستا فكتوريا أو المطلع، مقراً له، وقد بناها الإمبراطور الألماني وليم الثاني ''William II''، تكريما لزوجته فكتوريا عام 1910م، في المكان الذي ضرب فيه خيامه عند زيارته للمدينة عام 1898م.

وباشتعال فتيل الحرب العالمية الأولى، غدت المدينة ثكنة عسكرية ضخمة، وتزامن معه قيام أول نواة لمطار عسكري في القدس، ويقع في البقعة الفوقا إلى الغرب من جبل المكبر، وقد أعد مهبطه عام 1914م، وبذلك شهدت القدس هبوط أول طائرة في تاريخها الحديث، وعلى متنها ضابطان: الأول عثماني، والثاني ألماني، وجاء ذلك في إطار الاستعدادات الحثيثة للحرب العالمية الأولى، حيث غدت المدينة مسرحاً للعمليات العسكرية الجوية بين الطيران العثماني والألماني من جهة، والبريطاني المهاجم من جهة أخرى، وفي عشرينيات القرن الماضي، افتتح مطار القدس الدولي إلى الشمال من المدينة، وهو ما يعرف باسم مطار قلنديا في الوقت الحاضر.

2.4 الأماكن الدينية المقدسة

حظيت الأماكن الدينية المقدسة باهتمام الدولة العثمانية، ويظهر هذا في سياسة التسامح التي أرستها بين السكان على اختلاف مذاهبهم ومللهم، وحملات الإعمار

والتجديد والبناء التي أسهمت فيها بصورة مباشرة أوغير مباشرة؛ وذلك من خلال حملات الكشف، والمعاينة، والأذونات، والتسهيلات التي منحت للهيئات الرسمية والشعبية لمباشرة أعمال البناء والترميم بشأنها.

وبموجب ذلك، بادرت الدولة لإعمار المسجد الأقصى والمرافق التابعة له في مطلع العهد العثماني، وجاء ذلك في ظل حكم السلطان سليمان القانوني، واستمر بين حين وآخر، وكانت أكبر عملية إعمار قد جرت في رحابه في ظل حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وأنفقت عليها مبالغ طائلة من ميزانيتها الخاصة علاوة على عائدات أوقافه. ففي عام 1812م بلغ ما أنفق على أعمال الترميم فيه (2) مليون قرش، أي ما يوازي (20000) ليرة عثمانية، وهو مبلغ لا يستهان به في ذلك الحين.

ومن الجدير بالذكر أن اهتمام الدولة بالمسجد الأقصى لم يغفل المساجد والجوامع المنتشرة، والزوايا، والمقامات، والترب في محيطه، كما أنها لم تهمل الأماكن المقدسة للديانات السماوية الأخرى، فأشرفت على تشكيل لجان الكشف، والتنظيم، والإعمار الخاصة بترميم كنيسة القيامة، وإعمار الكنائس، والأديرة، ومنحت الأذونات الرسمية التي تبيح لها القيام بذلك، والتدخل المباشر وغير المباشر لحسم أي خلافات قد تنشب بين الطوائف المختلفة. أما بالنسبة للطائفة اليهودية فكانت جموع مصليها تقف على قمة جبل المشارف أو الزيتون إلى الشمال الشرقي من المدينة لإقامة شعائرها من بعيد، ونظراً لانعدام الأمن، وتعرضهم لغارات القبائل البدوية، سمح لهم بالوقوف أمام باب العمود، وإزاء ذلك استصدر لهم المهندس المشرف على بناء السور مرسوماً من السلطان سليمان القانوني يقضي بالسماح لهم بأداء صلواتهم في زقاق المغاربة المؤدي إلى حائط البراق، مقابل دفع مبلغ معين إلى متولي وقف أبي مدين الغوث، لكون الزقاق جزءاً من أوقاف المغاربة في القدس، إلا أن تغلغل الحركة الصهيونية في المدينة حمل أثرياءها على تقديم العروض لشراء الزقاق وتبليطه، الأمر الذي أثار حفيظة المسلمين بعامة، ومتولي الوقف بخاصة.

3.4 المباني السكنية

اعتمد السكان في بناء بيوتهم داخل السور على المواد المحلية المكونة من الجير، والحجارة، والتراب، والفخار، والرماد، والقش، ولم تعرف القدس الاسمنت إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتتلاصق الأبنية بعضها ببعض، وتظهر كأنها نسيج عمراني واحد في ارتفاع معماري متناسق، تحكمه بساطة التصميم، والنقاء الهندسي الإسلامي، والمواد الإنشائية المحلية، والتهوية، والتشمس الجيد، وإزاء ذلك لم ترتفع المباني ارتفاعاً كبيراً، نظراً لعدم قدرة موادها على التحمل، ناهيك عن حرص السكان على عدم كشف جيرانهم، وحجز الهواء والشمس عنهم. أما السقوف فجاءت مقببة، ومعقودة من الحجارة، وشبابيكها صغيرة قادرة على إدخال حزم الضوء والتهوية المناسبة، وحجب أشعة الشمس المباشرة صيفاً، وتطل بعض الأبنية على الطرق من خلال مشربيات خشبية تساعد على التهوية، وتستعمل للجلوس والاستراحة، ومشاهدة الطريق دون كشفها من المارة.

وتتجلى بساطة التصميم في المساكن بتوافر الساحات الداخلية المكشوفة، والسلالم الحجرية الموصلة إلى الطوابق العلوية، والتي تعد من أهم ميزات العمارة الإسلامية، وغالباً ما ازدانت مداخلها الرئيسة بالزخارف والنقوش، وأفضت إلى ممرات خاصة أو عامة قوامها الحوش أو الزقاق أو الشارع العام، وتنتظم مجموعة البيوت في نظام محلي قوامه المحلة أو الحارة.

أما الأحياء العربية الجديدة فظهرت مبانيها مصممة وفق النظم الهندسية الحديثة، وعلى مستوى رفيع من الفخامة والأبهة، واستخدم في بنائها المواد المحلية، والمستوردة من الأسواق الأوروبية، بينما جاءت مباني الأحياء الأجنبية على النمط الغربي، ويتم تداولها على ألسنة الناس تحت اسم قومبانية، ومستوطنة، ومستعمرة.

4.4 الأسبلة

رممت الدولة العثمانية الأسبلة القديمة القائمة في المسجد الأقصى، والأسواق والشوارع الرئيسة، والبوابات، والساحات العامة، والمقابر منذ العهد المملوكي، وأضافت لها أسبلة جديدة كي تستمر في تزويد السكان والوافدين بالمياه النظيفة. ففي عام 1907م أنشأ السلطان عبد الحميد الثاني سبيل باب الخليل، وفي الوقت نفسه جدد الأسبلة القائمة في المدينة، وفي مقدمتها الأسبلة الموجودة في ساحات المسجد الأقصى.

ومع تزايد عدد السكان، وكثافة الزائرين للمدينة بسبب مكانتها الدينية، وما يحتمه طابعها الديني من طهارة واستخدام متزايد للمياه، أولت الدولة توفير المياه لها أهمية كبيرة، وإزاء ذلك عمد السلطان سليمان إلى بناء مجموعة من البرك إلى جنوب المدينة لتخزين مياه الأمطار، والعيون فيها؛ لتزويد المدينة بها عند الحاجة، وبناء قناة حجرية لنقل مياه عيون العروب إلى البرك، ومنها إلى المدينة، وفي عهد السلطان مراد تم بناء قلعة كبيرة شحنت بـ(40) جندياً، وعدد من المدافع لحراسة البرك والقناة وحمايتهما من اللصوص والعابثين.

وفي عام 1904م، عززت مياه العروب بعيون ارطاس، كما وضعت المخططات والعطاءات لاستبدال الأنابيب المعدنية بالقناة الحجرية، كما استخدم القطار في جر صهاريج ضخمة من المياه من عيون السهل الساحلي إلى المدينة.

5.4 التكايا والزوايا والأربطة

عزيزي الدارس، أسهمت المكانة الدينية والعلمية للمدينة في جذب عدد كبير من العلماء، والزهاد، والطلبة، والزوار للإقامة في أكنافها، وهو ما عزز قيام مؤسسات خاصة لخدمتهم، وإتاحة المجال لعقد حلقات الذكر والدرس، وتوفير ما يحتاجونه من منامات، وأطعمة، وفي سبيل الاستمرار في أداء دورها، رصدت على مصالحها الأوقاف على المستويين: الرسمي، والشعبي، وإزاء ذلك، غالبا ما تألفت الزاوية أو التكية أو الرباط

من غرف للدرس، ومنامات، ومستودعات لحفظ الغلال والتموين، وإيواء الحيوانات العاملة، وآبار للمياه، وفرن ومطبخ لإعداد الطعام. ومن أهم التكايا التي ما تزال قائمة حتى يومنا هذا تكية خاصكي سلطان، التي أنشأتها زوجة السلطان سليمان القانوني، الروسية الأصل، روكسلانه عام 1552م، وألحق بها مسجد، ورباط، ومدرسة، وخان، ورصد على مصالحها عائدات (27) قرية ومزرعة في فلسطين، ويشرف على إدارتها حالياً دائرة الأوقاف الإسلامية.

6.4 الترب والجبانات

ونقصد بذلك القبور والمقامات التي انتشرت داخل الأسوار وخارجها، وتقتصر داخل الأسوار على القبور الموجودة في المقامات، والزوايا، والمدارس، والأديرة، والكهوف، وساحاتها، وغالباً ما تعود لبناة تلك المؤسسات، التي وجدت فيها أو أحد أتباعها أو معلميها أو طلبتها أو واقفيها أو رجالات العلم والسياسة في العالم العربي والإسلامي، ممن أوصى بأن يدفن في رحاب المسجد الأقصى، ومنها على سبيل المثال المدرسة الخاتونية المجاورة للمسجد الأقصى، والتي تضم في رحابها ثرى الشريف حسين بن علي، وزعيم الهند محمد علي الهندي، وموسى كاظم الحسيني، وشهيد معركة القسطل عبد القادر الحسيني، وأحمد حلمي عبد الباقي رئيس حكومة عموم فلسطين عام 1948م، والاقتصادي الشهير عبد الحميد شومان.

أما الترب أو المقابر الرئيسة فتقع خارج الأسوار، وهي موزعة حسب الطوائف وأصحاب الديانات السماوية الثلاثة، ومن أهم المقابر الإسلامية مقبرة باب الرحمة القائمة بجانب السور الشرقي، قبالة باب الرحمة، ومقبرة مأمن الله القائمة إلى الجنوب الغربي من باب الخليل، ويحتضن ثراها رفاة عدد من كبار الصحابة والتابعين، والمجاهدين، والعلماء، ورجال العلم والفكر، وتعاني في الوقت حاضر حملات التدنيس والاجتثاث، واستهدافها بالتوسع العمراني.

7.4 المواصلات والاتصالات

تخلل المدينة شبكة واسعة من الطرق والممرات أو الخطوط التي مرت عبرها جميع فعاليات الحياة العامة، وتتميز بقلة عرضها، وعدم صلاحيتها لعبور السيارات، وبعضها مغطى بالعقود الحجرية التي ترجع إلى العصور الإسلامية المتوسطة، وبعضها الآخر مفتوح. وتسهيلاً للانتقال من سوق لآخر كانت الطرق المخصصة للأسواق التجارية مفتوحة بعضها على بعض، في حين كانت الممرات في المحلات أو الحارات غير نافذة لتوفير نوع من الاستقلالية لها. وحرصاً على نظافة المدينة ومنعا للأوحال شتاء، وإثارة الغبار صيفاً، فقد تم رصفها بالحجارة، وأجريت عليها أعمال الترميم والصيانة بين حين وآخر، ففي عام 1870م قام المجلس البلدي برصف الطرق بالبلاط الحجري، ووسع دائرة خدماته لتطال الطرق الجديدة الممتدة خارج الأسوار، وذلك بالاعتماد على الآليات الحديثة في عمليات الحفر والرصف.

وعلى صعيد الطرق الخارجية التي تصلها بالقرى والمدن الفلسطينية الأخرى، تمّ تعبيد طريق يافا - القدس عام 1867م، حيث أصبحت صالحة لسير العربات التي تجرها الخيول. وأعقبها تعبيد طريق نابلس - القدس 1870م، بينما دشن خط سكة حديد القدس -يافا عام 1892م، ليكون أول خط حديدي في المشرق العربي، وقد افتتحت محطته قبالة الزاوية الجنوبية الغربية من السور، الأمر الذي زاد من فعاليات عمليات النقل بين المدينة وميناء يافا، بوابتها على العالم الخارجي، وذلك في ضوء إدخال القوارب البخارية السريعة في النقل البحري، ففي عام 1909م، تمكن القطار من نقل ما يقرب من (150000) مسافر.

أما بخصوص الاتصالات فقد ربطت المدينة بالعالم الخارجي عبر البريد العادي، وذلك من خلال مكتب البوستة الملحق بأجنحة السراي، وتعززت فعالياته مع دخول مجالات التحديث، وفي مقدمتها طريق العربات، والخط الحديدي، والقوارب البخارية السريعة. وفي عام 1865م تم ربط القدس بشبكة التلغراف العثماني، وذلك من خلال مكتب التلغراف القائم في السرايا، وأصبح بمقدور القدس الاتصال باسطنبول، والقاهرة،

ودمشق، وغيرها من المدن. ووسعت دائرة الاتصال بإدخال الهاتف إلى حيز الخدمة في المدينة عام 1905م، والاتصال اللاسلكي بين وحدات الأمن. كما شكل دخول الطائرة للخدمة العسكرية عام 1914م، نقطة تحول في مجال النقل بعد عام 1918م.

8.4 الحمامات والصرف الصحي

عزيزي الدارس، انتشرت الحمامات العامة في المدينة انتشاراً واسعاً، ويرجع ذلك لمكانتها الدينية المقدسة، وحاجة الناس بعامة والوافدين بخاصة للطهارة، ناهيك عن الحمامات الخاصة التي ألحقت بالخانات، والمدارس، والزوايا، والتكايا، والفنادق، والبيوت الحديثة، التي أصبح فيها الحمام ركناً أساسياً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وكانت المياه العادمة الخارجة من تلك الحمامات، والمدابغ، والبيوت، ومراكز الحرف، ودور العبادة وغيرها إضافة إلى مياه الأمطار تجري في قنوات وسراديب مسقوفة في باطن الأرض إلى خارج الأسوار، وهو ما تحاول بعض الجهات الاستعمارية اعتبارها أنفاقاً مقدسة، تعود في تاريخها للعصور الماضية.

5. الخلاصة

عزيزي الدارس، عرضنا في هذه الوحدة أهم الملامح العامة لتاريخ المدينة المقدسة تحت الحكم العثماني، والذي استمر ما يقرب من أربعة قرون. وإن الإغراق في تفاصيله الزاخرة بالأحداث والإنجازات الحضارية في فصل دراسي لا يمكن. وفي ضوء ذلك فقد تم التركيز على ثلاثة محاور أساسية: المحور الأول: كرس لمعالجة الجانب الإداري وعرضه، من ناحية الكيفية التي تمّ بها زوال الحكم المملوكي عنها، وانضوائها تحت الحكم العثماني عام 1516م، والتشكيلات، والتبعية الإدارية التي انتظمت فيها، والجهاز الإداري الذي كلف بإدارة شؤونها: المدنية، والعسكرية، والشرعية.

وخصص المحور الثاني لمعالجة الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي انتابت المدينة في أثناء الحكم العثماني، وتم التركيز في الجانب الاقتصادي على القطاعات الاقتصادية الفاعلة في المدينة، وفي مقدمتها الزراعة، والحرف، والتجارة المحلية والخارجية، والخدمات، والوظائف الحكومية وغير الحكومية. بينما ركزت الحياة الاجتماعية على عدد السكان، والعلاقات العامة فيما بينهم، والتعليم، والصحة، والتغلغل الأجنبي، والموقف الشعبي والرسمي منه.

وافرد المحور الثالث لمعالجة النشاط العمراني، الذي ما تزال شواهده قائمة إلى يومنا هذا، وتم التركيز في ذلك على تطور النشاط العمراني، والبيوت السكنية، والتحصينات الدفاعية، وفي مقدمتها السور والبوابات، والأبراج، والقلاع، والحصون، ومباني الحكومة أو السرايا، ودور العبادة، والمؤسسات الخيرية؛ كالتكايا، والزوايا، والمدارس، والأربطة، والأسبلة، والترب.

6. لمحة عن الوحدة الدراسية السابعة

سنتناول عزيزي الدارس، في الوحدة التالية مسيرة تاريخ مدينة القدس بعد رحيل الحكم العثماني عنها في 9/12/1917م، ودخولها في ظل الاحتلال البريطاني في أثناء الحرب العالمية الأولى، وما واكبه من حكم عسكري حتى عام 1920م، وإدارة مدنية تمهيدا لإنفاذ صك الانتداب الصادر عام 1922م، والذي حكم المدينة حتى عام 1948م، وما أعقب ذلك من نكبة واحتلال إسرائيلي للشطر الغربي منها، بينما ظل الشطر الشرقي ملحقا بالضفة الغربية التي اتحدت مع الأردن في كيان سياسي واحد عام 1950م، كجزء من المملكة الأردنية الهاشمية، إلى أن أجهز عليه الاحتلال الإسرائيلي عام 1967م.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

أ- تباين تشكيلات القدس الإدارية في العهد العثماني.

1. مكانتها الحضارية كعاصمة روحية لأصحاب الديانات السماوية الثلاثة.
2. تطور النظم الإدارية العثمانية.
3. التهديدات التي تعرضت لها بلاد الشام مما يلي الجنوب مثل حملة نابليون على عكا القادمة عبر صحراء سيناء، وحركة محمد بن عبد الوهاب السلفية في الجزيرة العربية.
4. توجهات الدولة نحو فرض نظام الحكم المركزي بعد عام 1841م.
5. الصراعات الداخلية التي نشبت في فلسطين بعد الحكم المصري عام 1841م.
6. احتلالها مركز الريادة السياسية والاستراتيجية في المقاطعات الجنوبية من بلاد الشام.
7. مواجهة حركة التغلغل الأجنبي، والهجرة الصهيونية ما بين1918-1841م.

ب- اختلاف تبعية القدس الإدارية 1516-1918م.

1. تطور النظم والتشكيلات الإدارية في الدولة العثمانية.
2. ضعف ولاة الشام في دمشق وقوة ولاة عكا من أمثال أحمد باشا الجزار.
3. الأخطار التي كانت تحدق بفلسطين بعامة، ومدينة القدس بخاصة.
4. الحملة المصرية بين أعوام 1831-1841م.
5. تطور وسائل الاتصال والمواصلات وأهمها السفن، والقاطرات، والتلغراف، والتلفون.

ج- قدوم الحملة المصرية على بلاد الشام1831م.

1. ضم بلاد الشام لولايته في مصر بهدف إقامة دولة كبرى.
2. الاستفادة من موارد بلاد الشام الطبيعية والبشرية.
3. التعويض عن الخسائر التي لحقت بمصر إزاء مشاركتها في حروب السلطان.
4. إرجاع الجنود الهاربين من الخدمة العسكرية، والذين وجدوا في بلاد الشام ملاذا لهم.
5. سوء علاقته الشخصية مع والي عكا عبد الله الخزندار.
6. ضعف الدولة العثمانية وعدم مقدرتها على مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية.
7. قوة الجيش المصري الذي خبرته معارك الجزيرة العربية والسودان وبلاد اليونان.
8. وعود السلطان العثماني لمحمد علي باشا بمنحه ولاية عكا إلى جانب ولاية مصر.

تدريب (2)

1. تحسن ظروف الأمن نتيجة لفرض نظام الحكم المركزي.
2. ارتفاع مستوى المعيشة بفعل تحسن مستويات الدخل، وتطور المجالات الاقتصادية.
3. دخول مجالات التحديث بما فيها مواد البناء المستوردة من الأسواق الأجنبية.
4. تطور فنون العمارة، والهندسة المحلية منها والوافدة.
5. زيادة عدد السكان نتيجة للزيادة الطبيعية والهجرة الوافدة.

- **السرايا:** كلمة عثمانية وتعني دار الحكومة.

- **السفرديم:** اليهود الوافدون من إسبانيا.

- **مجلس المبعوثان:** البرلمان العثماني، وكانت تمثل فيه جميع ولايات الدولة ومقاطعاتها.

- **سنجق:** كلمة عثمانية تعني اللواء أو العلم، وتطلق على المقاطعة التي يحكمها شخص يحمل رتبة سنجق نيابة عن الوالي، ويتقدم موكبه عند المسير حامل العلم.

- **الولاية:** أكبر وحدة إدارية في الدولة العثمانية، وتتألف من عدة ألوية، ويتألف اللواء من عدة أقضية، والأقضية من عدة نواح، والناحية من مجموعة من القرى، والخرب، والمزارع، والقبائل البدوية.

- **الطوخ:** كلمة عثمانية تطلق على خصلة من شعر الفرس التي ترفع على العلم، ووفقا لعددها في السارية تحدد رتبة صاحب الموكب، فالسلطان له (7) أطواخ، ورئيس الوزراء (5) أطواخ، والوزير (3) أطواخ، والولاة ونوابهم من الحكام ما بين (3-1) أطواخ.

- **المحلة:** مصطلح عثماني يطلق على مجموعة المباني العامة والخاصة المقامة في القرية والمدينة، وتتألف في مجملها من مجموعة من المباني، والأزقة، والأحواش، والشوارع، وتعرف في الوقت الحاضر باسم الحي أو الحارة.

- **حائط البراق:** وهو الحائط الجنوبي الغربي من المسجد الأقصى المبارك، ويبلغ طوله (50) م، وارتفاعه (20) م.

- **ولاية صيدا:** تأسست عام 1660م، وعرفت بأسم صيدا نسبة الى صيدا اللبنانية وفي عام 1746 نقل مركزها الى عكا ولذلك عرفت في بعض الاحيان بولاية عكا، وتمتد من طرابلس شمالاً إلى غزة جنوباً، وقد لمع نجم عكا بعد تصديها لحملة نابليون، حيث أصبحت تعرف باسم قلعة النصر والجهاد.

9. المصادر والمراجع

1. أبو بكر، أمين مسعود، ملكية الأراضي في متصرفية القدس 1858-1918م، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، 1996م.
2. أبو علية، عبد الفتاح، القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، 2000م.
3. ارمسترونغ، كارين، القدس، مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، 1998م.
4. سجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
5. شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882، ترجمة كامل العسلي، عمان، الأردن، 1988م.
6. العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، فلسطين 1996م.
7. الكيلاني، شمس الدين، وباروت، محمد جمال، الطريق إلى القدس، تحرير سلمى الجيوسي، بروتا، أبو ظبي، الإمارات العربية، د.ت.
8. المحامي، محمد فريد، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق، إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1983م.
9. المدني، زياد عبد العزيز، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني 1246-1336هـ/1831-1918م، عمان، الأردن، 2004م.
10. المهتدي، عبلة، القدس تاريخ وحضارة 3000ق.م - 1917م، دار نعمة للطباعة، بيروت، لبنان، 1998م.
11. نجم، رائف، وآخرون، كنوز القدس، مآب مؤسسة آل البيت المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، منظمة المدن العربية، عمان، الأردن، 1403هـ/1983م.
12. اليعقوبي، محمد سليم، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي، البنك الاهلي الاردني، عمان، الاردن، 1999م
13. Wareen, Charles, Underground Jerusalem, London, 1876.

الوحدة السابعة

القدس في ظل الاحتلال البريطاني ووحدة الضفتين (1918-1967م)

اعداد

د. امين ابو بكر

محتويات الوحده

الموضوع | الصفحة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

يسعدني، عزيزي الدارس، أن أرحب بك أجمل ترحيب في الوحدة السابعة من هذا المقرر، وهي بعنوان: "القدس تحت الاحتلال البريطاني ووحدة الضفتين 1967-1918م". وسنعالج مادة هذه الوحدة في ثلاثة محاور: خصص المحور الأول منها لعهد الاحتلال البريطاني 1917-1948م، وتم التركيز فيه على العمليات العسكرية، والحكم العسكري، والإدارة المدنية. في حين أفرد المحور الثاني لمعالجة المقاومة الوطنية، وما واكب ذلك من تشكيل المجلس الإسلامي الأعلى عام 1921م، وكتائب الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني عام 1947م، وانطلاقة منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964م. بينما كرس المحور الثالث لمعالجة وحدة الضفتين منذ عام 1948م، وحتى نكسة حزيران عام 1967م.

2.1 أهداف الوحدة

يتنظر منك، عزيزي الدارس، بعد الانتهاء من دراسة هذه الوحدة أن تكون قادراً على أن:

1. تتتبع مسيرة القدس السياسية في المدة الواقعة ما بين 1967-1918م.
2. تدرك الدور الذي لعبته الحركة الوطنية الفلسطينية في الدفاع عن مدينة القدس.
3. تستنتج أثر الاحتلال البريطاني في نشاط المدينة: الاقتصادي، والاجتماعي.
4. تتعرف الدور الذي لعبه المجلس الإسلامي في الحركة الوطنية الفلسطينية.
5. تقدر الموقف العربي الشعبي، والرسمي في الدفاع عن المدينة.

3.1 أقسام الوحدة

تقسم هذه الوحدة إلى ثلاثة أقسام رئيسة تتصل اتصالاً وثيقاً بالأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. فالقسم الأول الاحتلال البريطاني، والقسم الثاني المقاومة الوطنية الفلسطينية، بينما خصص القسم الثالث لعرض مسيرة القدس في ظل وحدة الصفتين.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس، القراءات الآتية على درجة كبيرة من الفائدة؛ لتعميق فهمك لموضوع الوحدة ومحتواها:

1. النتل، عبد الله، كارثة فلسطين، مذكرات عبد الله التل قائد معركة القدس، ط2، دار الهدى، كفرقرع، فلسطين، 1990م.
2. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، 10ج، دار الهدى، كفر قرع، فلسطين، 1998م.
3. العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، فلسطين 1996م.
4. نجم، رائف، وآخرون، كنوز القدس، مآب مؤسسة آل البيت المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، منظمة المدن العربية، عمان، الأردن، 1403هـ/1983م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

قبل أن تبدأ، عزيزي الدارس، بدراسة هذه الوحدة تأكد من أنك قد هيأت المكان المريح والمناسب للدراسة، وتذكر أن يكون معك قلم رصاص ومحاة لتسجيل ملاحظاتك على حاشية الوحدة، ومن الضروري الاستعانة بالخرائط، والأطالس الخاصة بالمدينة بخاصة، وتحديد الأماكن والمواقع التي ترد بين سطور الوحدة.

2. الاحتلال البريطاني 1917-1948م

عزيزي الدارس، بدأ الاحتلال البريطاني لمدينة القدس في إطار العمليات العسكرية للحرب العالمية الأولى، وذلك يوم 1917/12/9م، وانتهى برحيل المندوب السامي من سرايا الحكومة القائمة على جبل المكبر يوم 1948/5/15م، ويمكن معالجة هذا الموضوع في المحاور الآتية:

1.2 العمليات العسكرية

نقل جمال باشا القائد العام للجيش الرابع العثماني مقر قيادته من دمشق إلى القدس عام 1915م، وذلك في إطار العمليات العسكرية للجبهة الشرقية من الحرب العالمية الأولى، وجاء بهدف اتخاذها مركزاً متقدماً لانطلاق حملاته العسكرية على مصر، وذلك في سبيل تحقيق مجموعة من الأهداف، وتتمثل فيما يأتي:

1. تحريض الشعب المصري على الثورة ضد الاستعمار البريطاني الجاثم على مصر منذ عام 1882م.
2. قطع طريق المواصلات الاستراتيجية، المارة عبر قناة السويس، للإمبراطورية البريطانية مع مستعمراتها في الشرق، وفي مقدمتها الهند، التي كانت تعد أهم مستعمرة للتاج البريطاني.
3. إشغال الجيش البريطاني عن جبهة الدردنيل، والبحر الأسود، والعراق، وغيرها من الجبهات.

وفي سبيل تحقيق ذلك، جهز الجيش العثماني حملتين على قناة السويس عام 1916/1915م، وقد فشلتا في تحقيق أهدافهما، نظراً لعدة أسباب تتمثل فيما يأتي:

1. عدم تكافؤ عدد أفراد الحملة العثمانية البالغة (20000) جندي، مقارنة بعدد الجيش البريطاني المرابط على الضفة الغربية للقناة، والبالغ ما يقرب ال(70000) جندي.
2. إقدام الدولة العثمانية على نقل مجموعة من وحدات الجيش الرابع ومعداته الثقيلة

إلى جبهتي العراق والقفقاس.

3. بعد المسافة بين القدس مركز القيادة، وخط الجبهة في قناة السويس، وما يترتب عليها من بعد في خطوط التموين والاتصال.

4. نقص التموين والمياه، وهو ما حمل جمال باشا إلى تقنين استهلاك الجيش من المياه.

5. موت وهزال عدد كبير من الحيوانات العاملة المستخدمة في جر المدافع، والعربات، وحمل العتاد في صحراء سيناء بسبب نقص المياه والأعلاف، وتفشي الأوبئة، وصعوبة الصحراء.

6. انتشار الأمراض والأوبئة في صفوف الجيش العثماني، وفي مقدمتها الكوليرا، هذا المرض الذي انتشر في جميع أنحاء بلاد الشام، وأودى بحياة (1.5) مليون نسمة من سكانها.

7. متانة خط الدفاع البريطاني وصلابته، والذي بنى تحصيناته على الضفة الغربية للقناة، وقلة المعديات البحرية اللازمة للعبور، الأمر الذي جعل مسألة اختراق تلك التحصينات في غاية الصعوبة.

8. الخسائر الفادحة التي حلت بالجيش العثماني في هجماته، مما أثر في معنوياته، وهو ما حمل جمال باشا على الانسحاب، وإعادة النظر في خطته العسكرية.

وفي ضوء الفشل في اقتحام قناة السويس، والخسائر التي لحقت بالجيش العثماني، أخذ الجيش البريطاني يفكر في تغيير استراتيجيته القائمة على التحصن خلف خط القناة، والتحول من الدفاع إلى الهجوم، والعمل على تحقيق إنجازات عسكرية عجزت عن تحقيقها الجبهات الأخرى، فتم التقدم نحو بلاد الشام براً، وبحراً، وجواً، وأمام هذا التحول، عمدت القيادة العثمانية إلى تحصين مدينة غزة، بصفتها خط الدفاع الأول عن بلاد الشام، وبذلك خالفت الإجراءات العثمانية القديمة، التي غالباً ما عولت على قلعة عكا، وإقليم الجبال الذي تتحصن فيه القدس، وغيرها من المدن الفلسطينية، كخط دفاعي متين قادر على الدفاع عن ولاياتها الشامية. (العارف، 1996م، ابو بكر، 1996م).

استطاعت التحصينات العثمانية الجديدة في غزة أن توقف زحف الجيش البريطاني، وأن توقع به

اقدح الخسائر. وكانت نسبة كبيرة من الوحدات العثمانية المتحصنة في غزة من مقاطعات بلاد الشام، وفي مقدمتها فلسطين. وقد أثنى القائد العام جمال باشا على بسالتهم في معارك السويس وغزة. وهو ما حمل القيادة البريطانية على عزل القائد العام للجيش في معارك غزة الجنرال موري «Murray"، وكبار قادته، وتعيين الجنرال اللنبي "Allenby"، وتعزيزه بالعدد والعدة، ونتيجة لذلك ارتفع عدد الجيش البريطاني في جبهة غزة إلى (100000) جندي. (العارف، غزة، 1934م).

وأمام الضغط البريطاني المتواصل، حيث تحولت الغالبية العظمى من أحياء غزة إلى ركام بفعل القصف: البري، والجوي، والبحري، قررت قيادة الحرب العثمانية في اجتماعها في حلب عام 1917م، نقل خطوطها الدفاعية القائمة في غزة للخطوط الخلفية، ونتيجة لذلك انفتح الباب على مصراعيه أمام الجيش البريطاني، للتقدم شمالاً على محورين: الأول: محور غزة - بئر السبع – الخليل - القدس، والثاني: محور غزة –الرملة – يافا – القدس، وباحتلال يافا بتاريخ 16/11/1917م، توقف الزحف البريطاني شمالاً، وأخذ يتحول شرقاً لملاقاة الوحدات الزاحفة في المحور الأول، وذلك بغية احتلال مدينة القدس قبل نهاية العام، لتقديمها هدية رمزية للعالم الغربي في احتفالات رأس السنة الميلادية الجديدة، وتحقيق ما عجز عنه ملك بريطانيا في العصور الوسطى، ريتشارد قلب الأسد، في حملته الصليبية وكان له ما أراد في 9/12/1917م، (سجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية).

ومن الجدير بالذكر أن الفرقة العشرين بقيادة اللواء علي فؤاد، أبلت بلاء حسناً في الدفاع عن المدينة، وساعدها في ذلك البيئة الجبلية الصعبة، والأمطار الغزيرة، وسحب الضباب، التي تشكلت في أثناء هجمات الجيش البريطاني، وذلك خلال معارك النبي صمويل، وبيت عور إلى الشمال من المدينة، وعندما أيقن متصرف المدينة عزت بيك أن القدس آيلة للاحتلال لا محالة، وذلك في ضوء الهجمات الشرسة التي باتت تتعرض لها عبر المنافذ الغربية، والشمالية الغربية، إلى جانب الزحف المتواصل للجيش البريطاني على المحور الجنوبي، الذي يوصلها بمدينتي الخليل وبيت لحم، دعا مفتي المدينة الشيخ كامل الحسيني، ورئيس بلديتها حسين سليم الحسيني إلى بيته القائم في حي الشيخ جراح، وأطلعهما على صورة الوضع

العسكري في المدينة، واستعداد الجيش العثماني للانسحاب؛ لتجنيبها ما تحتضنه من اماكن دينية مقدسة ما حصل في غزة من خراب ودمار، وأنه سوف يغادر المدينة بعد نصف ساعة. وكلفهما بنقل وثيقة الاستسلام لقيادة الجيش المهاجم، وسلمها لرئيس البلدية حسين بك الحسيني، ومن ثم غادر المدينة إلى أريحا، بينما تراجعت الوحدات العسكرية العثمانية إلى جبل الزيتون، وأخذت تستعد للانسحاب باتجاه طريق أريحا، وذلك بعد أن قدم في معاركه المتواصلة بين غزة والقدس ما يقرب من (25000) جندي، بين شهيد وجريح، ونحو (12000) أسير. (العارف، 1996م).

وفي ضوء التطورات العسكرية، وتقدم الوحدات البريطانية، نحو الأحياء الشمالية الغربية من المدينة، قام رئيس البلدية حسين سليم الحسيني في تمام الساعة التاسعة صباح يوم 9/12/1917م، مع مجموعة من أهالي المدينة، بحمل وثيقة التسليم، التي أعدها المتصرف قبل انسحابه، وهم يرفعون العلم الأبيض، كشعار للاستسلام، وسلمت الوثيقة للجنرال واطسون «Watson"، قائد الفرقة (60) من الجيش البريطاني في حي الشيخ بدر، والذي نقلها بدوره للجنرال اللنبي "Allenby"، القائد العام للجيش البريطاني. وقد حاولت الوحدات العثمانية المنسحبة المناورة والعودة، وشنت هجوماً واسع النطاق على الجيش البريطاني، والتحمت معه بالسلاح الأبيض ما يقرب من (5) ساعات بغية استعادة المدينة، إلا أن محاولاتها باءت بالفشل، وبذلك أسدل الستار على أربعة قرون من الحكم العثماني للمدينة. (طوطح، 1923م، ابو بكر، 1996، ابو علبة، 2000م).

تدريب (1)

علل ما يأتي:

أ-حملة جمال باشا على مصر أثناء الحرب العالمية الأولى.

ب-فشل الجيش العثماني في حملاته على قناة السويس 1915/1916م.

2.2 الحكم العسكري

عزيزي الدارس، بعد ثلاثة أيام من الاحتلال، دخل الجنرال اللنبي «Allenby"، القائد العام للجيش البريطاني المدينة، سيراً على الأقدام؛ ليحتفي بإنجازات النصر في المهرجان الكبير الذي نظم على شرفه قبالة باب الخليل، وليعلن على الملأ ومن على درج القلعة العثمانية، نهاية الحروب الصليبية، وفرض الأحكام العرفية أو العسكرية في ضوء الأوضاع العسكرية القائمة، وفي الوقت نفسه دعا الناس إلى ضرورة الالتزام بالهدوء، والسكينة، وبأحكام القانون، واعداً بالحفاظ على الأماكن الدينية المقدسة، وحقوق أصحاب الديانات السماوية الثلاثة فيها، وأردف خطابه بجولة ميدانية في أحياء المدينة، وزيارة الأماكن الدينية المقدسة، وفي مقدمتها المسجد الأقصى.

عزيزي الدارس، بموجب خطاب اللنبي، وضعت مدينة القدس تحت الحكم العسكري، وألحقت بدائرة بلاد العدو المحتلة الجنوبية، التي ربطت بالقيادة العامة للجيش البريطاني القائمة في مدينة القاهرة، وتتبع بدورها لوزارة الحربية في لندن. وكان أول حاكم عسكري للقدس الجنرال بل بورتن "Bill Burton"، الذي عمل مديراً للبرق والبريد في مصر، وخلفه في ذلك السير الكسندر بيرد "Sir Alexander Baird"، وكان آخر حاكم عسكري للقدس في هذه المدة السير رونالد ستورز "Sir Ronald Storrs"، سكرتير المندوب السامي البريطاني في القاهرة. وقد اتخذ الحاكم العسكري من فندق بالاس القائم قبالة باب الخليل مقراً له. ومن هناك نقل إلى نزل القديس بولس القائم قبالة باب العامود، لينقل للمرة الأخيرة إلى مجمع الروم الأرثوذكس القائم داخل الأسوار بين الباب الجديد والخليل.

وعلى صعيد آخر، تعاقب على إدارة بلاد العدو المحتلة، والتي تمركزت في مدينة القدس أربعة ضباط في الجيش البريطاني يحملون رتبة جنرال وهم:

1. الجنرال كلايتون 9/12/1917 - 28/2/1918م.
2. الجنرال موني 1/3/1918 - 30/7/1919م.
3. الجنرال واطسون 1/8/1919 - 13/12/1919م.
4. الجنرال بولز 1/1/1920 - 30/6/1920م.

ومن الجدير بالذكر ان الإدارة العسكريه التي تمركزت في القدس، قد الحق بها جميع مقاطعات فلسطين إبان العهد العثماني، وقد مثلها في تلك المقاطعات مجموعة من الحكام العسكريين. وبالرغم من قصر المدة التي حكمتها، إلا أنها لعبت دوراً بارزاً في الحياة العامة للمدينة. وفي مقدمتها تجميدها لعمل العديد من الأنظمة والدوائر الموروثة عن الحكم العثماني. فعمدت إلى إغلاق دائرة الطابو، وهو ما حتم على السكان إجراء المبايعات والمناقلات على الأرض بموجب القيود غير الرسمية كالحجج. كما سعت من خلال حاكمها ستورز، إلى تنظيم لقاء مباشر بين زعامة الحركة الصهيونية بقيادة حاييم وايزمن "Chaim Weizmann"، وأعيان الحركة الوطنية في المدينة، ومن أبرزهم مفتي القدس كامل الحسيني، ورئيس بلديتها موسى كاظم الحسيني، وذلك بهدف التخفيف من حدة القلق الذي بات يساور أهالي المدينة من المشروع الصهيوني، وسايرت الحركة الصهيونية ما ذهبت إليه الإدارة العسكرية. فأكد وايزمن أن هجرة اليهود إلى فلسطين لن تستهدف العرب أبناء عمومتهم من نسل سيدنا إسماعيل، وإنما جاءت بدافع التعاون معهم، وإعمار القفار الموجودة في جوار القدس، كما أعمروا قفار السهل الساحلي، وكانت ما تزال تحتجز عدداً كبيراً من أبناء المدينة المحاربين: الأسرى، والجرحى في معاقلها، ومشافيها في فلسطين ومصر، وأن الإفراج عنهم، وإعادتهم إلى ذويهم لابد أن ينعش قسطاً كبيراً من الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة.

لم ينجر أهالي القدس خلف هذه الألاعيب التي حاولت الإدارة العسكرية والحركة الصهيونية، القيام بها لتضليلهم، فشكلوا الجمعية الإسلامية المسيحية للدفاع عن حقوقهم، والوقوف أمام التغلغل الصهيوني في فلسطين بعامة والقدس بخاصة، وبادروا لعقد المؤتمر الفلسطيني الأول، للرد على المؤتمر الصهيوني الذي عقد في مدينة يافا في كانون الأول من عام 1918م، وإعداد مذكرة شديدة اللهجة، وإبراقها إلى مؤتمر الصلح في باريس؛ لتوضح موقفهم من المشروع الصهيوني، والوطن القومي، وتنظيم المسيرات والمظاهرات في المدينة، احتفاء بتنصيب فيصل بن الحسين ملكا على سوريا في 8/3/1919م.

3.2 الحكم المدني

عزيزي الدارس، وافق مجلس الحلفاء في 25/5/1920م، في مؤتمر سان ريمو "San Remo" في إيطاليا، على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وعملاً بذلك، حلت الحكومة البريطانية الإدارة العسكرية بتاريخ 1/7/1920م، واستبدلت بها إدارة مدنية، وألحقتها ابتداء بوزارة الخارجية. وسرعان ما فصلتها عن الخارجية وألحقتها بوزارة المستعمرات البريطانية، واستمر ذلك حتى نهاية عهد الانتداب يوم 15/5/1948م. وكان الجنرال بولز الحاكم العام لدائرة بلاد العدو الجنوبية المحتلة، قد وجه دعوة لأعيان المدينة للاجتماع به في شباط من عام 1920م، وذلك قبل حل الإدارة العسكرية؛ ليخبرهم بقرار دول الحلفاء القاضي بانتداب بريطانيا على فلسطين، وكانت الإدارة المدنية قد حظيت باعتراف عصبة الأمم في 24/7/1922م، وذلك بصدور صك الانتداب البريطاني في29/9/1922م، وبموجب ذلك تعاقب على إدارة الحكومة المدنية في القدس سبعة مندوبين، نيابة عن التاج البريطاني، وهم:

1. السير هربرت صموئيل "1920-1925 "Sir Herbert Samuel
2. فيلد مارشال بارون بلومر "1925-1928"Fild-marshal Baron Plumer
3. اللفتنانت كولونيل السير جون تشانسلور 1928-1931
   . "Lieut-Colonel Sir John Chancellor"
4. اللفتنانت جنرال السير آرثر غرنفيل واكهوب 1931-1938م
   «Lieut-General Sir Arthur Grenfell Wauchope»
5. السير هارولد الفرد ماك مايكل 1938-1944م
   "Sir Harold Alfred MacMichael "
6. الفيلد مارشال الفيكونت غورت 1944-1945م
   "Fild Marshal Viscount Gort"
7. الجنرال السير الن غوردن كاننغهام 1945-1948
   "General Sir Alan Gordon Cunningham"

وقد اتخذ المندوب السامي مقره في مبنى المطلع، المعروف باوغستا فكتوريا، القائم على جبل

الطور إلى الشمال الشرقي من المدينة، حيث اقام جمال باشا السفاح القائد العام للجيش الرابع العثماني إبان الحرب العالمية الأولى، إلى أن بنى مقره العام القائم على قمة جبل المكبر، وهو ما عرف بقصر المندوب السامي، وساعد المندوب السامي في عمله مجموعة من الدوائر المدنية، والتي غالبا ما تمركزت في جواره أو على مقربة منه. وكان الحاكم الإداري يمثل المندوب السامي في المقاطعات والدوائر المساعدة له والدوائر الفرعية المدنية والعسكرية باستثناء إدارة الخط الحديدي الحجازي، التي بقيت في مدينة حيفا. وفي سبيل الاطلاع على سير العمل لم يتوان المندوب السامي عن القيام بجولات ميدانية في المدينة والمقاطعات التابعة لها، والمشاركة في الاحتفالات الرسمية والشعبية. (السفري، 1937م).

وترأس المندوب السامي في عمله مجلسين: الأول تنفيذي: وتألف من السكرتير العام، والسكرتير المالي للحكومة، والنائب العام، وحاكم لواء القدس، والثاني استشاري: وتألف من السكرتير العام للحكومة، والنائب العام، وحكام الألوية، ومدير دائرة الأشغال العامة، والصحة، والمعارف، والزراعة، ومصائد الأسماك، والجمارك، والتجارة، والمكوس، والسكك الحديدية، والبرق، والبريد، ومصلحة الإحصاء، والمهاجرة، وتسجيل الأراضي، والمستشار الاقتصادي، ومصلحة العمل.

عزيزي الدارس، كان لسياسة المندوب البريطاني، والذي يعد الممثل الأول للحكومة البريطانية ووزارة المستعمرات في القدس، الدور الكبير في إنفاذ السياسة الاستعمارية البريطانية القائمة على أساس إقامة الوطن القومي اليهودي، وذلك بتسهيل عبور الهجرة الصهيونية، وتمكين المؤسسات الصهيونية من شراء الأراضي، وتمكينها من الأراضي الموات الممتدة على شواطيء البحر الأبيض، ومستنقعات حوض الحولة، والأودية النهرية، والسفوح الجبلية الوعرة في محيط مدينة القدس وغيرها، وتعود ملكيتها للخزينة أو بيت مال المسلمين، ويتولى الإشراف عليها حكومة الانتداب. إن أول مندوب سامي بريطاني كان من غلاة الحركة الصهيونية، وإزاء ذلك كانت سياسة حكومته، ومن خلفه فيها تجاه المدينة، تتمحور حول مجموعة من الأسس، تتمثل فيما يأتي:

1. تهويد المدينة، وفتح أبوابها على مصراعيها للهجرة الصهيونية، بغية تحويل سكانها الأصليين إلى أقلية. ففي عام 1917م، لم يبق من المستوطنين اليهود في المدينة سوى

(10000) مستوطن، أي ما يوازي خمس السكان، وذلك بسبب ظروف الحرب وإجراءات جمال باشا القائد العام للجيش العثماني، التي عملت على طرد الرعايا الأجانب، والمستوطنين اليهود الذين يحملون الجنسيات الأجنبية، ليرتفع العدد إلى (33971) مستوطناً، أو ما يوازي نصف السكان في أول إحصاء رسمي بريطاني عام 1922م، وأخذت أعداد المستوطنين بالتضاعف، من حين لآخر، بفعل كثافة الهجرة الصهيونية، ففي عام 1944م، بلغ عدد سكان المدينة (155149) نسمة، استحوذ المستوطنون منهم على (94942) نسمة، أي ما يوازي 61.2% من إجمالي السكان، بينما بلغ عدد السكان العرب (60207) نسمة، أي ما يوازي 38.8% من إجمالي عدد السكان، في حين ارتفع إجمالي عدد السكان، قبيل انسحاب حكومة الانتداب من المدينة عام 1947م، إلى (164500) نسمة، بينما ارتفع عدد المستوطنين من (100000) مستوطن، مع حلول النكبة عام 1948م إلى (200000) مستوطن مع حلول نكسة عام 1967م.

2. دعم الحركة الصهيونية في المجالات: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، وذلك بهدف تثبيت جذورها في المدينة، تمهيدا للسيطرة عليها، وتمكينها من المؤسسات الوطنية المحافظة على طابعها العربي والإسلامي، وفي مقدمتها المجلس البلدي، والذي يعد المؤسسة الوطنية الثانية التي حملت لواء المقاومة، وقيادة الحركة الوطنية بعد المجلس الإسلامي الأعلى، وذلك بهدف توسيع الخرائط الهيكلية للبلدية وخدماتها بما يوازي المشاريع الاستيطانية، والتي تركزت في الزاوية الشمالية الغربية من البلدة القديمة.

3. اعتماد سياسة المراوغة، والمهادنة، وذلك بهدف شق الصف الوطني في المدينة، واسترضاء الحكومات العربية الصديقة لها، فأوعز هربرت صموئيل عام 1920م، إلى زعيم الحركة الصهيونية في لندن مساعدته في ذلك، فبدأ باتصالاته مع بعض الزعامات الفلسطينية في فلسطين، ودمشق، ونتيجة ذلك تألفت جمعية عربية صهيونية مشتركة، وأنشأت لها فروعاً في المدن الفلسطينية الكبرى، وكان أقوى فروعها في مدينة حيفا، كما عمدت حكومة الانتداب إلى إصدار العديد من الكتب البيضاء ومشاريع التسوية، وإرسال لجان التحقيق في الانتفاضات والثورات الفلسطينية التي اشتعل فتيلها لتبرير سياستها، وإظهارها بمظهر عدم الانحياز

لطرف من الأطراف. وأنها ما تزال تحافظ على صداقتها المتينة مع العرب. فعندما فشلت في إخماد الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936م، والتي كان استمرارها يهدد مجهودها الحربي، الذي بات يكرس لمواجهة ألمانيا النازية بزعامة هتلر، استخدمت أسلوب المراوغة. فاستغلت العلاقة الوثيقة التي تربط ملوك الدول العربية ورؤسائها مع الحاج أمين الحسيني، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، لإفشال الإضراب العام الذي شل مناحي الحياة جميعها. فعمدت للضغط على الزعامات العربية من خلال الوعود البراقة، والتلويح بحل منصف للقضية الفلسطينية إذا ما توقفت الثورة، وحثتهم على إقناعه بضرورة وقف الإضراب العام الذي استمر ستة أشهر.

4. توسيع حدود بلدية القدس غربا: بهدف إدخال المستوطنات المقامة حديثاً ضمن تنظيمات المجلس البلدي، وزيادة نسبة السكان اليهود مقارنة بالسكان العرب. فعند بداية الاحتلال البريطاني بلغت مساحة المدينة (5000) دونم، وأخذت بالاتساع لتصل عام 1930م إلى (13600) دونم، وتركز امتدادها غرباً. واتسعت قبيل نكبة عام 1948م إلى (19500) دونم.

5. تسهيل شراء الأراضي وبناء المستوطنات. فقد عمد الحكم العسكري البريطاني إلى إغلاق دوائر الطابو القائمة منذ احتلال المدينة في العهد العثماني. وما أن وطأت أقدام هربرت صموئيل أرض القدس، حتى أعاد فتح تلك الدوائر، لتتمكن الحركة الصهيونية من ممارسة أنشطتها من جديد.

6. الانحياز للمستوطنين اليهود في أي مواجهات تنشب بينهم وبين سكان العرب، سواء أكانت في الشوارع والميادين العامة أم في أروقة المحاكم. ففي المواجهات التي دارت في ثورة البراق عام 1929م، كانت غالبية الشهداء العرب برصاص البوليس البريطاني. ناهيك عن تغاضيها عن تجاوزات المستوطنين بحق السكان العرب، وتجاوزاتهم في تهريب الأسلحة، والتدريب على استخدامها.

7. قمع الحركة الوطنية الفلسطينية، وحمل العديد من أهالي المدينة إلى أعواد المشانق، والسجون، والمعتقلات في عكا والمنافي خارج المدينة إلى لبنان، والعراق، ومصر، وجزيرة سيشل،

ناهيك عن فرض الإقامة الإجبارية، والغرامات الباهظة.

8. العمل على تمكينهم من المسجد الأقصى بعامة، وحائط البراق بخاصة، بشتى الطرق والوسائل، ويظهر ذلك من خلال محاولات الحكام البريطانيين عقد تفاهمات بين أعيان الحركة الوطنية وزعماء الحركة الصهيونية لشراء حائط البراق والزقاق المؤدي إليه، واستثمار أثمانها في ترميم المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

9. محاربة الثقافة العربية والإسلامية، وتقوية الثقافة العبرية، وذلك بافتتاح العديد من المؤسسات الثقافية، ومن أبرزها الجامعة العبرية، التي افتتحت عام 1925م، من قبل صاحب الوعد المشؤوم وزير خارجية بريطانيا بلفور، وعندما افتتحت محطة الإذاعة الفلسطينية عام 1936م، خصص للبرامج العبرية من البث ثلاث ساعات ونصف، في حين خصص للبرامج العربية أربع ساعات.

10. الطريقة التي انسحبت بها حكومة الانتداب عندما أيقنت أن الوطن القومي قد ترسخت أقدامه في فلسطين بعامة، والقدس بخاصة أخذت تعد العدة للانسحاب، فاستدعى المندوب السامي «غوردن» مندوب الصليب الأحمر الدولي إلى دار الحكومة بحضور مندوبي الحركة الصهيونية، والهيئة العربية العليا، حيث أنزل العلم البريطاني عن مقره العام في جبل المكبر، ورفع مكانه علم الصليب الأحمر، ليغادر المقر دون رجعة إلى مطار القدس الدولي بالسيارة، ومن هناك بالطائرة إلى مدينة حيفا، ومن هناك إلى لندن عبر البحر.

تدريب (2)

بين السياسة الاستعمارية التي مارسها الاستعمار البريطاني بحق مدينة القدس منذ عام 1917م وحتى رحيله عنها عام 1948م.

3. الحركة الوطنية

عزيزي الدارس، أجمعت الحركة الوطنية الفلسطينية على اتخاذ القدس عاصمة سياسية لفلسطين، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وحظي ذلك الإجماع بالاعتراف الدولي، ومع دخول الاحتلال البريطاني، وزوال المظلة السياسية العامة التي كانت تمثلها الدولة العثمانية، وقع على عاتق الحركة الوطنية الفلسطينية أن تسد الفراغ الذي تركته الدولة العثمانية.

وإزاء ذلك، أجمعت على اتخاذ القدس مركزا لنشاطها الوطني، ومقرا لقيادتها العامة، وأن يعهد لأبنائها وأعيانها ووجهائها، ومن سار على دربهم، من أبناء فلسطين بقيادة العمل الوطني في جميع أنحاء المقاطعات الفلسطينية، وتمثيل فلسطين في المحافل: المحلية، والإقليمية، والدولية، والنهوض بهذه المهمة منذ الأيام الأولى للاحتلال البريطاني، ففي يوم 11/12/1917م، انفض أعيان الحركة الوطنية بزعامة موسى كاظم الحسيني من مهرجان النصر، الذي نظمه الجنرال اللنبي، قبالة باب الخليل، بمجرد أن سمعوا تصريحاته التي رأت في احتلال القدس من أيدي العثمانيين، نهاية للحروب الصليبية الحديثة.

وقد نظمت مظاهرة للاحتجاج على هذه التصريحات، لتكون أول مظاهرة ضد الاحتلال البريطاني في فلسطين، سارت جموعها من البلدة القديمة إلى باب الخليل، حيث نظم اللنبي مهرجانه، لتعلن للسلطة الجديدة رفضها للاحتلال البريطاني، ووعد بلفور، وما ينتظر فلسطين من مصير مجهول على يد الوطن القومي اليهودي.

وإزاء المواقف المتشددة للحركة الوطنية، سعى حاكم القدس العسكري ستورز في 27/4/1918 إلى تقريب وجهات النظر العربية والصهيونية بعقد اجتماع مشترك بين وجهاء المدينة والحركة الصهيونية برئاسة حاييم وايزمن، وكانت غاية الاجتماع إقناع أعيانها بفكرة الوطن القومي اليهودي، وبيع زقاق المغاربة، المؤدي إلى حائط البراق، للحركة الصهيونية مقابل (80000) جنيه استرليني، لتوظيفه في إعمار قبة الصخرة وترميمها، وهو ما رفضه أعيان القدس جملة وتفصيلاً.

وعندما فشل ستورز في الاجتماع الأول لجأ إلى العمل الفردي، فسعى إلى إقناع مفتي القدس

كامل الحسيني بفكرة البيع. إلا ان رد المفتي كان واضحا وصريحا. ويقضي بانه لا يستطيع اي إنسان أن يتصرف بأملاك الوقف الإسلامي. ولاسيما هذا المكان. بأي مبلغ مهما كان. حتى ولو إلى مسلم. فكيف إذا كان طالب الشراء يهوديا. ونحن نعرف أهداف اليهود لامتلاك الحائط. وما في جوانبه. (قاسمية. 1972م).

ومما لا شك فيه أن ما ذهب إليه ستورز لم يكن وليد الصدفة. بل جاء بناء على مطالب سابقة للحركة الصهيونية. جاءت من جانب نائب زعيم الحركة الصهيونية. والحاخام الأكبر. ومجلس الربانيين اليهود. عندما طلبوا من الحاكم العسكري العام لإدارة بلاد العدو الجنوبية المحتلة بولز. أن يسلمهم المسجد الأقصى بما فيه حائط البراق. (ابو عليه. 2000م).

وفي سبيل التصدي للأطماع الصهيونية. والضغوط البريطانية. شرعت الحركة الوطنية بعقد الاجتماعات. وتأليف الجمعيات. والنوادي. والأحزاب. ففي أوائل شهر حزيران من عام 1918م. تأسس في المدينة النادي العربي برئاسة الحاج أمين الحسيني. وكان نضاله السياسي يتركز على استقلال أراضي سوريا الكبرى ووحدتها بما فيها فلسطين. (الشورة. 2004م).

وفي المدة الواقعة ما بين 27/1-10/2/1919م. نظم النادي العربي مؤتمراً عاماً في مدينة القدس. تحت اسم «مؤتمر الشباب العربي». ومن أهم ما تمخض عنه المؤتمر المطالبة باستقلال سوريا الطبيعية. وتشكيل اللجنة التنفيذية للمؤتمر لمتابعة العمل الوطني. واختيار أعضاء وفد فلسطين للمؤتمر السوري العام الذي عقد في دمشق في 8/3/1919م. ونادى باستقلال بلاد الشام. وتنصيب فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً عليها. وقد ساهمت مواقف موسى كاظم الحسيني. رئيس الوفد. من القضايا الوطنية. إبان الحكم العثماني والاحتلال البريطاني. وتمسكه بالوحدة العربية. في انتخابه رئيساً للجنة التنفيذية المنبثقة عن المؤتمر. ومن أبرز الشخصيات التي رافقت موسى كاظم إلى دمشق الحاج أمين الحسيني. وخليل بيدس. وعارف العارف. ورشيد الحاج إبراهيم. وعمر صالح البرغوثي. وجمال الحسيني. وحسين فخري الخالدي. والفرد روك. ويعقوب الغصين. وأحمد حلمي عبد الباقي. (محسن. 1986م).

وعندما عاد موسى كاظم الحسيني من دمشق. انتهز مناسبة موسم النبي موسى. الذي يعقد في شباط من كل عام. لتنظيم المظاهرات والمهرجانات المناوئة للاحتلال والحركة الصهيونية.

وهذا الموسم تشارك فيه الوفود من انحاء فلسطين كافة. منذ العهد المملوكي. بهدف إظهار قوة أهالي فلسطين. ومدى تعلقهم بالمدينة. واستعدادهم للدفاع عنها. التي كانت تغص بالحجاج المسيحيين في أعياد الميلاد.

وبعد أن تتجمع الوفود في القدس. تنطلق في مهرجان فلكلوري إلى مقام النبي موسى القائم على طريق أريحا - القدس. وتقضي هناك عدة أيام. وترجع إلى القدس لتعود إلى بلادها. فانتهز موسى كاظم الحسيني المهرجان الكبير فنظم عام 1920م. أكبر مظاهرة تشهدها فلسطين بعامة والقدس بخاصة. وركز في مطالبه على الوحدة العربية. ورفض فكرة الوطن القومي اليهودي. وعندما دارت بعض المواجهات بين المتظاهرين العرب والمستوطنين اليهود تدخل البوليس البريطاني. ما أسفر عن استشهاد أربعة من العرب. ومقتل خمسة من يهود. وجرح العشرات. (محسن. 1986م. ارمسترونغ. 1998م. ابو علية. 2000م).

وإزاء المواجهات التي دارت بين العرب واليهود. وأعلن بولز أوامره شديدة اللهجة. والقاضية أن «في هذه البلاد حكومة واحدة فقط. وهذه الحكومة هي أنا. وإني مجهز بقوة عسكرية هائلة لسحق كل من يعكر صفو الأمن. وسأستخدمها في المستقبل دون قيد». وعملاً بذلك اعتقل البوليس البريطاني موسى كاظم الحسيني. وزج به في السجن. بينما أكد بولز لأعيان المدينة أن بلاده قبلت الانتداب البريطاني على فلسطين. وأنها ستحافظ على الحريات العامة الدينية. وتتيح للمهاجرين اليهود دخول البلاد بقدر حاجتها للنمو. وأن الحكومة البريطانية هي التي تنظم الهجرة. ولن تعمل على إخراج أصحاب الأملاك من ممتلكاتهم. (محسن. 1986م).

وفي عام 1921م. قررت الحركة الوطنية إرسال وفد إلى لندن: لمواصلة الكفاح السياسي هناك. إلا أن الوفد المؤلف من الجمعيات الإسلامية المسيحية. برئاسة موسى كاظم الحسيني. رئيس اللجنة التنفيذية المنبثقة عن مؤتمر الشباب العربي. توجه إلى القاهرة لمقابلة وزير المستعمرات في الحكومة البريطانية ونستون تشيرشل. لعرض المطالب الفلسطينية عليه. والتي جسدت في وثيقة وطنية. تتمحور في الحصول على الحرية. والاستقلال. ورفض الهجرة الصهيونية والوطن القومي اليهودي. وتعبيراً لهذا الرفض تم استقبال تشيرشل في القدس بالمظاهرات الصاخبة عند زيارته لمدينة القدس قادما من القاهرة. بالرغم من خطابه الهادىء في المقبرة

العسكرية البريطانية. ودعوته للتعايش بين أبناء الديانات السماوية الثلاث. (الشورة. 2004م).

إلا أن تشيرشل. سرعان ما بدل لهجته في لقائه مع الزعامات الوطنية. وفي مقدمتهم وفد اللجنة التنفيذية برئاسة موسى كاظم الحسيني في 28/3/1921م. عندما أكد للجميع أن حكم بريطانيا لفلسطين جاء نتيجة للانتصار العسكري الذي حققه الجيش البريطاني على الجيش العثماني. وأن حكومته ستستمر في حكمها للبلاد مدة طويلة. وأن مؤسسات حكومة الانتداب في فلسطين سوف تتطور حتى تؤدي إلى الحكم الذاتي الكامل. (الشورة. 2004م).

وإزاء ذلك. استغل الأهالي قدوم الأمير عبدالله. لمقابلة الوزير البريطاني في القدس. وزيارة المقدسات في 29/3/1921م. لتنظيم مظاهرة صاخبة عقب صلاة الجمعة ضد السياسة الإنجليزية المنحازة للحركة الصهيونية. فرقها البوليس البريطاني بالقوة. كما واصلت الحركة الوطنية في مدينة القدس نضالها الوطني في سبيل حمل الإنجليز على الاعتراف بالحقوق العربية. ووقف المشروع الصهيوني. وإقامة الوطن القومي. فعقدت المؤتمرات. وأرسلت الوفود إلى العواصم الأجنبية. وفي مقدمتها لندن. ونظمت المسيرات والاحتجاجات. ومن أبرزها الإضراب العام الذي نظمته في شباط من عام 1925م. بمناسبة زيارة اللورد بلفور إلى فلسطين. والمشاركة في افتتاح الجامعة العبرية على قمة جبل المشارف إلى الشمال الشرقي من القدس.

إلا أن مسيرة قيادة الحركة الوطنية قوبلت بالنقد من جانب بعض أعيان المجتمع الفلسطيني. ومن أبرزهم على سبيل المثال أسعد الشقيري ابن مدينة عكا ومفتيها. وكان قد شغل منصب المفتي العام للجيش الرابع العثماني. بقيادة جمال باشا السفاح في أثناء الحرب العالمية الأولى. فوصف العمل الوطني قائلاً: «لم أشعر منذ الاحتلال إلى اليوم بوجود قضية وطنية حقيقية في فلسطين....أكابر الوطنيين وأصاغرهم. من مسلمين ونصارى ودروز. استقبلوا الاحتلال البريطاني بالتهليل والترحيب....أما رجال الإدارة العسكرية البريطانيون فعملوا مذ بدء احتلالهم كما يعمل كل فاتح حكيم. عهدوا بكثير من الوظائف إلى عبدتها من أبناء العائلات الكبرى ليستميلوهم ويستعينوا بهم. وليستخدموهم فيما يريدون......فريق من الشعب بقي بحكم العادة والتقليد ملتصقا بزعمائه الذين انضموا إلى هذه الكتلة. وفريق آخر تبعها

لانه اعتقد بوطنيتها. ومن هذه الجموع غير المتناسبه تالفت الجمعيات الإسلاميه المسيحيه. واللجنة التنفيذية. ومنها انعقدت المؤتمرات. وانتخبت الوفود إلى بريطانيا العظمى. ومن أغرب ما يقال عن هذه الوفود أنه لم يكن فيها اختصاصي بالمسألة الصهيونية. ولا واحد له سابق عهد بمقاومتها. ولا متخصص بعلم السياسة والاقتصاد أو الحقوق حتى ولا خبير بتاريخ بلاد العرب وجغرافيتها. ولم يكن من بين تلك الوفود من يصح أن يقال عنه أنه ذو إلمام بالسياسة أو بعقلية الساسة البريطانيين حتى ولا يعرف اللغة الإنجليزية سوى اثنين. معرفتهم فيها منحصرة فيما يلزم لمرافقة السياح الذين يسوحون في هذه البلاد للتفرج على آثارها ومسامرتهم. هذه هي الوفود التي انتخبتها المؤتمرات التي كانت تتألف من أقليات وطنية صغيرة وأكثريات من الناقمين وطلاب المنافع والوظائف وأوفدتها إلى بلاد الإنجليز لتقابل أمثال: لويد جورج، وبالدوين، وتشرشل. وغيرهم من أقطاب السياسة وأعضاء مجالس البرلمان واللوردات. وما في وسع هذه الوفود غير أن تضع نفسها آلات في أيدي بعض الأحزاب تستعملها في مقاومة خصومها. وأن تدل دهاقنة السياسة على ما في البلاد من ضعف وقلة حيلة ودهاء. ولاريب عندي في أن الساسة البريطانيين بعد أن عجموا أعواد وفودنا اطمأنوا لسياستهم. وساروا على أوسع مقياس كما ترى: لأنهم لم يروا مثلاً من هذه الوفود ما يدل على وجود استعداد وكفاءة لإحياء الجامعة العربية .....أو تحسب أن المندوب السامي، وبطانته، وموظفي إدارته. يغرهم من هؤلاء الناس تظاهراتهم أمام الشعب واحتجاجاتهم وأكثرهم يتسللون خلسة إلى الدوائر والبيوت يلتمسون من أرباب الحل والعقد. إما رأس أو بالواسطة. تثبيتهم في وظائفهم ومراكزهم. وتوظيف ذويهم وأتباعهم. وقضاء مصالحهم. ونصرتهم على خصومهم. يعرضون بمقابل ذلك الطاعة العمياء. يجب أن يكون المندوب وحاضنته والعقلاء من أبناء البلاد أبسط من البسطاء. يعتقدون بوجود وطنية ووطنيين. في مثل هذه الأحوال وبين هذه الأقوام». (الشورة، 2004م).

عزيزي الدارس. من أهم المحطات البارزة التي شهدتها الحركة الوطنية في بيت المقدس في أثناء الاحتلال البريطاني ما يأتي:

1.3 تشكيل المجلس الإسلامي الأعلى

عزيزي الدارس، منذ أن أحكم الاحتلال البريطاني قبضته على فلسطين، عمد إلى تجميد العمل بالأنظمة العثمانية، وأغلق العديد من الدوائر الحكومية القائمة، ومنها الطابو. كما وضعت جميع المحاكم الشرعية، والأوقاف، تحت إشراف ضابط عسكري من غلاة الحركة الصهيونية، وهو ما أثار حفيظة المسلمين، عندما وجدوا أن أهم مؤسساتهم الوطنية والشرعية باتت تحت مظلة المستعمر بعد زوال المظلة العثمانية التي رعتها نحو أربعة قرون.

ونتيجة للمطالب المستمرة للإدارة البريطانية بضرورة وضعها تحت إشراف هيئة إسلامية استجابت الإدارة البريطانية لمطالبهم، وانتهى الأمر بتشكيل المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني، والذي اتخذ من القدس مقراً له.

عزيزي الدارس، لم يقتصر دور المجلس الإسلامي الأعلى على الإشراف على الشؤون الإسلامية في فلسطين، بل تجاوز ذلك لقيادة الحركة الوطنية حتى نهاية عهد الانتداب، وإزاء ذلك حظي باعتراف العديد من الدول على الصعيدين: الإقليمي، والدولي، وفي مقدمتها الخلافة العثمانية بصفتها أعلى مظلة شرعية إسلامية في العالم الإسلامي، وهو ما جعله القوة السياسية المؤثرة في مواجهة حكومة الانتداب، والوكالة اليهودية.

ويتضح دور المجلس الإسلامي الأعلى في الحركة الوطنية بعد عام 1921م، في الفعاليات السياسية المحلية، والإقليمية، والدولية التي شارك فيها، ففي عام 1923م نجده يشارك في بيعة الخلافة العثمانية في أنقرة، وإحيائها عام 1924م، بعد أن أسقطها مصطفى كمال أتاتورك، وصادق على ذلك البرلمان التركي في أنقرة، فكان الحاج أمين الحسيني في مقدمة أهل الحل والعقد الذين توافدوا على الشريف حسين بن علي في قرية الشونة لمبايعته بالخلافة، وبعد وفاة الشريف عام 1931م، راودته دعوة السلطان عبد المجيد إلى القدس لأخذ البيعة له، واتخاذها عاصمة لخلافته، كما أسهم في تنظيم العديد من المؤتمرات بحضور زعماء الدول وحكوماتها وممثلي الأحزاب والهيئات الدولية.

وكان الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، أو الحكومة الوطنية الشرعية المنتخبة، إن جاز لنا التعبير في مواجهة حكومة الانتداب والوكالة اليهودية. قد اتخذ من

المدرسة التنكزية القائمة بجوار باب السلسلة، والمطلة على ساحات المسجد الاقصى، سكنا له. وعندما ضيقت سلطات الانتداب الخناق قاد ثورة عام 1936م من داخل أسوار المسجد الأقصى، بينما اتخذ من المدرسة المنجكية مقراً للمجلس الإسلامي الأعلى، قبل أن يدشن مقره الدائم قبالة باب الخليل عام 1929م. (نجم، 1983م).

وعندما عزم المجلس الإسلامي عام 1928م على إنشاء مقر جديد له، نلاحظ أنه حرص على أن يكون بجوار البلدة القديمة، فوقع الاختيار على أرض الوقف المجاورة لمقبرة ما ملا - مأمن الله - القائمة قبالة باب الخليل، وفرغ من ذلك عام 1929م، وجاءت تصاميمه وزخارفه على نسق العمارة الإسلامية التي تزخر بها مدينة القدس، بهدف تمييزه عن المقرات الاستعمارية الحاكمة، وعندما احتل الشطر الغربي من المدينة عام 1948م، استخدمته وزارة الصناعة والتجارة الإسرائيلية، واستمر على ما هو عليه إلى أن سوته الآليات الإسرائيلية بالأرض في شهر أيار من عام 2007م.

وفي رحاب مقر المجلس الإسلامي الأعلى استقبل الحاج أمين الحسيني الوفود الرسمية والشعبية، وقاد فعاليات الحركة الوطنية منذ عام 1921م، وعندما أجبر على مغادرة فلسطين عام1937م، استمر المجلس في ممارسة صلاحياته كحكومة وطنية عبر اتصالاته المباشرة وغير المباشرة بالحاج أمين، وبموجب ذلك ظلت الأوامر المدنية والعسكرية تصدر عنه بصفته رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى، الذي اعترفت به حكومة الانتداب من ناحية، والهيئة العربية العليا المنبثقة عن الدول العربية عام 1946م، التي شاركت في اجتماعات مؤتمر بلودان بدمشق من ناحية أخرى، فمن مقره في القاهرة عين القائد عبد القادر موسى كاظم الحسيني قائداً عاماً لكتائب الجهاد المقدس، التي تشكلت في فلسطين بعد رحيل الانتداب، واتخذت من المدرسة المأمونية مقراً لها، ونتيجة لتداخل الأحياء العربية مع المستوطنات الصهيونية في المدينة، اضطر عبدالقادر إلى نقل القيادة الميدانية للكتائب إلى قرية بيرزيت إلى الشمال الغربي من القدس.

1- بين من هو عبد القادر الحسيني ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية؟

2- وضح ما هو المجلس الإسلامي الأعلى، ودوره في التصدي للاستعمار البريطاني والاستيطان اليهودي؟

3- ما المقصود بالمؤتمر السوري العام؟ ولماذا انعقد؟ وما هي أهدافه؟

2.3 ثورة البراق 1929م

عزيزي الدارس، لم تقتصر ثورة البراق على مدينة القدس، بل امتدت لتشمل العديد من المدن والقرى الفلسطينية، وعرفت بالبراق لكونها انطلقت من ساحة البراق الشريف، وكانت تجاوزات المستوطنين اليهود على الحقوق العربية والإسلامية في زقاق المغاربة وساحة البراق الشريف، السبب المباشر الذي أدى إلى اشتعال فتيل الثورة التي عرفت باسمه عام 1929م، أما الأسباب الحقيقية للثورة فتتمثل فيما يأتي:

1. سياسة الانتداب البريطاني المنحازة للحركة الصهيونية.
2. محاولات الحركة الصهيونية الحثيثة للسيطرة على زقاق المغاربة وحائط البراق.
3. تنامي قوة الوكالة اليهودية بحيث أصبحت القوة الثانية بعد حكومة الانتداب البريطاني.
4. انتقال مساحة واسعة من أراضي فلسطين إلى الحركة الصهيونية في منطقة سهل مرج ابن عامر، والحولة، والسهل الساحلي، على أيدي الملاكين الكبار اللبنانيين وفي مقدمتهم آل سرسق، وما ترتب على هذه الصفقات من طرد (5000) عائلة فلسطينية من قراهم ومزارعهم، بدعوى أنها من ممتلكات سرسق، وقد انتقلت الغالبية العظمى منهم إلى مدينة حيفا لتقيم في مخيم حواسة، وبذلك يعد أول مخيم للشتات الفلسطيني يظهر إلى حيز الوجود قبل نكبة عام 1948م بنحو عقدين من الزمان.
5. موجات الهجرة الصهيونية التي حطت رحالها على أرض فلسطين عام 1927/1928م وكانت القدس إحدى المحطات المهمة لها.

5. التدابير النظرية التي اتخذتها حكومة الانتداب لحماية حقوق المزارعين العرب.

عزيزي الدارس، جاءت أحداث البراق على خلفية عدم التزام المستوطنين اليهود بالأعراف والنظم والقوانين التي سارت عليها الدولة العثمانية، ومتولي أوقاف المغاربة مع المصلين اليهود، فعمدوا في مساء عيد الغفران من عام 1928م إلى وضع الطاولات والكراسي في أرض الزقاق المؤدي إلى حائط البراق، ونصب المظلات والستائر من فوقها، الأمر الذي أثار حفيظة المسلمين، إلى درجة أن البوليس البريطاني استهجن ما يقومون به.

ومما لا شك فيه، أن ما تم وضعه ونصبه من أصول مستحدثة بإقرار البوليس البريطاني واعترافه، لم يتم إقراره من جانب المغاربة أصحاب الزقاق في اتفاقيات الزيارة المبرمة مع المصلين اليهود، إلا أن المصلين الوافدين إلى الحائط من مستوطني تل أبيب قاموا بمظاهرة صاخبة وهم في طريقهم إلى الحائط يوم 15/8/1929م، وهتفوا هتافات معادية للعرب، ورددوا شعارات "الحائط حائطنا"، مما أجج المشاعر العربية بالرغم من تفرق المظاهرة دون أي صدامات.

ظلت الأيام القادمة تنذر باشتعال فتيل الثورة، وجاء ذلك هذه المرة جراء شجار نشب بين المستوطنين اليهود والعرب، نتيجة لسقوط كرة لأحد المستوطنين في حديقة بيت عربي، وكان الشجار قد أسفر عن مقتل المستوطن، وهو ما دفع المستوطنين اليهود إلى مهاجمة المواطنين العرب في أثناء تشييع الجثمان.

عزيزي الدارس، وجد المواطنون العرب في أحداث التشييع تمادياً خطيراً من جانب المستوطنين اليهود، لابد من وضع حد لذلك، فبعد انقضاء صلاة الجمعة في المسجد الأقصى يوم 23/8/1929م، انطلق المصلون لمهاجمة الأحياء والمؤسسات الصهيونية، وامتدت المواجهات من أحياء المدينة إلى العديد من مناطق فلسطين، ونتيجة لذلك سقط في أثناء المواجهات التي عمت جميع أنحاء فلسطين مع نهاية شهر آب ما يقرب من (1000) شخص، بين قتيل وجريح، ناهيك عن الأسرى والمعتقلين، ومن بينهم ما يقرب من (120) شهيداً، سقط معظمهم برصاص البوليس البريطاني، وكانت سلطات الانتداب قد حكمت على (23) مواطناً عربياً بالسجن المؤبد، وعلى (187) أحكاماً متفاوتة، ونفذت حكم الإعدام بحق (3) مواطنين في سجن عكا، وهم: فؤاد حجازي، ومحمد جمجوم، وعطا الزير.

وفي سبيل تهدئة الخواطر، وتخفيف حدة الثورة، والوقوف على حقيقة الأسباب الكامنة خلفها، أرسلت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق برئاسة السير والتر شو «Sir Walter Shaw»، وثلاثة أعضاء يمثلون الأحزاب البريطانية، وهي: العمال، والمحافظون، والأحرار. وبعد التحقيق المفصل أصدرت اللجنة تقريرها في آذار من عام 1930م، أقرت فيه بأحقية المسلمين في ملكية حائط البراق وزقاق المغاربة المؤدي إليه، وإن تذمر السكان من الهجرة والاستيطان هو السبب الحقيقي للثورة.

ومن الجدير بالذكر أن تقرير لجنة شو أخذته الحكومة البريطانية على محمل الجد، نظراً للظروف والخلل الواضح في ميزان القوى في أوروبا مع وصول الحزب النازي إلى سدة الحكم في ألمانيا عام 1929م، والأزمة الاقتصادية الدولية التي عانتها الدول الاستعمارية باستثناء ألمانيا، واحتمالات قيام قنوات اتصال بين ألمانيا والحركة الوطنية الفلسطينية. فأرسلت إلى فلسطين في أيار من عام 1930م خبير الأراضي السير جون هوب سمبسون؛ لدراسة أوضاع الأراضي الفلسطينية، ومدى تأثرها بالهجرة والاستيطان، وانعكاساتها على واقع الملكية الصغيرة. وبعد تقصي الأمور أصدر القاضي تقريره وتضمن ما يأتي:

1. إن الأراضي المتبقية في أيدي العرب لا تكفي لسد حاجتهم.
2. ارتفاع نسبة الأراضي المنتقلة إلى الحركة الصهيونية.
3. إن الهجرة المشروعة وغير المشروعة التي تتعرض لها فلسطين تفوق طاقة أراضيها الإنتاجية.

وبموجب ما جاء في تقريري شو وسمبسون أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض في 12/10/1930م؛ للتخفيف من ردة الفعل العربية. بينما كانت هذه الأساليب لا تنطلي على الحركة الوطنية. ويتجلى ذلك في البيان الشديد اللهجة الذي أرسله موسى كاظم الحسيني إلى المندوب السامي في القدس، ومما جاء فيه "إن اضطرابات فلسطين السابقة والحالية إنما هي ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية الصهيونية، التي ترمي إلى إخفاء القومية العربية في وطنها الطبيعي، لكي تحل محلها قومية يهودية، لا وجود لها. كما تعلمون أن عرب فلسطين تكبدوا كل شيء عظيم في سبيل حقوقهم، وهم لا يترددون في أن يتكبدوا أكثر من ذلك". (محسن، 1986م).

أما الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، فعمد إلى عقد مؤتمر إسلامي عام في رحاب المسجد الأقصى في ذكرى الإسراء والمعراج، الذي صادف يوم 7 كانون الأول من عام 1931م، وقد حضره العديد من ممثلي الدول العربية والإسلامية؛ لبحث ما تعانيه فلسطين عامة والقدس خاصة من أخطار على أيدي الحكومة البريطانية والحركة الصهيونية، ومن أهم القرارات الصادرة عنه:

1. إنشاء جامعة إسلامية تعرف باسم «جامعة المسجد الأقصى»، تعيد للقدس ريادتها العلمية في العالم الإسلامي، وتجعل من المسجد الأقصى ملاذاً للعلم والعلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي، والتصدي للثقافة الصهيونية، التي بلغت ذروتها في إنشاء الجامعة العبرية، التي تم افتتاحها عام 1925م، من قبل اللورد بلفور، وقد اتخذ المجلس الإسلامي الأعلى الإجراءات المناسبة لجمع التبرعات اللازمة لإنفاذ المشروع بالرغم من المعارضة الشديدة التي لقيها من جانب الوفد المصري، نظراً لما قد يلحقه هذا من تأثير بالجامع الأزهر بسبب أهمية المدينة المقدسة.
2. مقاطعة البضائع الصهيونية.
3. إعادة تشغيل خط سكة حديد الحجاز التي كانت وقفاً إسلامياً، وكانت تربط القدس بعدد من العواصم والمدن العربية وفي مقدمتها المدينة المنورة، ودمشق، وعمان، والقاهرة، علاوة على المدن الفلسطينية.
4. إنشاء شركة زراعية، لإنقاذ الأراضي الفلسطينية المهددة بالشراء من قبل الحركة الصهيونية.

أما على الصعيد الداخلي، ففي عام 1935م بادر الحاج أمين الحسيني لتنظيم مؤتمر خاص بهيئة علماء الدين في فلسطين، وذلك في رحاب المسجد الأقصى، للتباحث في أحوال فلسطين، وكان قد ضم في عضويته نحو (400) شخصية فلسطينية من كبار رجال القضاة والإفتاء والأوقاف، ومن أهم القررات التي صدرت عنه ما يأتي:

1. إصدار فتوى شرعية تحرم بيع أي جزء من أراضي فلسطين لليهود، واعتبار كل من لم يلتزم بها خارجاً عن الدين، وبموجب ذلك لا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

2. حث حكومة الانتداب البريطاني على وقف الهجرة الصهيونية.

3. مساعدة كل من أراد من أهالي فلسطين وقف أرضه وقفاً خيرياً أو ذرياً. وبالتالي وضعها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تحت إشراف المجلس الإسلامي الأعلى. وذلك للحيلولة دون تسربها للحركة الصهيونية.

4. مناشدة زعماء الدول العربية والإسلامية وملوكها ورؤسائها لمساعدة عرب فلسطين في محنتهم.

5. دعم الاقتصاد الوطني وذلك بإنشاء الشركات الاستثمارية الوطنية.

3.3 الثورة الفلسطينية الكبرى 1936م

عزيزي الدارس. نتيجة لسياسة بريطانية المنحازة. وتجذر المشروع الصهيوني. من يوم إلى يوم من خلال شراء الأراضي. والهجرة. وبناء المستوطنات: ففي عام 1935م. دخل فلسطين (50000) مستوطن. توجه عدد كبير منهم إلى الاستيطان في مدينة القدس. أدركت الحركة الوطنية أن المقاومة هي السبيل لتفرض على الحكومة البريطانية التراجع عن فكرة الوطن القومي اليهودي. وإنهاء الانتداب. ومنح فلسطين الحرية والاستقلال. فما أن بدأ الإضراب العام في 19/4/1936م حتى بادرت قيادة الأحزاب الفلسطينية في القدس لتشكيل اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني. وعضوية زعمائها: لتقوم بمتابعة الثورة. والعصيان المدني. إلى أن تتحقق أهدافها في الحرية والاستقلال.

بذلت الحكومة البريطانية جهوداً عسكرية وسياسية مضنية لوقف الثورة. وعندما فشلت في ذلك لجأت للمهادنة والمراوغة: فاستغلت علاقة الحركة الوطنية الفلسطينية الوطيدة بالزعماء العرب. فاستخدمت نفوذها لديهم لإقناع الحركة الوطنية بوقف الإضراب. وكان لها ما أرادت. فوجه زعماء الدول العربية بيانهم القاضي بوقف الإضراب. ومما جاء فيه: «إلى أبنائنا عرب فلسطين......لقد تأثرنا للحالة السائدة في فلسطين. فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب. والأمير عبد الله. ندعوكم للإخلاد إلى السكينة حقنا للدماء. معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية. ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل. وثقوا بأننا سنواصل

السعي في سبيل مساعدتهم»، ولا شك أن التوجهات البريطانية جاءت في سبيل تهدئة الثورة، وذلك في إطار الاستعدادات الحثيثة لمواجهة ألمانيا النازية، والتحضير للحرب العالمية الثانية. (محسن، 1986م).

وعملاً بالتوجهات الجديدة، أرسلت الحكومة البريطانية لجنة بيل؛ للتحقيق في الأسباب الكامنة خلف قيام الثورة، وبعد التقصي في الأوضاع، وضعت توصياتها، والتي تقضي بتقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام وهي على النحو الآتي:

1. دولة عربية: وتتألف من شرق الأردن، والأقسام الشرقية والجنوبية من فلسطين.
2. دولة يهودية: وتتألف من المناطق الشمالية والسواحل الغربية من فلسطين حيث تنتشر المستوطنات الصهيونية.
3. منطقة الانتداب: وتتألف من المنطقة المحيطة بالقدس وبيت لحم، إلى جانب مدينتي الناصرة، وطبريا، حيث توجد الأماكن الدينية المقدسة، وتتصل بالبحر الأبيض المتوسط في ممر خاص يشمل مدينتي اللد ويافا. (ارمسترونج 1998م).

وفي ضوء استمرار الثورة في فلسطين، عمدت السلطات البريطانية في 29/9/1937م، لمداهمة مقر اللجنة العربية العليا في محاولة منها لاعتقال الحاج أمين الحسيني، فلجأ إلى المسجد الأقصى، وظل في ملجئه الآمن إلى أن أفلت من البوليس البريطاني، وغادر ميناء يافا إلى بيروت، ليقود العمل الوطني من منفاه خارج فلسطين، بينما اعتقلت السلطات البريطانية العديد من أعيان الحركة الوطنية، وحملتهم إلى السجون والمنافي في جزيرة سيشل.

4.3 تشكيل كتائب الجهاد المقدس 1947م

عزيزي الدارس، في ظل الحرب العالمية الثانية 1939-1945م، عمدت الحركة الصهيونية إلى عقد مؤتمرها العام في فندق بلتمور في مدينة نيويورك عام 1942م، وعلى أثر ذلك تم نقل نفوذها من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما شجع الحركة الصهيونية على التطاول على السياسة البريطانية، وأي قرار من شأنه أن يعرقل مخططاتها.

وعندما تلكأت الحكومة البريطانية في منح (100000) تأشيرة هجرة للمستوطنين الوافدين من ألمانيا عام 1945م، عمدت الحركة الصهيونية إلى نسف فندق الملك داود القائم في الحي الغربي من المدينة، والذي تتخذ منه القيادة البريطانية في القدس مقراً لها، مما أودى بعدد كبير من الجنود، وهو ما حمل الحكومة البريطانية على التفكير في الانسحاب من فلسطين. وعملاً بذلك أحال وزير الخارجية البريطاني بيفن أمر الانتداب في فلسطين إلى الأمم المتحدة، ونتيجة لذلك تم المصادقة على مشروع التقسيم في 12/11/1947م، ويقضي بما يأتي:

1. تقسيم فلسطين إلى دولتين: الأولى عربية، حيث يتركز السكان العرب، والثانية يهودية حيث يتركز المستوطنون اليهود.

2. وضع مدينة القدس والمناطق المحيطة بها تحت الإدارة الدولية.

عزيزي الدارس، رأى العرب في التقسيم حلا غير منصف، ومتحيزا للحركة الصهيونية، فصمموا على مواصلة المقاومة، فاشتد القتال في الجهة الغربية من المدينة، حيث تتداخل الأحياء العربية مع المستوطنات اليهودية. وإزاء الجرائم والاعتداءات الصهيونية على حي القطمون، والشيخ جراح، قامت كتائب الجهاد المقدس بعدد من العمليات العسكرية الناجحة، ومن أهمها:

1. نسف مقر الوكالة اليهودية، الذي يعد مقر الحكومة غير الرسمي للحركة الصهيونية في المدينة.

2. تدمير شارع بن يهودا، الذي يربط بين عدد من المستوطنات، ويعج بالحركة التجارية والمؤسسات الصهيونية.

3. قطع طريق القدس - يافا الممتدة عبر مجرى وادي سيدنا علي، والذي يعد الشريان الرئيس الذي يصل المستوطنات الصهيونية في المدينة، ومراكز التموين في مستوطنات السهل الساحلي.

4. تشديد الحصار على نحو (100000) مستوطن في الأحياء الغربية، وإجبار عدد كبير من العصابات الصهيونية على الاستسلام، وإزاء ذلك بذلت الحركة الصهيونية جهوداً

مضنية في سبيل فك الحصار عنها بعد استشهاد القائد عبد القادر الحسيني في معركة قرية القسطل القائمة على بعد (8) كم. إلى الشمال الغربي من القدس عام 1948م.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

بين الدور الذي لعبه المجلس الإسلامي الأعلى في قيادة الحركة الوطنية، والدفاع عن مدينة القدس أمام الهجمة الاستعمارية البريطانية والصهيونية؟

5.3 قيام منظمة التحرير الفلسطينية

عزيزي الدارس، بالرغم من عمق الجراح التي خلفتها نكبة عام 1948م في الشعب الفلسطيني إلا أنه لم يستسلم للهزيمة، بل استمر في نضاله الوطني بشتى السبل والوسائل، وهو ما حمل قيادته الوطنية على التفكير في إنشاء إطار منظم يرعى كفاحه الوطني في الداخل، وعرض قضيته العادلة في المحافل الدولية في الخارج، وآزرهم في هذا التوجه عدد كبير من الدول العربية، والإسلامية، والصديقة، فوقع على مدينة القدس الاختيار لتكون حاضنة الانطلاقة الأولى لمنظمة التحرير الفلسطينية، نظراً لمكانتها الدينية والحضارية، ودورها الريادي في قيادة الحركة الوطنية منذ أن بدأ المشروع الصهيوني بالتبلور في العقد الثالث من القرن التاسع عشر، ومرور خط وقف إطلاق النار على مقربة من السور الغربي للبلدة القديمة.

ففي يوم 28/5/1964م، عقد المؤتمر الفلسطيني الأول برئاسة مندوب فلسطين في الجامعة العربية أحمد الشقيري، في فندق انتركونتنتال في الشطر الشرقي من المدينة القائم تحت الإدارة الأردنية، ليعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية، وافتتحه الملك الحسين بحضور ممثلي العديد من الدول العربية، والإسلامية، والهيئات، والمؤسسات العربية الوطنية، وقد حرص المؤتمر على عدم إثارة أي خلافات جانبية مع الأردن صاحبة الولاية السياسية على المدينة، وهو ما أشار إليه الشقيري صراحة في كلمتي الافتتاح

والختام، حيث اكد ان قيام منظمه التحرير لا يعني انفصال الضمه العربيه عن الاردن، وان تعبير الكيان الفلسطيني الذي ردده باستمرار ما هو إلا تعبير صعب ينطلق من الفاجعة التي حلت بفلسطين وأهلها رواد الوحدة العربية ودعاتها. ومما يؤيد ذلك نصوص المادة (24) من الميثاق الفلسطيني الصادر عن المؤتمر، والتي أكدت حرص المنظمة على عدم ممارسة أي سيادة على الأراضي الفلسطينية المنضوية تحت الحكم الأردني في الضفة الغربية، والمصري في قطاع غزة، والسوري في قطاع الحمة، وإزاء ذلك، لم تفكر منظمة التحرير باتخاذ القدس عاصمة سياسية للدولة الفلسطينية المنشودة إلا بعد احتلالها عام 1967م.

[redacted]

عزيزي الدارس، دخل الجيش الأردني للدفاع عن فلسطين في إطار جيش الإنقاذ الذي شكلته الدول العربية عام 1948م، ومن أهم الجبهات التي شارك فيها جبهة القدس بقيادة عبد الله التل، وإزاء ذلك خاض معارك شرسة مع العصابات الصهيونية، جنباً إلى جنب مع كتائب الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني في أحياء الشيخ جراح، والقطمون، وجبل المكبر، والحي الأرمني، وباب الواد - وادي سيدنا علي -، واللطرون، وقد قدم العديد من الشهداء من جنوده وضباطه، وكبد العصابات الصهيونية خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وحمى قسماً كبيراً من الأحياء العربية والمقدسات الإسلامية والمسيحية من تعدياتها.

وبالرغم من كل المحاولات التي استخدمتها العصابات الصهيونية في سبيل إحكام قبضتها على جميع أحياء المدينة، وذلك بعد أن تمكنت من فك الحصار المفروض على مستوطناتها في الأحياء الغربية من جانب كتائب الجهاد المقدس والجيش الأردني، إلا أنها فشلت في ذلك.

وفي ضوء الوضع العسكري المتردي للجيوش العربية في معظم الجبهات، وما ترتب عليها من نكبة، وخسارة ما يقرب من 77% من إجمالي مساحة فلسطين، والتفاهمات

الدولية، وضغوطات الدول العظمى، اجبرت الدول العربية المشاركة في حرب عام 1948م، باستثناء العراق، على توقيع اتفاقية الهدنة في جزيرة رودس مع الجانب الإسرائيلي عام 1949م. كما بادر أعيان ووجهاء الضفة الغربية القائمة تحت سيطرة الجيش العراقي والأردني إلى عقد مؤتمر أريحا في 1/12/1948م، والخروج بقرارات وحدة الضفتين، والمناداة بالملك عبدالله الأول ملكاً دستورياً عليها. وعملاً بذلك أصدرت الحكومة الأردنية بياناً في مطلع عام 1950م، بين ضفتي نهر الاردن بوصفها وحدة واحدة. كما صادق البرلمان الأردني على مشروع الوحدة في 24/4/1950م، وبموجب ذلك منح سكان الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، الجنسية الأردنية. واستمر مشروع الوحدة قائماً حتى صدور قرار فك الارتباط القانوني والإداري مع الضفة الغربية عام 1988م، وذلك بالرغم من وقوع الضفة الغربية، بما فيها الشطر الشرقي من القدس، في قبضة الاحتلال عام 1967م.

حاول الملك عبد الله أن يتخذ من القدس عاصمة سياسية له منذ وقت مبكر، إلا أن تطلعاته قد فشلت أمام الانتداب البريطاني. كما أن نقل العاصمة من عمان إلى القدس في ظل الوحدة بات أمراً مستحيلاً في ضوء الأوضاع الأمنية القائمة. وذلك بعد أن أصبح خط الهدنة الفاصل بين القوات الأردنية والإسرائيلية يساير السور الغربي للبلدة القديمة. وبالتالي فإن نقل المؤسسات الحكومية من عمان إلى القدس، سوف يجعلها في نطاقات أمنية هشة. وهو ما حمل الأردن على اعتمادها العاصمة الروحية الأولى، والسياسية الثانية للمملكة.

وفي ضوء الاعتبارات الأمنية، تم نقل العديد من الدوائر الحكومية من القدس إلى عمان، وهو ما أثار حفيظة أبناء المدينة. ومما يؤيد ذلك الكلمة التي ألقاها عارف العارف رئيس بلديتها بين يدي الملك عبد الله عام 1950م، عندما قال: «اسمحوا لي يا صاحب الجلالة، أن أنقل إلى جلالتكم رغبة أبنائكم المخلصين، سكان هذا البلد المقدس، في أن تبقى العاصمة الثانية لملككم السعيد، وأن تأمروا بمد يد العون لها، فإنها في حاجة ماسة للعون، ولا تسمحوا بنقل مصالح الحكومة ودواوينها المركزية منها.....».

وانسجاماً مع مكانتها كعاصمة روحية أولى، وسياسية ثانية، قام الأردن بمجموعة من

الإجراءات في المدينة. وفي مقدمتها ترقية مجلسها البلدي عام 1959م إلى أمانة أسوة بالعاصمة عمان. وتوسيع خريطتها الهيكلية لتمتد شمالاً لتطال أهم مراكز السيادة السياسية في ضاحيتها الشمالية. وتتمثل بمطار القدس الدولي القائم في أراضي قرية قلنديا. ومحطة الإذاعة. والقصر الملكي في رام الله. وبذلك ارتفعت مساحة الشطر الشرقي من (6000) دونم إلى (75000) دونم.

وفي سبيل مواجهة الإجراءات الإسرائيلية في الشطر الغربي. والذي استحوذ على (16261) دونماً. أي ما يوازي 84% من إجمالي مساحة المدينة البالغة (19360) دونماً عام 1948م. فقد عمدت الدول العربية إلى وضع وإنفاذ مشروع مواز للمشروع الصهيوني المعروف «بالقدس الكبرى» تحت اسم «مشروع مدينة القدس الكبرى». وشاركت فيه إلى جانب الأردن الجمهورية العربية المتحدة. ومثلها في لجنة الإشراف على المشروع وكيل وزارة الإسكان والمرافق المهندس حسين الشافعي. وكانت خطته تقوم على أساس توسيع حدود البلدية. وزيادة حجم الكثافة السكانية فيها. وشبكة الطرق الرئيسة اللازمة لوصلها بمحيطها العربي. إلا أن الحكومة الإسرائيلية لم تقنع بما سيطرت عليه عام 1948م. فوضعت عام 1963م خطة عسكرية لاحتلال شطرها الشرقي. وهو ما تم إنفاذه عام 1967م. (التل. 1990م).

5. الخلاصة

عزيزي الدارس، عرضنا في هذه الوحدة أهم الملامح العامة لتاريخ المدينة المقدسة في ظل الاحتلال البريطاني1948-1917م، ووحدة الضفتين 1967-1948م. وان الإغراق في تفاصيلها الزاخرة بالأحداث في فصل دراسي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نوفيه حقه بكل معنى الكلمة، وفي ضوء ذلك. فقد تم التركيز في هذه العجالة على ثلاثة محاور أساسية: المحور الأول: كرس لمعالجة الإدارة البريطانية وعرضها، وتم التركيز فيه على مسألة الاحتلال، والحكم العسكري، والإدارة المدنية التي حكمت المدينة ما بين عام 1922-1948م، والسياسة الاستعمارية التي مارسها الاحتلال بحق المدينة في سبيل ترسيخ أقدام الوطن القومي اليهودي فيها. المحور الثاني: عرض المقاومة الوطنية التي قادها المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني، وكتائب الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر موسى كاظم الحسيني، وانطلاق منظمة التحرير الفلسطينية عام 1965م، وبحضور عدد من زعماء الدول العربية وممثليها. المحور الثالث: خصص لمعالجة وحدة الضفتين، والتي تم وضع النواة الأولى لها في مؤتمر أريحا عام 1948م، وصادق عليها البرلمان الأردني عام 1950م، وقد ظلت فعالياتها قائمة على الأرض حتى نكسة عام 1967م.

6. لمحة عن الوحدة الدراسية الثامنة

سنتناول، عزيزي الدارس، في الوحدة الثامنة أوضاع مدينة القدس البائسة في ظل الاحتلال الإسرائيلي الجاثم عليها منذ عام 1967م وإلى يومنا هذا، وسياسته العنصرية القائمة على الضم، والتهويد، والاستيطان، وطمس المعالم العربية الإسلامية، مخالفة بذلك القوانين والأعراف الدولية في ظل الوهن والضعف العربي والإسلامي، وسيطرة النظام العالمي الجديد، وهيمنة القطب الأمريكي على العالم منذ تفكك الاتحاد السوفيتي.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

علل ما يأتي:

أ- حملة جمال باشا على مصر في أثناء الحرب العالمية الأولى.

1. تحريض الشعب المصري على الثورة ضد الاستعمار البريطاني الجاثم على مصر منذ عام 1882م.

2. قطع طريق المواصلات الاستراتيجية المارة عبر قناة السويس للإمبراطورية البريطانية مع مستعمراتها في الشرق وفي مقدمتها الهند. والتي كانت تعد أهم مستعمرة للتاج البريطاني.

3. إشغال الجيش البريطاني عن جبهة الدردنيل والبحر الأسود والعراق وغيرها من الجبهات.

ب- فشل الجيش العثماني في حملاته على قناة السويس 1915/1916م.

1. عدم التكافؤ بين عدد أفراد الحملة العثمانية البالغ (20000) جندي وعدد الجيش البريطاني المرابط على الضفة الغربية للقناة والبالغ ما يقرب ال(70000) جندي.

2. إقدام الدولة العثمانية على نقل مجموعة من وحدات الجيش الرابع ومعداته الثقيلة إلى جبهتي العراق والقفقاس.

3. بعد المسافة بين القدس مركز القيادة وخط الجبهة في قناة السويس. وما يترتب عليها من بعد في خطوط التموين والاتصال.

4. نقص التموين. وفي مقدمته الماء. وهو ما حمل القيادة العامة إلى تقنين استهلاك الجيش من المياه.

5. نفوق اعداد كبيرة من الحيوانات العاملة المستخدمة في جر المدافع والعربات وحمل العتاد في صحراء سيناء بسبب نقص المياه وصعوبة الصحراء.

6. انتشار الأمراض والأوبئة في صفوف الجيش العثماني وفي مقدمتها الكوليرا.

7. قوة التحصينات البريطانية القائمة على الضفة الغربية للقناة.

8. قلة المعديات البحرية اللازمة لعبور القناة، الأمر الذي جعل مسألة اختراق التحصينات البريطانية في غاية الصعوبة.

9. الخسائر الفادحة التي حلت بالجيش العثماني في هجماته مما أثر في معنوياته، وهو ما حمل جمال باشا على الانسحاب وإعادة النظر في خطته العسكرية.

تدريب (2)

الممارسات الاستعمارية البريطانية بحق القدس:

1. تهويد المدينة، وفتح أبوابها على مصراعيها للهجرة الصهيونية، بغية تحويل سكانها الأصليين إلى أقلية.

2. دعم الحركة الصهيونية في المجالات: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، وذلك بهدف تثبيت جذورها في المدينة تمهيدا للسيطرة عليها، وتمكينها من المؤسسات الوطنية المحافظة على طابعها العربي والإسلامي، وفي مقدمتها المجلس البلدي الذي يعد المؤسسة الوطنية الثانية التي حملت لواء المقاومة وقيادة الحركة الوطنية بعد المجلس الإسلامي الأعلى.

3. اعتماد سياسة المراوغة والمهادنة، وذلك بهدف شق الصف الوطني في المدينة، واسترضاء الحكومات العربية الصديقة.

4. توسيع حدود البلدية غربا بهدف إدخال المستوطنات المقامة حديثاً ضمن تنظيمات المجلس البلدي لزيادة نسبة السكان اليهود مقارنة بالسكان العرب؛ فعند بداية الاحتلال البريطاني [illegible] (5000) [illegible] عام 1936م إلى [illegible] دونم.

5. تسهيل شراء الأراضي وبناء المستوطنات.

6. الانحياز للمستوطنين اليهود في أي مواجهات تنشأ بينهم وبين السكان العرب سواء أكانت في الشوارع والميادين العامة أم في أروقة المحاكم، ففي المواجهات التي دارت في ثورة البراق عام 1929م استشهد غالبية الشهداء العرب برصاص البوليس البريطاني، إلى

جانب تغاضيها عن تجاوزات المستوطنين وتسليمهم الاسلحة.

7. قمع الحركة الوطنية الفلسطينية، وحمل العديد من أهالي المدينة إلى السجون والمعتقلات والمنافي خارج المدينة. وفرض الإقامة الإجبارية والغرامات الباهظة.

8. العمل على تمكين المستوطنين اليهود من المسجد الأقصى بعامة وحائط البراق بخاصة بشتى الطرق والوسائل.

9. محاربة الثقافة العربية الإسلامية وتقوية الثقافة العبرية.

10. الطريقة التي انسحبت بها حكومة الانتداب عندما أيقنت أن الوطن القومي قد ترسخت أقدامه في فلسطين بعامة والقدس بخاصة.

8. مسرد المصطلحات

- **بلاد العدو المحتلة الجنوبية:** وهي المقاطعات التي احتلها الجيش البريطاني في أثناء الحرب العالمية الأولى من الجيش العثماني، وتتألف من مقاطعات فلسطين التي وضعت تحت الحكم العسكري، وتم إدارتها بإشراف القيادة العامة للجيش البريطاني في القاهرة.

- **المؤتمر السوري العام:** وهو المؤتمر الذي عقد في دمشق في 8 آذار من عام 1920م، وتم فيه إعلان استقلال بلاد الشام في دولة واحدة عاصمتها دمشق، ونودي بفيصل بن الشريف الحسين بن علي ملكاً دستورياً عليها، وقد شاركت فلسطين ب(130) عضواً من أعضائه، وذلك برئاسة موسى كاظم الحسيني.

- **اللجنة العربية العليا:** لجنة عامة تشكلت عام 1936م مع بداية انطلاق الثورة الفلسطينية الكبرى برئاسة الحاج أمين الحسيني، وعضوية رؤساء الأحزاب الفلسطينية، ومن أعضائها الفرد روك، وعبد اللطيف صلاح، وأحمد حلمي عبد الباقي، وراغب النشاشيبي، وفؤاد سابا، ويعقوب الغصين، وحسين الخالدي، وجمال الحسيني.

- **الهيئة العربية العليا:** تشكلت بموجب المؤتمر العربي المعقود في بلودان بدمشق عام 1946م، وضمت في عضويتها الأحزاب والجمعيات والهيئات الفلسطينية برئاسة الحاج أمين الحسيني، وجمال الحسيني نائباً له، وحسين الخالدي سكرتيراً عاماً وعضوية كل من أحمد

حلمي عبد الباقي، وأميل الغوري.

- **الإذاعة الفلسطينية:** أنشئت عام 1936م في مدينة القدس، وتعد المحطة الثانية في الوطن العربي بعد إذاعة القاهرة والتي أنشئت عام 1935م، وكانت تبث برامجها باللغات: الإنجليزية، والعربية، والعبرية.

- **مطار القدس الدولي:** أنشئ في عشرينيات القرن الماضي إلى الشمال من مدينة القدس في أراضي قرية قلنديا، الأمر الذي يفسر نعته باسم مطار قلنديا، واستمر دوره في وصلها بالعالم الخارجي حتى نكسة عام 1967م.

9. المصادر والمراجع

1. أرمسترونغ، كارين، القدس، مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، 1998م.
2. أبوبكر، أمين مسعود، ملكية الأراضي في متصرفية القدس 1858-1918م، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، 1996م.
3. التل، عبد الله، كارثة فلسطين مذكرات عبد الله التل قائد معركة القدس، ط2، دار الهدى، عكا، فلسطين، 1990م.
4. سجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
5. السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، يافا، فلسطين، 1937م.
6. الشورة، صالح علي، مدينة القدس تحت الاحتلال والانتداب البريطانيين1917-1948، منشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الاردنية، عمان، الاردن، 2004م.
7. شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882، ترجمة كامل العسلي، عمان، الأردن، 1988م.
8. طوطح، خليل، تاريخ القدس، مطبعة دار الأيتام، القدس، فلسطين، 1923م.

9. العارف، عارف. تاريخ غزة. مطبعة دار الايتام الإسلامية. بيت المقدس. فلسطين. 1362هـ /1934م.

10. العارف، عارف. المفصل في تاريخ القدس. مطبعة المعارف. القدس. فلسطين 1996م. ص ص368-261.

11. أبو علية، عبد الفتاح. القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف. دار المريخ للنشر. الرياض. السعودية. 2000م.

12. قاسمية، خيرية. النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه. مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت. لبنان. 1972م.

13. الكيلاني، شمس الدين، وباروت، محمد جمال. الطريق إلى القدس، تحرير سلمي الجيوسي. بروتا. أبو ظبي. الإمارات العربية. د.ت.

14. محسن، عيسى خليل. فلسطين الام وابنها البار عبد القادر الحسيني. دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. عمان. الأردن. 1986م.

15. المهندي، عبلة. القدس تاريخ وحضارة 3000ق.م1917-م. دار نعمة للطباعة. بيروت. لبنان. 1998م.

16. نجم، رائف، وآخرون. كنوز القدس. مآب مؤسسة آل البيت المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية. منظمة المدن العربية. عمان. الأردن. 1403هـ/1983م.

الوحدة الثامنة

القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي في الفترة الواقعة بين 1967-2007م

اعداد

أ.د. تيسير جبارة

محتويات الوحدة

1.1 تمهيد

يسعدني عزيزي الدارس، أن أرحب بك في الوحدة الثامنة من مقرر "تاريخ القدس"، والتي تتناول "القدس تحت الاحتلال الاسرائيلي في الفترة الواقعة بين 1967-2007م". علما بأن القدس لازالت تحت الاحتلال حتى اعداد هذا المؤلف.

تتناول هذه الوحدة مواضيع مهمة تتعلق بهذه المرحلة الزمنية، ومنها تهويد القدس بعد أن أعلن الصهاينة ضمها، وأعلنوا أنها العاصمة الأبدية لإسرائيل. كما نهبوا الأرض، ووضعوا خطة دعوها "القدس الكبرى" ضمت أراضي أضعاف ما كانت عليه سابقاً.

وخطط الصهاينة لتهجير سكان بيت المقدس، حيث فرضوا الضرائب الباهظة، ومنعوا الأهالي من البناء، وقاموا بهدم البيوت، وتم إحراق الأقصى على يد صهيوني ادعوا أنه مختل عقلياً.

وحدثت انتفاضتان: الأولى عام 1987م، والثانية عام 2000م (انتفاضة الأقصى)، واشترك المقدسيون فيها خاصة عندما كانت المسيرات تخرج من المسجد الأقصى المبارك وكنيسة القيامة.

كما بنى الصهاينة أحياء يهودية في القدس، وأحاطوا المدينة بمجموعة من المستوطنات، بقصد الزيادة الديموغرافية الصهيونية، كي تصل في مجموع السكان إلى أكثرية يهودية، علماً أنه لم يكن هناك يهودي واحد في القدس الشرقية عام 1967م. وقام الصهاينة بحفر الأنفاق تحت الأقصى بقصد تدميره، ثم بناء جدار الفصل العنصري، كي يقضي على التواصل بين أبناء الضفة والقدس، وصادروا أراضي كثيرة من الفلسطينيين.

2.1 أهداف الوحدة

أهلاً بك، عزيزي الدارس، مرة أخرى في هذه الوحدة، ونرجو أن تستفيد منها في فهم ما وصلت إليه مدينة القدس حتى يومنا هذا في ظل الاحتلال الإسرائيلي لها.

يتوقع منك، عزيزي الدارس، بعد الانتهاء من دراسة الوحدة أن تكون قادراً على أن:

1. تعرف الأساليب الصهيونية في تهويد القدس.
2. تستنتج مدى اهتمام الصهاينة بتفريغ المدينة من سكانها العرب وذلك من خلال القوانين الإسرائيلية.
3. تدرك أن الصهاينة مصممون على هدم المسجد الأقصى، وطريقة حرق الأقصى هي مقدمة للهدم.

4. تستنتج العبرة من حرب عام ١٩٧٣م، وأثرها في الصهاينة والعرب.
5. تستخلص العبرة من تشبث المقدسي بأرضه.
6. تتعرف انعكاسات الانتفاضة على السكان العرب واليهود في القدس.
7. تتعرف الآثار المترتبة على تطويق القدس بالمستوطنات لتغيير معالمها جغرافياً وديموغرافياً.
8. تدرك هدف الصهاينة من حفر الأنفاق تحت الأقصى بحجة العثور على آثار للهيكل، وأن الحقيقة هي محاولة زعزعة أركان الأقصى ليسهل هدمه.

3.1 أقسام الوحدة

تتناول هذه الوحدة، عزيزي الدارس، سبعة أقسام مرتبطة بقائمة الأهداف الخاصة بهذه الوحدة. القسم الأول تهويد القدس ويرتبط بالهدف الأول. أما القسم الثاني فهو عن الإجراءات الإسرائيلية، ويرتبط بالهدف الثاني. ويعالج القسم الثالث حرب رمضان (أكتوبر)، ويرتبط بالهدف الرابع. ويتناول القسم الرابع من الوحدة انتفاضة عام 1987م، ويرتبط بالهدف السادس، وأما القسم الخامس فيتحدث عن انتفاضة الأقصى، ويرتبط بالهدف السادس. ويتحدث القسم السادس عن المستوطنات الإسرائيلية في القدس وما حولها، وهو مرتبط بالهدف السابع. أما القسم الأخير فهو عن الأنفاق وجدار الفصل العنصري، وهو مرتبط بالهدف الثامن من قائمة الأهداف في هذه الوحدة.
ويتحقق الهدفان الثالث والخامس من خلال استيعابك لأقسام الوحدة مجتمعة.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس، حاول الاستفادة، ما أمكن، من القراءات الآتية؛ لارتباطها المباشر بموضوع الوحدة، مما يجعلك أقدر على استيعاب ما فيها من معلومات:

1- النقيب، فضل مصطفى، تأثير انتفاضة الأقصى في الاقتصاد الإسرائيلي، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 54، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2003.

2- جبارة، تيسير، الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، جامعة النجاح، نابلس، 1989م.

3- جبارة، تيسير، دور الحركة الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، دار الفرقان، عمان، 1992م.

4- حكيم، سامي، القدس والتسوية، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1987م.

5- الدار عكيفا. وزرطال. عديت: اسياد البلاد المستوطنون ودولة إسرائيل 1967 – 2004م. ترجمة عليان الهندي. 2006م. دون دار نشر.
6- العلمي. سعد الدين. وثائق الهيئة الإسلامية العليا 1967-1984م. دار الطباعة العربية. القدس. 1984م.
7- العضايلة. عادل محمد. القدس بوابة الشرق الأوسط للسلام. دار الشروق ط1. عمان. 2007م.
8- عناب. محمد رشيد. الاستيطان الصهيوني في القدس. 1967 – 1993 م ط1. بيت المقدس للنشر والتوزيع 2001م.
9- أبو حسنة. نافذ. بيت المقدس. رقم 74 ....www.palestine.info

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الدارس. قبل أن تبدأ دراسة الوحدة تأكد من أنك هيأت المكان الهادئ والمريح للدراسة. وتحتاج في أثناء الدراسة إلى دفتر لتلخيص النقاط الرئيسة. وأنصحك أن تقرأ الوحدة قراءة ذاتية. ثم تناقش جميع الأنشطة والتدريبات الواردة فيها. وسوف تساعدك إجابتك عن أسئلة التقويم الذاتي الواردة في أماكن مختلفة من الوحدة على مراجعة الأجزاء الرئيسة فيها. ولامانع من الاتصال بمرشدك أو موجهك كلما اقتضت الحاجة لمناقشة ما يعرض لك من صعوبات أو مسائل مثيرة للاهتمام.

2. تهويد القدس

1.2 ضم القدس

اندلعت الحرب بين إسرائيل من جهة ومصر وسوريا والأردن من جهة ثانية. وذلك يوم الاثنين 5/6/1967م. ودخل الجيش الإسرائيلي ساحات الأقصى. وللمرة الأولى منذ فتح صلاح الدين الأيوبي القدس لم تقم صلاة الجمعة في المسجد الاقصى. وذلك يوم الجمعة 9/6/1967م. واجتمع أولو الأمر في القدس. وانتخبوا من بينهم هيئة إسلامية ترعى شؤونهم الدينية تدعى «الهيئة الاسلامية العليا». وتشكلت بتاريخ 24/7/1967م. وتولى رئاستها الشيخ عبد الحميد السائح الذي أبعدته إسرائيل في اليوم نفسه الى الأردن. وحل محله الشيخ حلمي المحتسب الذي توفي بتاريخ 26/1/1982م ثم أصبح الشيخ سعد الدين العلمي رئيساً للهيئة الاسلامية العليا. (العلمي. 1984. ص8).

وعندما دخل دايان. وزير الحرب الإسرائيلي. القدس الشرقية قال: «لقد حررت قوات الدفاع

الإسرائيلي. واعدنا توحيد هذه المدينة الممزقة عاصمة إسرائيل». (عناب، 2001، ص66).

أعلنت الهيئة الإسلامية فتوى شرعية أن القرارات الصادرة عن إسرائيل بضم القدس العربية وضواحيها هي قرارات باطلة (العلمي، 1984، ص 12). وقامت إسرائيل بمصادرة أراض وعقارات داخل أسوار المدينة شملت 595 منزلاً، ضمت 1048 شقة سكنية. و437 محلاً تجارياً. وعدداً من المساجد والزوايا والمدارس والأسواق الأثرية. وخططت الصهيونية لجعل العرب أقلية في القدس الشرقية علما أنه لم يكن يوجد فيها يهودي واحد عام 1967م. (عناب، 2001، ص 68).

وتكلم مفتي القدس الشيخ سعد الدين العلمي في مؤتمر صحفي في 15/6/1968م قائلاً: «بتاريخ 1/4/1968م أصدر وزير المالية الإسرائيلي قراراً يقضي باستملاك 16 دونماً من الأراضي الواقعة داخل أسوار مدينة القدس وحيازتها حيازة فورية. إن المساحة المستملكة تقع في قلب المدينة المقدسة، وتشمل خمسة مساجد، وأربع مدارس. وأعلن وزير المالية قراراً باستملاك 3345 دونماً من أراضي القدس وصدر القرار في الوقائع الإسرائيلية، عدد رقم 1425. (العلمي، 1984، ص35).

طلب الحاخام الإسرائيلي في القدس في 27-11-1967م من متولي وقف الزاوية الفخرية الملاصقة للحرم الشريف إخلاء السكان فوراً من الزاوية والمسجد التابع لها من أجل هدمها وهدم المباني التابعة لها. وقد احتج مفتي القدس على التعدي على الأوقاف وإخلاء السكان.

أصدرت السلطات الإسرائيلية، عزيزي الدارس، قوانين منها «قانون الدولة وقضائها وإدارتها» على منطقة القدس الشرقية، فضمت عدة قرى منها: صور باهر، والشيخ جراح، ومطار قلنديا، وشعفاط، وجبل المكبر، والمناطق المجاورة له. وبذلك دخلت هذه المناطق حدود بلدية القدس. وقدرت مساحة ما تم ضمه بما يقارب 99.69 كم^2؛ أي ما يعادل ثلاثة أضعاف مساحة القدس السابقة. وبذلك تم توسيع حدود بلدية القدس من 5.37 كم زمن الحكومة الأردنية لتصبح 108 كم زمن الحكومة الإسرائيلية (عناب، 2001، ص70). كما استهدفت السلطات الإسرائيلية تغيير معالم المدينة المقدسة وطمس الوجود العربي والإسلامي فيها داخل أسوار القدس وخارجها، وهدفها وضع العالم أمام الأمر الواقع.

واعتدت سلطات الاحتلال على مقابر المسلمين والمسيحيين في القدس، وما يزال الأذى ظاهراً فيها. نذكر منها على سبيل المثال: مقابر المسيحيين على جبل صهيون، ومقابر المسلمين في قلب المدينة، ولا سيما مقبرة مأمن الله الإسلامية، وتبلغ مساحة هذه المقبرة 186 دونماً، وأزالت إسرائيل معظم القبور والأضرحة التي فيها، وأنشأت فيها شوارع ومراحيض ومجاري. (العلمي، 1984، ص127).

إن أبرز الإجراءات الإسرائيلية بعد حرب عام 1967م هي عملية الإخلاء والطرد بالقوة لأكثر من 6000 فلسطيني من البلدة القديمة، خاصة حارة المغاربة، وهدم ما يقارب من 135 منزلاً، وذلك لتوفير مساحة ممتدة قرب حائط البراق، ومعظم هذه البيوت وقف يرجع تاريخها للقرن الرابع عشر الميلادي. (عناب، 2001، ص67).

2.2 قرار «القدس عاصمة أبدية لإسرائيل عام 1980م»

أقر الكنيست في جلسته في تموز عام 1980م بأغلبية 69 صوتاً ضد 15 صوتاً أن القدس عاصمة إسرائيل. وجاء في المادة الأولى من القرار أن القدس الكاملة والموحدة هي عاصمة إسرائيل. وجاء في المادة الثانية أن القدس هي مقر رئيس الدولة، والكنيست، والحكومة، والمحكمة العليا. وهذا القانون الإسرائيلي يعيق أي مفاوضات إسرائيلية فلسطينية بشأن القدس.

نددت معظم دول العالم بالقانون الإسرائيلي القاضي بضم القدس وجعلها عاصمة لإسرائيل، وطلبت الدول من إسرائيل التراجع عن هذا القانون، وأوصت جميع المنظمات والهيئات الدولية برفض القانون وعدم الاعتراف به أو التعامل مع إسرائيل على أساسه. وتوج هذا الرفض بإصدار مجلس الأمن قراره الشهير رقم 478 بتاريخ 20/8/1980م، والذي عدّ الإجراء الإسرائيلي مخالفاً للقانون الدولي، كما عدّ كل الإجراءات التي اتخذتها سلطة الاحتلال الإسرائيلي، والتي غيرت طابع المدينة، وخاصة القانون الأساسي الذي ضم القدس، باطلة ولاغية، ونص القرار على ما يأتي:

1- على جميع الدول الأعضاء أن تقبل قرار مجلس الأمن.

2- على جميع الدول التي أقامت بعثاتها الدبلوماسية في القدس أن تسحب بعثاتها فوراً (العضايلة، 2007، ص 126).

3.2 خطة القدس الكبرى وضم الأراضي

عزيزي الدارس، وضعت إسرائيل ما يسمى خطة القدس الكبرى، وبدأت لجنة هندسية صهيونية بوضع مخططات اثر حرب عام 1967م، وانتهت من وضعها عام 1968م، وتتضمن الخطة توسيع حدود مدينة القدس إلى ما يقارب 30% من مساحة الضفة الغربية. وهناك مشاريع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] شرقاً فتمتد هذه الحدود لتصل إلى عرب السواحرة والعبيدية، فيكون عرضها شمالاً جنوباً 45 كم، ويكون عرضها شرقاً غرباً 15 كم. وخطط الصهاينة ليكون عدد سكان القدس الكبرى خلال 25 عاماً، أي حتى عام 2000م، ما يقارب من 750.000 يهودي في المنطقة الواقعة بين

بيت إيل شمالا وحتى مستوطنة غوش عتسيون جنوبا.

أما خطة شارون (وزير الإسكان آنذاك) فتتضمن أن تكون القدس محاطة بطوقين من المستوطنات: الطوق الداخلي من الأحياء اليهودية في القدس الشرقية، والطوق الخارجي بإقامة مستوطنات جديدة. ويذكر شارون في خطته التي قدمها للكنيست عام 1991م أن الهدف من إقامة القدس الكبرى كعاصمة لدولة إسرائيل هو زيادة عدد السكان اليهود فيها بحيث يصلون إلى مليون يهودي (عناب، 2001، ص84).

تدريب (1)

ما حدود مشروع القدس الكبرى حسب المخطط الصهيوني؟

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- ماذا عمل الإسرائيليون في مقبرة مأمن الله الإسلامية؟
2- على ماذا نص قرار مجلس الأمن رقم 478؟

3. الإجراءات التعسفية الإسرائيلية

1.3 الضرائب

فرضت السلطات الإسرائيلية ضرائب عديدة على الفلسطينيين في القدس وبمعدلات عالية، فالحد الأدنى لضريبة الدخل هو 35%، وقد يصل إلى 65% تضاف إلى هذه النسبة غرامات قد تصل إلى 60% من قيمة الضرائب.

عزيزي الدارس، يدفع المواطن الفلسطيني في القدس ضرائب تفوق أربع مرات ما يدفعه المستوطن الصهيوني، والهدف من ذلك زيادة الضغوط على العرب لدفعهم إلى الهجرة من المدينة، وإغلاق محلاتهم التجارية. وتفوق الضرائب المفروضة قيمة الدخل العام لهذه المحلات، ما يدفع أصحابها إلى إغلاقها، ثم تقوم إسرائيل بمصادرتها مع محتوياتها لحساب الضرائب. وبهذه الطريقة تسربت محلات تجارية كثيرة للمستوطنين الصهاينة في القدس.

ومن الضرائب الأخرى ضريبة الأرنونا أو ما يعرف بالمسقفات، وهي ضريبة تفرض على المساكن، وتفرض على المواطنين في المدينة مقابل الخدمات، لكن بتقديرات مختلفة، فالمبالغ التي تفرض على المستوطنين بسيطة مع تسهيلات كبيرة في الدفع، وتقديم الكثير من الخدمات. أما

المبالغ التي تفرض على المواطنين الفلسطينيين فإنها مرتفعة. ولا تقابلها خدمات تذكر. إن الحد المتوسط لضريبة الأرنونا وصل عام 1990 على سبيل المثال إلى 20 ألف دولار. وهو مبلغ مرتفع مهما كان نوع العقار ومستواه. إن الكثير من الفلسطينيين في القدس لا يقدرون على تسديد ضريبة الأرنونا. لذا تلجأ االسلطة الصهيونية إلى التسويف في جبايتها مع غراماتها التراكمية حتى تصل إلى مبلغ يعادل ثمن العقار تقريباً. عندئذ تفرض السلطة حجزاً على العقار بهدف إجبار صاحبه على بيعه. (ابو حسنة. بيت المقدس. رقم 79).

أدت الضرائب الباهظة التي فرضت على المقدسيين إلى دفع أكثر من 250 تاجراً في البلدة القديمة من القدس إلى إغلاق محلاتهم بعد أن تعرض بعضهم إلى الملاحقة. وبعضهم الآخر إلى الحجز على محتويات محلاتهم ومصادرتها. والحجز على حساباتهم في البنوك. بدعوى أن عليهم ديوناً مستحقة بمئات الآلاف من الشواقل لسلطات البلدية والضرائب. إضافة إلى الاعتقالات ثم المحاكمات الظالمة التي انتهت ببعضهم إلى سجون الاحتلال. ومنهم من التجأ إلى العمل في المصانع الإسرائيلية كي يجد لقمة العيش لأسرته.

2.3 القوانين الإسرائيلية الجائرة

عزيزي الدارس. كانت إسرائيل قد أصدرت قوانين جديدة بعد حرب عام 1967م للسيطرة على الأرض. ومن هذه القوانين:

1- قانون أملاك الغائبين. أصدرته إسرائيل في 23/7/1967م. وينص على أن كل شخص ترك الضفة الغربية إلى الدول المجاورة يعدّ غائباً. وفي 25/7/1967م قامت إسرائيل بتسجيل أسماء سكان القدس الباقين فيها. ومن لم يتم تسجيله يعدّ في عداد الغائبين. وقد حولت إسرائيل جميع ممتلكات الغائبين إلى «حارس أملاك الغائبين» سواء أكانت هذه الأملاك منقولة أم غير منقولة. ويحق لهذا الحارس. حسب القانون الإسرائيلي. إدارة أو تأجير أو بيع هذه الأملاك.

2- قانون التعويضات: أصدرت السلطات هذا القانون فاستدعت سكان القدس الذين لم يتم تسجيلهم في أثناء عملية الإحصاء عام 1967م. وذلك بقصد تعويضهم عن أملاكهم التي تمت مصادرتها. فرفض أهالي القدس التعويض عن أملاكهم. ولم يحضروا لمراجعة السلطات الإسرائيلية.

3- قانون أراضي الدولة المسجلة: وهي الأراضي التي كانت أراضي دولة. علما بأن ثلثي أراضي الضفة الغربية كانت أراضي غير مسجلة: لأن عملية التسجيل (الطابو) لم تكتمل زمن الحكومة الأردنية بسبب حرب عام 1967م. وعدّت إسرائيل الأراضي التالية أراضي دولة وهي: أراضي الموات (الصخرية). والأرض الميري. والأرض المتروكة. وقد قدرت الأراضي التي تم

الاستيلاء عليها في القدس بـ 44% تقريبا. (عناب، 2001، ص 79).

وهناك قوانين أخرى كثيرة الهدف منها تقييد الحريات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، لسكان القدس العرب، بهدف اضطرارهم لمغادرة المدينة المقدسة. ومن هذه القوانين إجبار المقدسي على الحصول على رخصة مزاولة عمل إسرائيلية لكل صاحب عمل أو مهنة. وكل من يخالف ذلك يعدّ مخالفاً للقوانين والأنظمة الإسرائيلية، وهذا يعرضه لتجميد أعماله. كما أصدرت السلطات الإسرائيلية قوانين لإخضاع التعليم العربي في القدس إلى برامج التعليم الإسرائيلية، ومنعت تداول عدة كتب عربية.

وهناك قوانين وإجراءات أخرى مثل سياسة سحب الهويات بطرق شتى، منها إلغاء حق الإقامة للأشخاص الذين يقطنون في ضواحي القدس الواقعة خارج حدود البلدية، كما اعتمدوا الاحتيال في قضايا جمع الشمل، فالزوجات اللواتي يقمن بتقديم طلب جمع شمل لأزواجهن تقبل طلباتهن بداية، ثم يجري إلغاء حقهن في الإقامة مع أطفالهن بحجة ان الزوج يقيم خارج القدس. (أبو حسنة، بيت المقدس، الحلقة 131).

3.3 التهجير وسياسة الترحيل (الترانسفير Transfer)

تعدّ سياسة تهجير العرب من القدس إحدى الوسائل المعتمدة لدى إسرائيل، وذلك من أجل إيجاد واقع جديد يكون فيه اليهود النسبة الغالبة في مدينة القدس. وقد وضعت الحكومات المتعاقبة لإسرائيل مخططات من أجل ذلك. ونتبين ذلك من خلال:

- التصريحات التي أعلنها رئيس الوزراء شارون بمناسبة الذكرى 38 لاحتلال القدس الشرقية حيث قال: إن القدس ملك لإسرائيل، وإنها لن تكون بعد اليوم ملكاً للأجانب (يعني العرب).
- ما أعلنه شيمون بيريز بضرورة التهجير الجماعي للفلسطينيين من مدينة القدس، والذين يقدر عددهم نحو 240 ألف نسمة.

وهذه التصريحات والإجراءات تشكل انتهاكاً صارخا للقرارات والقوانين الدولية، حيث ينص قرار مجلس الأمن رقم 242 على أن القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة ضمن الأراضي العربية المحتلة عام 1967م. (مركز المعلومات الفلسطيني 2008/www.pnic.gov.ps/arabic/alquds/alquds.html).

بلغ عدد الذين طردوا من القدس نحو 60.000 شخص عام 1967م، ضمن عملية خطط لها، وقد كشف عنها عام 1991م من قبل حاييم هير تسوغ أول حاكم عسكري للضفة الغربية بعد احتلالها عام 1967م. وقد خصصت عدة باصات في القدس وفي مدن أخرى كتب عليها إلى عمان مجاناً، وكان الباص ينقلهم إلى جسر اللنبي المدمر ثم يتجاوزونه إلى الضفة الغربية. (عناب، 2001، ص68).

؟ أسئلة التقويم الذاتي (2)

- كيف يتم سحب هويات المقدسيين؟ ولماذا؟
- ما المقصود بقانون التعويضات؟

عزيزي الدارس، اتبعت إسرائيل سياسة نشطة لانتزاع بطاقات الإقامة من المواطنين العرب في القدس، حيث طلبت من المقيمين العرب في القدس الشرقية أن يثبتوا بانتظام أن القدس هي مركز حياتهم. نتيجة لذلك يخاطر سكان القدس العرب بخسارة حقوق الإقامة في مدينتهم إذا درسوا أو عملوا خارجها. وقد خسر 7000 فلسطيني تقريباً حقوق الإقامة في القدس عام 1996م، ونحو 358 مقدسياً عام 1997م. وقامت السلطات الإسرائيلية بحملات مداهمة على القرى المحيطة بالقدس، وصادرت هويات المقدسيين فيها بحجة أن موقع إقامتهم أصبح خارج المدينة، الأمر الذي يهدد بإلغاء الإقامة مستقبلاً لـ 70-60 ألف مقدسي تقريباً. (البيادر السياسي، العددان الثالث والرابع، كانون أول 1997م).

وقد صرح إيلي سويسا وزير الداخلية الإسرائيلي آنذاك قائلاً: يجب زيادة الأغلبية اليهودية في القدس إلى أكثر من 80%. كما عدّت وزارة الداخلية الإسرائيلية الفلسطيني المقدسي مقيماً وليس مواطناً، وذلك حسب ما جاء في قانون الإقامة الدائمة لعام 1952م، وتعديلاته عام 1974م، والتي تنص على أن المواطن المقدسي يفقد حق الإقامة في حالة مغادرته القدس واستقر في دولة أخرى أو إذا سافر للخارج، لذا عملت إسرائيل على سحب هويات المقدسيين، وتعليق طلبات جمع شمل العائلات، ورفض تسجيل المواليد لأمهات مقدسيات. وهذا يخدم سياستها في تفريغ المدينة من سكانها العرب. كما أن وزارة الداخلية تتعامل مع المواطن المقدسي المقيم في ضواحي القدس وكأنه يعيش في الخارج. كما اتبعت الحكومات الإسرائيلية المتتابعة ضغوطاً دفعت الفلسطيني للإقامة خارج حدود البلدية ومنها مصادرة الأراضي العربية، وهدم المنازل، وعدم إعطاء تراخيص بناء، وحرمان المقدسيين من الخدمات الأساسية، وعدم انضمام الزوجة إلى زوجها في حالة تم الزواج من خارج القدس، مما يدفع الطرفين للسكن خارج القدس. (عبد الهادي، 1997م، ص34).

4.3 حرق الأقصى

عزيزي الدارس، هددت الصهيونية العالمية – ومازالت - بهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان مكانه، صرح بذلك عدد من زعماء الصهيونية، وجاء اليوم الذي حقق جزءاً من آمالهم، ففي 21/8/1969م تم حرق المسجد الأقصى من ثلاث جهات. ويقول شاهد عيان، وهو مفتي

القدس الشيخ سعد الدين العلمي، واصفا الحادث فقال: «بلغني نبأ حريق المسجد الأقصى فأسرعت بسيارتي إلى المسجد، ولقد رأيت، وبالهول ما رأيت، رأيت النار تتأجج إلى عنان السماء من سطح المسجد الأقصى الشرقي والجنوبي والغربي... شاهدت سيارات الإطفائية الخاصة ببلدية القدس واقفة بجانب المسجد وخراطيم المياه ممتدة إلى السطح ولكنها لا ترفع نقطة ماء إلى السقف المحترق، وأخشابه المحترقة تتهاوى إلى داخل المسجد وتحرق السجاد... إن البلدية قطعت المياه عن منطقة الحرم... استنجدت فورا ببلديتي الخليل ورام الله، وطلبت منهما إرسال سيارات الإطفائية، وحضرت على الفور، وبدأ عمال الإطفائية الذين حضروا من الخليل ورام الله بإطفاء الحريق إلى أن أخمدوا النيران». (العلمي، 1984، ص70).

تدريب (2)

ماذا عمل مفتي القدس عندما شاهد الحريق في المسجد الأقصى؟

استنكر قناصل الدول الأوروبية هذا العمل، وادعت إسرائيل أن الذي قام بهذا العمل هو الصهيوني مايكل روهان، وهو رجل معتوه، لذا أطلقت سراحه. لقد أوقع الحريق بالمسجد الأقصى أضراراً مادية فادحة، فقد شمل أماكن كثيرة من المسجد، منها منبر الملك الناصر صلاح الدين الذي يمثل قطعة فنية نادرة من الخشب، ومنها محراب زكريا بكامل مساحته التي تبلغ 400 متر مكعب وبكامل نقوشه وزخارفه، ومنها أيضاً الزخارف والفسيفساء الموجودة على القبة الخشبية، والخشب المزخرف في سقف المحراب. وأتت النيران على كامل السجاد، وعلى ثلاثة أروقة من الأعمدة والأقواس والزخرفة، وعلى جزء من السقف الذي سقط على الأرض، وكادت النيران تأتي على قبة المسجد لولا استماتة المسلمين ومساعدة المسيحيين في عمليات الإطفاء التي تمت رغم أنف سلطات الاحتلال الصهيونية.

لم يتوقف الاعتداء على الأقصى من قبل الصهاينة، ففي صباح 11/4/1982م اقتحم جندي إسرائيلي باب الغوانمة، وسار مسرعاً نحو قبة الصخرة المشرفة يطلق النار في كل اتجاه فقتل الحارس، ودخل المسجد مطلقاً الرصاص فقتل عدداً من المصلين، ثم دخلت الشرطة الإسرائيلية إلى داخل قبة الصخرة، وقامت بحماية الجندي ويدعى جودمان ثم أخرجوه إلى خارج ساحات المسجد للحفاظ على حياته من المسلمين، وقامت مظاهرة صاخبة انطلقت من مساجد فلسطين احتجاجاً على الاعتداءات الصهيونية على المسجد الأقصى، وسميت تلك الثورة ثورة المساجد عام 1982م. (جبارة، 1985، ص37).

1.4 مجريات الحرب

عزيزي الدارس، يطلق العرب على هذه الحرب (حرب السادس من أكتوبر عام 1973م) أو (العاشر من رمضان)، بينما يطلق اليهود عليها حرب يوم كيبور (عيد الغفران). لقد قامت القوات المصرية والقوات السورية بعمليات تمويه قبل بدء الحرب، حيث ظهر الجنود المصريون بلباس مدني يسيرون على الشاطئ ويلعبون مع الأطفال، وأعلنت مصر عن إرسال الجنود الذين يريدون أداء فريضة الحج، وقامت بتسريح آلاف الجنود. كما نشرت على نطاق واسع في الأيام العشرة السابقة للحرب أن السادات على وشك التنازل عن رئاسة الوزراء إلى سيد مرعي. في الوقت الذي شغلت محطات الإذاعة وقنوات التلفزيون السورية والمصرية بمباريات كرة القدم على نحو غير مسبوق. (الأخبار المصرية، 4/10/2007، www.ismailyonline.com).

قامت القوات المصرية والسورية في إطار خطة عسكرية مشتركة بشن هجوم مفاجئ على القوات الإسرائيلية في سيناء والجولان تحطمت على أثره خطوط الدفاع الأولى الإسرائيلية. وتم عبور وتدمير أكبر مانع صناعي في تاريخ الحروب وهو خط بارليف (Bar Lev line). وهو عبارة عن نفق تحت الأرض مغطى بجبال من الرمل، يقع بالقرب من قناة السويس.

وتمكنت القوات المصرية من تثبيت موقعها على مسافة 20-15 كم شرقي قناة السويس. وتقدمت القوات السورية إلى عمق هضبة الجولان. إلا أنها تراجعت إلى خطوط الخامس من حزيران. لكن القوات الإسرائيلية استطاعت بقيادة شارون النفاذ من خلال ثغرة تدعى الدفرسوار إلى غرب قناة السويس ومحاصرة القوات المصرية شرقها. توقفت الحرب بعد أن أصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم 338 بوقف إطلاق النار في 22/10/1973م إلا أن حرب الاستنزاف استمرت بضعة أشهر إلى أن توقفت في أكتوبر من العام نفسه. وبعد ذلك بدأت مفاوضات فك الاشتباك والتي انتهت بتوقيع اتفاقية الفصل بين القوات المتحاربة في 17/1/1974م.

وبسبب فشل إسرائيل في حرب عام 1973م تعرضت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير لانتقادات لاذعة، ونتيجة ذلك قدمت استقالتها في حزيران من العام نفسه.

نبعت هذه الحرب مفاوضات مصرية إسرائيلية أدت إلى توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل عام 1979م. كان سلاح النفط قد استعمل في الحرب لأول مرة حيث فرضت الدول العربية المنتجة للنفط حظراً على الدول التي ساندت اسرائيل مما تسبب بأزمة طاقة عالمية. (المعرفة، 4/6/2007، عن الجزيرة نت).

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1. اذكر أسماء الدول التي شاركت في حرب عام 1973م ضد إسرائيل.
2. كيف استعمل النفط في حرب عام 1973م؟

2.4 انعكاسات الحرب على القدس

عزيزي الدارس. كانت قضية القدس في السياسة المصرية من القضايا الأولى. ولذلك جرت المباحثات بين مصر وإسرائيل. وأعلن السادات أن القدس أرض عربية محتلة منذ حرب عام 1967م. وقد فاجأ السادات العالم العربي بزيارته للقدس الغربية. وألقى خطابا في الكنيست في 20 تشرين ثاني 1977م قال فيه «هناك أرض عربية احتلتها إسرائيل بالقوة. ونحن نصر على الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية. القدس التي حضرت إليها باعتبارها مدينة السلام. والتي سوف تظل على الدوام التجسيد الحي للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث. وليس من المعقول أن يفكر أحدٌ في الوضع الخاص لمدينة القدس في إطار الضم أو التوسع. وإنما يجب أن تكون مدينة مفتوحة لجميع المؤمنين...» (العضايلة 2007 ص138). وقد جرت المفاوضات المصرية الإسرائيلية تحت مظلة أمريكا في كامب ديفيد.

إن إسقاط القدس من وثائق كامب ديفيد لا يعني إهمال مصر للقدس. ولا يقلل من أهمية موقفها الذي يعدّ القدس الشرقية جزءا من الضفة الغربية المحتلة عام 1967م. ينطبق عليها قرارا مجلس الأمن 242 و 338. ويجب أن نعود إلى السيادة الفلسطينية. وأن نتوفر لجميع أتباع الأديان السماوية حرية الوصول الى القدس وزيارتها وممارسة الشعائر الدينية فيها دون تمييز. (العضايلة 2007 ص139).

لقد حصر السادات مطالبته بالقدس الشرقية بوصفها أرضا محتلة عام 1967م. أما رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن فقد أصر في كامب ديفيد على أن القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل ولا يمكن التنازل عن ذلك. ولم يكن الموقف مستغرباً من الرئيس السادات لأنه كان قد أكد للرئيس الأمريكي كارتر استعداده لتقديم تعديلات على مقترحات حول القدس كان قد قدمها في وقت سابق للإدارة الأمريكية وقال فيها «يجب أن لا تكون القدس مقسمة».

لم تشر مباحثات كامب ديفيد عام 1978م إلى مستقبل القدس ولكن جرى تسجيل الموقف حولها من قبل كلا الطرفين المصري والإسرائيلي عبر الرسائل مع الوسيط الأمريكي. وكان ذلك يعني تأجيل البت في القضية إلى أجل غير مسمى.

جرى طرح مستقبل القدس في أثناء مفاوضات الحكم الذاتي الفلسطيني بين مصر وإسرائيل في أيار 1979. وكانون أول 1991م. وقد تعاملت القاهرة مع القدس بوصفها جزءاً من الأرض المحتلة عام 1967م التي تنطبق عليها ترتيبات الحكم الذاتي أرضاً وسكاناً. لكن المفاوض المصري آنذاك رأى أنه يمكن وضع الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية تحت الإدارة العربية الفلسطينية. فيما يوضع حائط البراق تحت إدارة إسرائيل. واستمسك بقضية السيادة في القدس التي هي للشعب الفلسطيني. ولم تكترث إسرائيل بكل هذه المفاوضات وأعلنت القدس عاصمة أبدية لدولة إسرائيل. (مركز المعلومات الفلسطيني 2008 WWW.PNIC.GOV.PS/arabic/alquds/alquds.html).

أما الرأي الأمريكي بشأن القدس فقد أوضحه الرئيس الأمريكي كارتر في رسالة جوابية إلى السادات فقال «إن موقف الولايات المتحدة الأمريكية يظل هو الموقف نفسه الذي أعلنه السفير

جولد برج (Goldberg) امام الجمعية العامة للام المتحدة في 14 ايلول عام 1968م. واكد الموقف نفسه السفير بوست في مجلس الأمن فقال: إن مستقبل المدينة يجب تقريره عن طريق المفاوضات وليس من جانب واحد. (حكيم، 1987، ص199).

وقبل التوقيع على وثيقة اتفاق كامب ديفيد اشترط بيجن أن لا يذكر في الوثيقة أن القدس منطقة محتلة. وأخيراً اتفق كارتر وبيجن على أن تظل القدس موحدة. وهذا التوحيد من شأنه فرض السيادة الإسرائيلية على القدس بشطريها الشرقي والغربي. (حكيم، 1987، ص212).

وأما أثر حرب رمضان عام 1973م على القدس فقد اتخذت إسرائيل أساليب متعددة لمحاولة طرد سكان المدينة عن طريق المضايقات الاقتصادية والسياسية. كما قامت بزيادة الاستيطان في القدس بقصد جعل العرب أقلية في المدينة.

5. انتفاضة الحجارة عام 1987 والقدس

1.5 بداية الانتفاضة ومجرياتها

عزيزي الدارس، كانت هناك أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة أدت الى اندلاع انتفاضة الحجارة عام 1987م. أما السبب المباشر فهو استشهاد أربعة شباب عرب وجرح تسعة في حادث عند مدخل قطاع غزة. وذلك عندما صدمت سيارة إسرائيلية (شاحنة) سيارتين عربيتين بتاريخ 8/12/1987م. أما الأسباب غير المباشرة فهي: أساليب القمع الصهيوني للشعب الفلسطيني على مدى عشرين عاماً، ومصادرة الأراضي، والسلب، والنهب، وعمليات الإسقاط والتخريب، والإبعاد، والنفي، والعقاب الجماعي، وغيرها.

وما زاد في لهيب الانتفاضة قرار شارون السكن في الحي الإسلامي في القدس الشرقية بتاريخ 15/12/1987م، أي بعد أسبوع من الانتفاضة. وعندما انتقل شارون للسكن في حي باب الواد انطلقت مظاهرات احتجاجية إسلامية ومسيحية من المسجد الأقصى المبارك ثم كنيسة القيامة في القدس. وسارت المظاهرات نحو بيت شارون. (جريدة القدس 16/12/1987م، عدد 6575).

احتج وزير الشرطة الإسرائيلي حاييم بارليف، واحتج رئيس بلدية القدس تيدي كوليك على سكن شارون في القدس الشرقية؛ لأن ذلك يكلف إسرائيل نفقات كثيرة للحراسة. أما شارون فلم يكترث وقال ساخراً: هل سكن يهودي في عاصمته يعدّ عملاً إستفزازياً؟ (حارة، 1989، ص135).

وقد منعت قوات الجيش الإسرائيلي سكان الضفة الغربية من الوصول إلى المسجد الأقصى وأداء الصلاة فيه في الجمعة الأولى من رمضان عام 1988م. (حارة، 1989، ص68).

وضع الجيش الإسرائيلي الحواجز العسكرية على الطرق المؤدية إلى القدس لمنع الآلاف من

المصلين الفلسطينيين من الوصول إلى المسجد الاقصى لاداء صلاة الجمعة في شهر رمضان. واحتجزت الشرطة هويات الشباب خوفاً من القيام بمظاهرات. (جبارة 1985. ص55).

ازداد الخوف لدى الشعب الإسرائيلي في منطقة القدس بسبب الانتفاضة. وقد أجرى معهد حانوخ سمث استطلاعاً للرأي لحساب بلدية القدس جاء فيه أن 46.7% توقفوا عن زيارة القدس الشرقية بغرض شراء الحاجيات. وأن 72.2% أصبحوا أكثر تردداً وخائفين من زيارة القدس الشرقية. وأن 66.8% من يهود القدس يعيشون في حالة توتر أكثر من تلك التي يعيشها يهود تل أبيب. (جريدة النهار. 23/2/1988م).

وبعد أن كان اليهود يتجولون بسهولة عبر أحياء القدس الشرقية أصبح سائقو التكاسي والسيارات اليهود يسارعون فور مغيب الشمس إلى الاختفاء من المدينة. (فلسطين الثورة. 4 أحداث. ص48).

2.5 انعكاسات الانتفاضة على المقدسيين

ذكر عدد من رجال السياسة في إسرائيل لشعبهم أن الخطر والخوف الحقيقي سيلحق بنا إذا بدأ الفلسطينيون يرددون كلمات وشعارات إسلامية؛ لأن الأقصى هو محط أنظار ملايين المسلمين في العالم. وبذا تستقطب الانتفاضة معسكراً قوياً جداً يجمع في إطاره جميع القوى الإسلامية في العالم ضد إسرائيل. (الموقف العربي. عدد 98. عام 1988م. ص62).

زاد التفسخ في المجتمع الإسرائيلي عندما تم اكتشاف وثيقة فيصل الحسيني. أو وثيقة الاستقلال في مكتب جمعية الدراسات العربية في القدس. وتتحدث الوثيقة عن إنشاء دولتين: الأولى عربية. والثانية يهودية في فلسطين حسب قرار الأمم المتحدة رقم (181) الصادر عام 1947م. (شؤون فلسطينية. عدد 186. ص124. عام 1988م). وصرح وزير الشرطة أن اعتقال فيصل الحسيني أمر حيوي بالنسبة لإسرائيل: لأنه من قادة الانتفاضة.

استعرض المستوطنون عضلاتهم أمام المتظاهرين العرب. وقاموا باستفزازهم حيث دخل جماعة «أمناء جبل الهيكل» إلى الحرم الشريف بتصريح من الشرطة. وبحماية 180 من حرس الحدود.

وفي 23/12/1987م قطعت القوات الإسرائيلية التيار الكهربائي عن المسجد الأقصى. وأرسلت تعزيزات لمساندة مجموعة من أمناء جبل الهيكل. ومن أعمال المستوطنين دمغهم على أوراق النقد الإسرائيلية شعارات لحركة كاخ العنصرية مثل: الموت للعرب الإرهابيين. وكهانا إلى السلطة. ونشرَ هذه الأوراق في القدس. (جريدة النهار. 25/5/1988م. عدد 459).

لقد عم الإضراب الشامل مدينة القدس. فقام طلبة الكلية الإبراهيمية. والكلية الرشيدية. وجامعة القدس - أبو ديس. وطالبات المدرسة المأمونية. وطلبة المدارس والكليات الأخرى. وجموع المصلين الذين خرجوا من المسجد الأقصى بتاريخ 18/12/1988م بمظاهرة وصفت بأنها

اضخم مظاهرة شهدتها المدينة منذ عام ١٩٦٧م. كما انطلقت من خارج المدينة مظاهرة أخرى انطلقت من شارع صلاح الدين نحو باب العامود لتلتقي بالمظاهرة الأولى، واصطدموا بالجيش الإسرائيلي الذي فرق المتظاهرين بقنابل الغاز. (جبارة، 1985، ص 52). وقد تعالت الأصوات من المتظاهرين: ((خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود)).

وقد صرح إسحاق رابين بعد المظاهرة قائلاً: ((إذا حولنا الصراع إلى ديني فسوف تكون أكبر غلطة نرتكبها في حياتنا)). (جبارة، 1985، ص18).

تعرض الصحفيون الأجانب إلى الضرب من قبل الجنود الإسرائيليين في القدس بسبب نقلهم أخباراً وصوراً عن الانتفاضة. وعقدت ((جمعية الصحافة الأجنبية في إسرائيل)) مؤتمراً في القدس، وأصدرت بياناً في نهاية المؤتمر احتجت فيه على 150 حالة تعرض فيها الصحفيون لمعاملة قاسية من الشرطة والجيش الإسرائيلي في الأشهر السنة الأولى للانتفاضة. وبالرغم من المضايقات الإسرائيلية للصحفيين الأجانب، إلا أن أخبار الانتفاضة كانت تتسرب إلى المحطات العالمية، وهذا يعود إلى نشاط الصحفيين الأجانب. وكان رئيس مكتب الخدمات الصحفية الفلسطينية إبراهيم قراعين، ومكتبه في شارع صلاح الدين في القدس، يعطي الصحفيين الأجانب معلومات دقيقة وكاملة عن كل حادثة في الأراضي المحتلة. وقد مدحت الصحف العالمية المكتب الفلسطيني. فقالت صحيفة ألمانية ((إن هذا المكتب الذي له صلة قريبة بمنظمة التحرير الفلسطينية أصبح أهم معين تستمد منه الصحافة العالمية الأخبار والمعلومات الدقيقة حول الانتفاضة، وتعريف الرأي العام العالمي بمشكلة الشعب الفلسطيني. (فلسطين الثورة، 4 أحداث، ص469).

كان جنود الاحتلال قد أطلقوا قنابل الغاز على المصلين في المسجد الأقصى بتاريخ 15/1/1988م فقام مفتي القدس الشيخ سعد الدين العلمي بإرسال نماذج من هذه القنابل إلى القنصل الأمريكي في القدس بتاريخ 16/1/1988. (جبارة، 1985، ص58). وبالرغم من أن الموقف الأمريكي استنكر الممارسات الإسرائيلية ضد أطفال الحجارة إلا أن الحكومة الأمريكية لم تقف موقفاً حازماً لمنع إسرائيل من وقف هذه الممارسات التعسفية. وقد اعتصم العشرات من الرعايا الأمريكيين في الضفة الغربية في 14/1/1988م أمام مقر القنصلية الأمريكية في القدس، ورفعوا عليها لافتات تستنكر الممارسات الإسرائيلية في المناطق المحتلة. (جبارة، 1989، ص 205).

حاول الجيش الإسرائيلي القضاء على الانتفاضة عسكرياً ففشل، لذلك اتبعوا طريقة تزوير بعض نداءات الانتفاضة وإلصاقها بالقيادة الوطنية الموحدة، أو باسم حماس، أو الحزب الشيوعي، أو بالأحزاب السياسية الأخرى. والقصد من ذلك ضرب أحزاب وفئات الشعب الفلسطيني بعضها ببعض. (جبارة، 1985، ص63).

أصدرت الأمم المتحدة عدة قرارات في أثناء سنوات الانتفاضة أدانت فيها إسرائيل. كان أول قرار في 22/12/1987م، أدان إسرائيل بسبب أسلوبها في إخماد المظاهرات، وطالبها الالتزام بمعاهدة جنيف الموقعة عام 1949م.

تدريب (3)

ما سبب تعرض الصحفيين الأجانب للضرب من قبل الإسرائيليين في أثناء الانتفاضة؟ ماذا عمل الصحافيون؟

3.5 اتفاقيات السلام الفلسطينية الإسرائيلية

عقد مؤتمر مدريد للسلام في 30 تشرين الأول عام 1991م بين أطراف النزاع في الشرق الأوسط: سوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين، والجانب الإسرائيلي، وكان الوفد الفلسطيني ممثلاً ضمن الوفد الأردني.

وكانت المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية تحرص على مرحلتين: الأولى تحرص في المفاوضات على التوصل لعقد اتفاق حول الترتيبات المؤقتة لقيام حكم ذاتي لمدة أقصاها خمس سنوات.

وكانت المفاوضات في المرحلة الثانية قد تناولت المسائل الخاصة بالتوصل إلى حل شامل ودائم.

في 19/1/1993م سمح البرلمان الاسرائيلي (الكنيست) للإسرائيليين بالاتصالات بين أعضاء من إسرائيل مع أعضاء من منظمة التحرير الفلسطينية، وهذا القرار سهل التفاوض العلني بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وأدى هذا التفاوض إلى اعتراف بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، وكانت قد جرت مفاوضات سرية بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية استمرت سنة ونصف، وذلك على أساس قيام حكومة انتقالية فلسطينية لمدة لا تتجاوز خمس سنوات تؤدي إلى تسوية دائمة، وذلك تطبيقاً لقراري مجلس الأمن الدولي رقم 242 ورقم 338. وقد صدرت وثيقة إعلان المبادئ (اتفاقية أوسلو Oslow agreement). وتم التوقيع على هذه الاتفاقية في العاصمة الأمريكية واشنطن بتاريخ 13/9/1993م، وقعها عن الجانبين كل من ياسر عرفات، وإسحق رابين.

انسحب الجيش الإسرائيلي بسبب هذه الاتفاقية في أيار عام 1994م من غزة وأريحا، وحلت محله قوات شرطة فلسطينية، وحضر أعضاء من المنظمة من تونس إلى أريحا، وكذلك انتقل ياسر عرفات من تونس إلى غزة في 5/7/1994م، وتم نقل قسم من السلطات المدنية إلى السلطة الفلسطينية في ميادين التربية والتعليم، والصحة، والشؤون الاجتماعية، والمالية، والسياحة.

لم يدرج موضوع القدس في المفاوضات بسبب تأجيله إلى الوضع النهائي للحل

الدائم. وهناك اتفاقيات اخرى وقعها الجانب الفلسطيني مع الجانب الإسرائيلي مثل: اتفاقات الخليل. وواي ريفر (Wye River). وشرم الشيخ. وقد سعى رئيس الوزراء الإسرائيلي باراك إلى إلغاء أو تأجيل إعادة الانتشار الثالث مفضلاً تنفيذه بعد التوقيع على الاتفاق النهائي. ولتحقيق ذلك أجرى باراك اتصالات مع الأطراف العربية والدولية. ومارس ضغوطا على الجانب الفلسطيني الذي وافق في نهاية الأمر على تعديل اتفاقية واي ريفر بالتوقيع على اتفاقية شرم الشيخ التي تدعو إلى تحديد تواريخ جديده لإعادة الانتشار الثاني. ووضع تاريخ محدد لإعادة الانتشار الثالث والدخول في مفاوضات حول الحل النهائي. وفي أثناء المفاوضات أصرت إسرائيل على فصل حدود القدس عن مناطق الضفة الغربية والمناطق الفاصلة – المنطقة الحرام – على طول الخط الأخضر.

6. انتفاضة الأقصى عام 2000م

1.6 دخول شارون باحة المسجد الأقصى

عزيزي الدارس. أوضح المستشار الاستراتيجي لشارون (دينيد سيكتور) أن التوجه للأقصى تم التخطيط له بعناية من قبل مستشاري شارون الذين اعتقدوا أن فكرة التوجه للأقصى ستعيد تأييد معسكر اليمين له. وكذلك بهدف إحداث ضجة سياسية عنيفة تمكنه من التنافس على رئاسة الحزب وقيادة إسرائيل فيما بعد. كما أن استطلاعات الرأي توقعت هزيمة شارون في الانتخابات الداخلية لحزبه لصالح بنيامين نتنياهو لذلك نصحه المستشارون بزيارة الأقصى. (الدار وزرطال. 2006. ص488).

حذر عدد من الإسرائيليين شارون من القيام بهذه الزيارة. لكنه لم يسمع لنصيحتهم. وحذر قائد وحدة الشرطة المسؤولة عن الأماكن المقدسة في القدس العميد نيسوشحام من هذه الزيارة. وطلب مقابلة شارون في مزرعته لإقناعه بعدم الزيارة أو تأجيلها لكن بلا جدوى. سمح باراك. بصفته وزير الأمن الداخلي. لشارون بدخول المسجد الأقصى بتاريخ 28/9/2000م برفقة مئات من الشرطة (300 شرطي) والحراس الشخصيين. إن هذا التصريح الأخضر من باراك لشارون لدخول الأقصى قبل يوم واحد من صلاة الجمعة التي يحتشد فيها المصلون المسلمون في المسجد الأقصى بمئات الآلاف كان ينم عن رغبه مبيتة في تفجير الأوضاع واستفزاز المسلمين.

ويقول الكاتب اليهودي عكيفا الدار عن دخول شارون والحراس للأقصى «ودخلوا إلى الموقع بمشهد وحشي لم يراع أية قدسية أو هيبة مطلوبة تجاه مكان مقدس وغال على مئات ملايين البشر. وفي المكان واجههم أعضاء كنيست من الكتل العربية. وعشرات الشبان الفلسطينيين الذين صدرت عنهم شعارات احتجاج على الزيارة التي تمت بسرعة كبيرة وحاول بعضهم اختراق الشرطة بالقوة». (المصدر نفسه. ص492).

وبعد أن غادر شارون ومرافقوه الأقصى. هاجم المتظاهرون الفلسطينيون أفراد الشرطة

بالحجارة. وأطلقت الشرطة عيارات مطاطية. ما أدى إلى إصابات كثيرة. وفي اليوم التالي. وهو يوم الجمعة 29/9/2000م. اندلعت مظاهرة عنيفة فقامت الشرطة بإطلاق الرصاص على المتظاهرين فاستشهد سبعة وجرح المئات. ونتيجة للتقارير الواردة عن العدد الكبير من الشهداء اندلعت المظاهرات في المدن الفلسطينية. وجرى تبادل إطلاق النار بين قوات الجيش الإسرائيلي والشرطة الفلسطينية. وفي يوم الأحد قتلت الشرطة الإسرائيلية 13 عربياً من فلسطينيي الوطن المحتل عام 1948م بعد اندلاع مظاهرات لم يسبق لها مثيل في مناطق الجليل والمثلث. وكان الشيخ رائد صلاح. زعيم الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر. قد دعا الجماهير للدفاع عن المسجد الأقصى. وقد تعرض لمحاولة اغتيال إسرائيلية في أثناء الانتفاضة. وحاول باراك وقف المظاهرات من خلال عشرات المكالمات مع قيادات عربية من إسرائيل. وناشدوا مذهولين مكتب عرفات للتدخل لوقف التصعيد لكن بلا فائدة. وانتشرت الانتفاضة في أوساط الشعب الفلسطيني كانتشار النار في الهشيم.

؟

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1. هل هناك معارضة من السياسيين في إسرائيل لزيارة شارون للأقصى؟ علل.
2. هل استعملت إسرائيل أسلحة حديثة ضد الانتفاضة؟ أعط أمثلة.

2.6 اشتعال لهيب الانتفاضة من المساجد والكنائس

ازداد لهيب الانتفاضة للدفاع عن المسجد الأقصى. وقد اشترك في المظاهرات المسلمون والمسيحيون في الضفة والقطاع والوطن المحتل عام 1948م. وكانت المظاهرات تنطلق من المسجد الأقصى كل يوم جمعة. ومن كنيسة القيامة في القدس. كما قامت المظاهرات تأييداً للأقصى في عدد من العواصم العربية. وازداد لهيب الانتفاضة لما قدمته محطات التلفاز من صور الانتفاضة مثل قتل الطفل محمد الدرة بين يدي أبيه في 30/9/2000م. والطفلة إيمان حجو. وغيرهما.

عدّت إسرائيل استمرار الانتفاضة عناداً فلسطينياً لابد من القضاء عليه. فلجأت إلى استخدام آلات الحرب مثل: طائرات F16. والطائرة العمودية أباتشي. والمدافع الثقيلة. والدبابات. كل هذه الآلات ضد أحجار الأطفال الفلسطينيين لإسكاتهم. ولم تكتف إسرائيل بذلك بل لجأت إلى هدم البيوت. وجرف الأراضي الزراعية. وإغلاق المعابر. وإقامة الحواجز العسكرية بين المدن والقرى. ومنع أكثر من 120 ألف عامل فلسطيني يعملون داخل الخط الأخضر (الوطن

المحتل) من الوصول إلى اماكن عملهم. شاهد المراقبون في أثناء اسبوعين من اندلاع الانتفاضة شيئاً لم يألفوه أبداً في شارع عربي. لقد كان المتظاهرون يرددون في هتاف واحد: بالروح بالدم نفديك يا أقصى. بالروح بالدم نفديك يا فلسطين. وتختفي كل الحساسيات. ويصبح الشهيد الفلسطيني عنوان المرحلة. (ابودياك. انتفاضة رجب تخرق جثة التسوية. Islamonline.net).

وعقد مؤتمر «القمة العربية الطارئة في القاهرة» بعد شهر من انتفاضة الاقصى. وأصدر المؤتمر بياناً أعطى الصبغة الشرعية للانتفاضة. وعقد مؤتمر الدوحة الإسلامي في تشرين ثاني من العام نفسه. وسمي هذا المؤتمر بقمة الأقصى. وخرج بيان القمة ناقماً على إسرائيل. وناقداً للمرة الأولى الموقف الأمريكي المتسامح مع القمع الإسرائيلي. كما عقد مؤتمر بيروت. وكان البيان الختامي فيه ينص على تفعيل المقاطعة العربية لإسرائيل وعدم إقامة علاقات معها. وامتلأت الفضائيات العربية بمواد غزيرة عن انتفاضة الأقصى.

لقد تعمد جيش الاحتلال. وللمرة الأولى. ضرب بعض المباني التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية بصواريخ أطلقت من طائرات هجومية متطورة من نوع أباتشي. محذرين رموز السلطة الفلسطينية من أنهم لن يكونوا بمنأى عن الإجراءات العقابية. مما دفع السلطة إلى تصعيد الخطاب الإعلامي ضد العدو الإسرائيلي. والالتحام مع الفعاليات الوطنية والشعبية للاحتلال. والتلويح باستخدام كل الخيارات المتاحة لوقف العدوان الإسرائيلي بما في ذلك التحالف مع حماس. وفتح المجال أمامها لتنفيذ عمليات استشهادية رداً على المجازر الإسرائيلية.

وأطلقت السلطة الفلسطينية ما يزيد على عشرين معتقلاً من نشطاء حماس السياسيين والعسكريين المعتقلين في سجون السلطة. لإعطاء إشارة جديدة لحكومة باراك. أن خيارات السلطة الفلسطينية ستكون موجعة ومؤلمة للاحتلال إن استمر في التنكر لها وللاتفاقات معها. (أبو دياك. انتفاضة رجب. Islamonlinc.net).

فرض شارون (أصبح رئيس الوزراء في 6/2/2001م) حصاراً شديداً على الرئيس ياسر عرفات في رام الله. وطلب مقابل فك الحصار اعتقال قتلة وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي. واعتقال المسؤولين عن شحنة الأسلحة التي ضبطت على متن السفينة (كارين ايه). وكان زئيفي قد تم اغتياله عام 2001م. وأعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن العملية. وذلك رداً على اغتيال أمينها العام الشهيد (أبو علي مصطفى). (Islamonline.net).

كانت سنة 2002م عنيفة كثيراً من حيث المواجهات العسكرية: فالعملية النوعية للمقاومة ألحقت خسائر بجنود الجيش الإسرائيلي مثل: عملية عين عريك. وعملية عيون الحرامية. وعملية الخليل وعمليات تفجير دبابات الميركافا. وغيرها. (النقيب. 2003. ص50).

كان تأثير انتفاضة الأقصى في الاقتصاد الإسرائيلي كبيراً. حيث أخذ الفرد الإسرائيلي يخسر من دخله. ومن المستوى الذي حصل عليه طوال مدة الازدهار الماضية. وفي تقرير مكتب الإحصاء المركزي الإسرائيلي قدرت خسارة الفرد الإسرائيلي بنحو 2.9% من دخله لسنة 2001م قياساً

بسنة 2000م، و3% لسنة 2002 قياسا بسنة 2001م. كما أخذ معدل البطالة يزداد حتى وصل إلى 10.4% سنة 2002م. وقدر البنك الإسرائيلي خسارة إسرائيل من جراء الانتفاضة في حدود ملياري دولار. كما تسببت الانتفاضة بتقليص حجم الاستيراد الفلسطيني من إسرائيل. وهناك تقدير بأن حجم هذا الاستيراد انخفض 50% في سنتي 2001 و 2002م. كما أن ما يقدمه قطاع السياحة من دخل في ميزان المدفوعات التجاري قد انخفض. فبعد أن كان يقدم نحو مليار دولار كل ثلاثة أشهر انخفض ذلك الدخل إلى أقل من النصف.

إن أهم ما يتسبب بالخسائر الاقتصادية من جراء الانتفاضة هو ما تشيعه من أجواء عدم الاستقرار التي لا تشجع على الاستثمار سواء المحلي أو الأجنبي. فقد تراجع الاستثمار المحلي الإسرائيلي في سنة 2001م بمقدار 2.6%، وفي سنة 2002م تراجع بمقدار 8% (النقيب، 2003، ص50) وقد خسر الشيكل من قيمته المالية. فعند بدء الانتفاضة كان الشيكل يساوي نحو 25 سنتا أميركياً، واستمر في التراجع حتى وصل نهاية سنة 2002 م إلى 20 سنتا فقط.

7. المستوطنات الإسرائيلية في القدس ومحيطها

1.7 الاستيطان بعد عام 1967

اتبعت الحكومة الإسرائيلية بعد احتلالها للقدس الشرقية عام 1967م ثلاث سياسات تهدف إلى زيادة عدد اليهود الإسرائيليين في القدس، بينما يتم تخفيض عدد المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين، وهذه السياسات هي:

1- إقامة المستعمرات الإسرائيلية في القدس الشرقية.

2- ممارسات عنصرية ضد العرب المقيمين في القدس الشرقية.

3- إغلاق القدس أمام السكان العرب من الضفة والقطاع.

بدأت إسرائيل عام 1967 ببناء المستوطنات في القدس الشرقية المحتلة دون الاكتراث بمعاهدة جنيف الرابعة، وشجعت إسرائيل الاستيطان في القدس بتقديم الإعانات المادية للمستوطنين. وبلغت حصة المستوطنين في القدس الشرقية 80% من الإعانات. وصادرت إسرائيل 34% تقريباً من أراضي القدس الشرقية للاستخدام العام، وتم تخصيص نسبة 53% أخرى من الأراضي للمستوطنات. (السلطة الوطنية الفلسطينية - وزارة الشؤون الخارجية 2008 www.mofa.gov.ps/arabic/main-issue/jerusalem/index.php/).

سعت إسرائيل للسيطرة الكاملة على القدس، وعملت على تحقيق ذلك بتوسيع ما يسمى حدود القدس شرقاً وشمالاً، وذلك بضم مستوطنة معالي أدوميم التي يقطنها نحو 20 ألف نسمة كمستوطنة رئيسة من الشرق، إضافة إلى المستوطنات العسكرية الصغيرة مثل: عنتوت، وميشور، وأدوميم، وكدار، وكفعات، وبنيامين، من الجهة الشرقية، وكخاف يعقوب،

وجفات زئيف، وكفعات حدشا.، وكفعات هاردار، من الشمال. وقد اصبح عدد المستوطنين في القدس الشرقية يساوي عدد المستوطنين في الضفة والقطاع (180 ألف مستوطن). ومن الجدير ذكره أن عدد المستوطنات في القدس حسب إحصائيات مركز أبحاث الأراضي ويساوي 29 مستوطنة، 14 منها في الجزء المضموم من القدس، أي ما يسمى حدود القدس الشرقية. وتنتشر هذه المستوطنات في لواء القدس على شكل تجمعات استيطانية مكثفة، تتخذ الشكل الدائري حول المدينة وضواحيها، ممثلة بمراكز استيطانية كبيرة المساحة.

خطط الاحتلال، وقام بسلسلة من الخطوات من أجل السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من أراضي القدس: ففي عام 1993م تم رسم حدود جديدة لمدينة القدس الكبرى، وتشمل أراضي تبلغ مساحتها 600 كم مربع، أو ما يعادل 10% من مساحة الضفة الغربية، هدفها التواصل الإقليمي والجغرافي بين المستوطنات، لإحكام السيطرة الكاملة على القدس. (مركز المعلومات الوطني الفلسطيني ،، www.pnicgov ps).

اتبعت إسرائيل أربع مراحل لإقامة مستوطنات على الأراضي العربية المصادرة:

المرحلة الأولى: في عام 1968م صادرت إسرائيل (3830) دونما من أراضي القدس الشرقية، منها 3345 دونماً من أراضي قرى شعفاط، والعيسوية، وجبل المشارف، ولفتا، و485 دونماً من أراضي البلدة القديمة (خلة نوح)، وباشرت بإنشاء أولى المستوطنات الإسرائيلية عليها، وهي: مستوطنة راموت أشكول، ومستوطنة جفعات شابير (التلة الفرنسية)، ومستوطنة معلوت دفنا، وهناك مستوطنات أخرى كان الهدف منها إيجاد طوق من المستوطنات تفصل القدس العربية جغرافياً وبشرياً عن بقية الأراضي العربية المحتلة عام 1967م.

المرحلة الثانية: عام 1970م صادرت إسرائيل 12.280 دونماً من أراضي حزما، وبيت حنينا، ولفتا، وبيت إكسا، وصورباهر، وشرفات، والمالحة، وبيت جالا، وفلنديا، وبهذه المصادرة تكون السلطات الإسرائيلية قد نزعت ملكية نحو 30% من مساحة القدس الشرقية حتى نهاية عام 1970.

المرحلة الثالثة: عام 1978م قامت القوات الإسرائيلية بوضع سياج حول ما مساحته 4500 دونم من أراضي قرية عناتا، وجعلتها جزءاً من مستوطنة معاليه ادوميم، وصادرت 15.000 دونم من أراضي أبو ديس، و4400 دونم من أراضي بيت حنينا وحزما، وأقامت عليها مستوطنة تدعى بسغات زئيف.

المرحلة الرابعة: وصل من الاتحاد السوفيتي عام 1993-1990م نصف مليون يهودي، توجه منهم للاستيطان في القدس 37.697 مستوطناً، وأصدر وزير المالية الإسرائيلي إسحق موداعي أمراً بمصادرة (1850) دونماً عام 1991م من أراضي بيت ساحور، وقرية أم طوبا، وذلك لإقامة مستوطنة على جبل أبو غنيم أطلق عليها اسم (هارحوماه). (عناب، 2001، ص93).

2.7 الآثار المترتبة على الاستيطان ديموغرافيا واجتماعيا واقتصاديا

خططت وزارة الداخلية الإسرائيلية لتحقيق أغلبية لصالح اليهود في القدس، وكما يتضح من إحصائيات عدد السكان في القدس الشرقية فإن السكان اليهود زادوا من صفر عام 1967م إلى 160.000 عام 1997. وبهذا وصل عددهم إلى عدد الفلسطينيين في القدس الشرقية. (البيادر السياسي، العددان 3 و4، عام 1997م).

وسجل كتاب الإحصاء السنوي الإسرائيلي للقدس عام 2005م أن عدد السكان العرب في القدس 208.700 نسمة، والذي يشكل ما نسبته 31.7% من المجموع الكلي لسكان المدينة. بينما يذكر مركز الإحصاء الفلسطيني عام 2001 أن نحو (238.561) فلسطينياً يعيشون في القدس التي ضمت إلى إسرائيل، وأن (373.713) فلسطينياً يعيشون في محافظة القدس في إطار السلطة الوطنية الفلسطينية. (احمد يوسف الفرعي، صحيفة الأهرام 21/12/2007م).

هدفت إسرائيل إلى تعزيز السيطرة على مدينة القدس كلها، وذلك لإيجاد واقع ديموغرافي وجغرافي من شأنه أن يحبط أي محاولة مستقبلية للطعن في السيادة الإسرائيلية على القدس الشرقية عبر عنها الساسة الإسرائيليون أكثر من مرة. وتقضي بتحقيق نسبة تفوق سكاني لصالح اليهود لا تقل عن (1:3). وكانت أولى هذه الخطوات الهادفة لتعزيز السيطرة الديموغرافية الإسرائيلية ماقامت به القوات الإسرائيلية عشية الحرب عام 1967م من عملية طرد منظمة للسكان العرب من القدس حيث بلغ عدد من قامت بطردهم 60.000 عربي. (عناب، 2001، ص130).

وحين لم تفلح إسرائيل بطرد كل سكان القدس قامت بمصادرة أراضي السكان العرب، وإقامة المستوطنات عليها تنفيذاً لدعوة «بن غوريون» لجلب آلاف اليهود إلى القدس الشرقية وتوطينهم فيها. وقد بلغت مساحة الأراضي المصادرة منذ عام 1967-1993م حسب ما أعلنت عنه السلطات الإسرائيلية (28.095 دونماً تقريباً). كما فرضت إسرائيل قوانين مشددة على البناء العربي في القدس بهدف المحافظة على النسبة المئوية للسكان الفلسطينين بمعدل 26% فقط.

حصل سكان القدس العرب بعد عام 1967م على الهوية الإسرائيلية الزرقاء التي لا تعني امتلاكهم للجنسية الإسرائيلية (المواطنة الكاملة) بأي حال من الأحوال، وإنما تمنحهم حق الإقامة فقط. وشكل ذلك مشكلة اجتماعية كبيرة للمواطنين خصوصاً لما يمتلكه مكتب الداخلية الإسرائيلي من صلاحيات لسحب هذه الهويات لأسباب يرتئيها. (عناب، 2001، ص141).

كما ان سكان القدس ملزمون إذا ارادوا السفر خارج البلاد باستصدار تصاريح للسفر لمدة ثلاث سنوات عبر الجسر الأردني، ولمدة عام عبر المطار، وإذا لم يعد المواطن في أثناء هذه المدة أو لم يجدد تصريحه فإنه معرض لفقدان حقه في الإقامة في القدس. وهناك مشكلة تسجيل الأولاد، فإن كان الأبوان من القدس ولكنهما لا يسكنان في المدينة فلن يتم تسجيل أبنائهما، مما يقود إلى فقدان الأولاد حق الإقامة في القدس. كما أن جمع الشمل من المشكلات الاجتماعية الخطيرة التي يعانيها المواطنون العرب في القدس حيث على المتقدم الحصول على عدة اوراق واثباتات تعجيزية.

أما من الناحية الاقتصادية فقد اتبعت إسرائيل سياسة إفقار المقدسي، وذلك بفرض ثلاثة أنواع من الضرائب تمثلت بضريبة القيمة المضافة وتجبيها ضريبة الجمارك، وضريبة الدخل وتجبيها الدائرة المختصة، وضرائب البلدية وتجبيها البلدية مثل: ضريبة الأرنونا، والمساحة والأملاك، وغيرها من أنواع الضرائب. (عناب، 2001، ص144).

تدريب (4)

ما المعاناة التي يعانيها سكان القدس إذا أراد أحدهم السفر خارج البلاد؟

3.7 الموقف الفلسطيني والدولي والعربي من الاستيطان

استطاعت إسرائيل تأجيل مناقشة وضع القدس للمفاوضات النهائية مع الجانب الفلسطيني، وهذا التأجيل ساعد إسرائيل على زيادة الاستيطان في القدس وما حولها. كما حصلت أزمة سياسية في مفاوضات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل بسبب الرسالة التي وجهها الرئيس الأمريكي جيمي كارتر إلى الرئيس أنور السادات، وذكر فيها أن القدس جزء من الأراضي المحتلة، وقد أغضبت هذه الرسالة بيغن الذي عزم على الانسحاب من المفاوضات.

على صعيد الموقف الإسلامي فقد تقرر إنشاء لجنة لمتابعة الشؤون الخاصة بقضية القدس أطلق عليها لجنة القدس، بناء على توصيات مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي المنعقد في جدة عام 1979م، تحت رئاسة الملك المغربي، وقررت هذه اللجنة إرسال وفود إلى السوق الأوروبية، ودول أمريكا اللاتينية، والفاتيكان، لاطلاعهم على الخطر المحدق بالقدس، ولدعوتهم إلى دعم الحق العربي الفلسطيني في مدينة القدس.

بالنسبة للموقف الأمريكي، الذي هو داعم لإسرائيل دائماً ويمنع صدور قرارات عن الأمم المتحدة

تدين موقف إسرائيل، إلا أن ممثلها في الأمم المتحدة عام 1967م صرح قائلا عن التغييرات التي أجرتها إسرائيل: «أود أن أوضح أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تقبل ولا تعترف بهذه الأساليب في تغيير وضع القدس... نحن نأسف لاتخاذ إسرائيل مثل هذه الإجراءات...». (عناب، 2001، ص173).

أما الاتحاد الأوروبي فلم يوافق على ضم إسرائيل للقدس أو تغيير الوضع القائم فيها. وأصدر المجلس الوزاري للبرلمان الأوروبي المنعقد في دبلن بتاريخ 20/2/1990م بياناً جاء فيه «تؤكد الدول الاثنتا عشرة مرة أخرى موقفها من أن المستوطنات اليهودية في المناطق المحتلة، بما فيها القدس الشرقية، هي مستوطنات غير شرعية بمقتضى القانون الدولي». (عناب، المصدر نفسه، ص184).

8. أنفاق القدس والحفريات الصهيونية تحت المسجد الأقصى

1.8 الأنفاق والحفريات تحت الأقصى

عزيزي الدارس، زار وفد من الهيئة الإسلامية مكان الحفر الذي يقوم به الصهاينة تحت المسجد الأقصى المبارك، ويشرف على الحفر البروفيسور بنيامين مازار (Benjamin Mazar)، وقدم وفد الهيئة الإسلامية رسالة إلى الحاكم العسكري العام الإسرائيلي محتجاً على هذا الحفر والتنقيب؛ لأن هذا العمل ضد إرادة المسلمين، وخطر على المسجد الأقصى، وضد قرار مجلس الأمن رقم 254 الصادر في 21/5/1968م والذي ينص على عدم شرعية ضم القدس، وعدم شرعية أي تدبير من شأنه تغيير الوضع في منطقة القدس. (العلمي، 1984، ص42).

كما أجرت السلطات الإسرائيلية حفريات تحت المدرسة التنكزية وفي منطقتها عام 1970م، وقامت الهيئة الإسلامية بزيارة المكان، وكتبت تقريراً قالت فيه «لاحظت اللجنة أن المنطقة الواقعة تحت المدرسة التنكزية، والعمارات الواقعة إلى الشمال والغرب منها، قد استعملت كنيساً». (المصدر السابق نفسه، ص103).

وهناك حفريات أخرى محيطة بالحرم الشريف من الغرب والجنوب قام بها الصهاينة، ولاحظ الوفد الإسلامي هذه الحفريات، وكان يرافق الوفد الإسلامي حاخام من وزارة الأديان، وممثل عن الحكم العسكري، وممثل عن وزير الشرطة الإسرائيلي، ولاحظ الجميع أن الحفر يجري في منطقة تشكل خطراً على المباني الإسلامية التي تعلوها وتبعد مترين عن سور المسجد الأقصى.

وأرسل الشيخ حلمي المحتسب رئيس الهيئة الإسلامية رسالة بتاريخ 18/7/1971م إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي، ورسالة أخرى الى وزير الحرب، وثالثة إلى مدير دائرة الآثار قال فيها إنه يخشى على متانة هذه الأبنية الإسلامية، والمدارس الإسلامية، وتعريضها لخطر الانهيار وطلب التوقف عن الحفريات (المصدر السابق نفسه، ص124). وذكرت جريدة القدس في عددها الصادر

في 28/2/1972م أن هذه الحفريات التي تقوم بها وزارة الأديان الإسرائيلية تعرض منازل السكان للخطر، وهذا بالتالي وسيلة من وسائل الضغط على هؤلاء السكان للرحيل عن بلدهم ومنازلهم. ومن هذه العائلات التي سكنت القدس منذ أقدم العصور آل ابو السعود وآل الخالدي، وآل الشهابي، وآل البديري، وآل العفيفي، وآل هداية، وآل العنتباني، وآل القطب وغيرهم. ووصلت الحفريات إلى تحت المسجد الأقصى المبارك، والقصد من ذلك الحفر تحته كي تتصدع جدران مبانيه المختلفة، وقد وصلوا بالحفر إلى تحت مبنى مسجد قبة الصخرة المشرفة. وقد ازداد الحفر تحت أرضية المسجد الأقصى وحوله، وتركزت الحفريات على الطبقات التحتية لتفريغها من التربة بقصد اكتشاف الهيكل المزعوم، وأما حقيقة الأمر فإنهم يعرضون بعملهم هذا المسجد الأقصى للانهيار والدمار، ولم يعثروا على أي دليل عن الهيكل.

2.8 جدار الفصل العنصري

إن مشروع جدار الفصل العنصري الذي بدأ به الصهاينة عام 2003م برسم حدود مدينة القدس في إطار مايسمى حدود القدس الكبرى، وتشمل أراضي تبلغ مساحتها 840 كم مربع، أو ما يعادل 15% من مساحة الضفة الغربية. وهدفها النهائي فصل شمال الضفة الغربية عن جنوبها، وقطع تواصلها مع القدس، مقابل تثبيت التواصل الإقليمي والجغرافي بين المستوطنات الواقعة في الضفة الغربية وخارج الحدود الإدارية لبلدية القدس، بالإضافة إلى إقامة شبكة من الطرق تصل بين هذه المستوطنات بحيث لا يضطر المستوطنون إلى دخول أحياء فلسطينية.

زادت إسرائيل في شهر آب عام 2003 من مصادرة أراض فلسطينية في ضواحي القدس الشرقية لبناء الجدار حول المدينة. وطرحت إسرائيل مشروع إنشاء مقطع لجدار الفصل العنصري خاص بمدينة القدس والمناطق المحيطة بها يعرف باسم "غلاف حاضن القدس"، ويتضمن إقامة مجموعة من الأحزمة الأمنية والسكانية لفصل شرقي القدس بشكل تام عن الضفة الغربية. وصادقت حكومة الاحتلال الإسرائيلية على المخطط حول القدس الذي يبلغ طول أسواره نحو 50 كم. حيث يمتد هذا الجدار كعائق متواصل في منطقة القدس في الطرفين الشمالي والجنوبي للمدينة. ويرمي إلى ربط المستوطنات خارج حدود ما يسمى "بلدية القدس" بالأحياء الاستيطانية داخل حدود المدينة، وربط هذا الحزام الاستيطاني بالعمق اليهودي في القدس الغربية.

عند إنجاز بنائه سيتم ضم نحو 176 ألف مستوطن، تعادل نسبتهم نحو 44% من مجموعة المستوطنين، إلى جانب 27 مستوطنة أخرى في محيط القدس، وابتلاع الجدار أكثر من 90% من مساحة القدس الشرقية الموسعة بعد سنة 1967م (70كم مربع)، لتدمج في إسرائيل

لاحقا. (شبكة فلسطين للإعلام والدراسات /2008

(www.mediapal.org/readarticle.php?art_id=115+lang=artcet_id).

سيعمد جدار الفصل العنصري في القدس إلى سلخ أحياء عربية بكاملها عن القدس وأراضي الضفة الغربية، وتقطيع أوصالها. وسيعزل نحو 225 ألف فلسطيني من سكان القدس الشرقية عن الضفة الغربية. وسيتضرر عشرات الآلاف من الفلسطينيين الذين يعيشون في البلدات والقرى الواقعة في محيط المدينة حيث يصل عدد القرى الفلسطينية المتضررة من جراء إقامة الجدار في شرقي القدس الى 23 قرية وبلدية. (شبكة فلسطين للإعلام والدراسات 2008 (www.mediapal.org/reader+icle:php?art_idz115).

كما سيجد نحو 55 ألف فلسطيني أنفسهم داخل الجانب الإسرائيلي من الجدار ومقطوعين عن الضفة الغربية بالكامل، ليتم إضافتهم إلى فلسطينيي القدس الشرقية. ومن هذه القرى: بيرنبالا، وبيت حنينا، والجيب، وقلنديا، والرام، وحزما، وعنانا، وجديرة، ومخيم شعفاط.

وقد أصدرت محكمة العدل الدولية في لاهاي بتاريخ 9/7/2004م قراراً يقول أن الجدار غير قانوني، ويجب هدمه فوراً، وتعويض الفلسطينيين عن الأضرار الناجمة.

أسئلة التقويم الذاتي (5)

1. لماذا تشق إسرائيل الأنفاق وتحفر تحت الأقصى؟
2. ما المقصود بغلاف حاضن القدس؟

9. الخلاصة

عالجت هذه الوحدة (القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي 1967-2007م) مواضيع مهمة. حيث اتبعت إسرائيل عدة طرق لتهويد القدس وفصلها عن الضفة الغربية، كما عاملت سكان القدس معاملة تعسفية قاسية: ففرضت عليهم ضرائب باهظة، ومنعتهم من التوسع، وأصبح من الصعب الحصول على رخصة بناء.

كما طوقت القدس بالمستوطنات. وجرى تغيير كلي على المدينة جغرافيا بحيث لا يستطيع المقدسي أن يعرف مدينته إذا غاب عنها بضع سنوات. كما تم فصل القدس عن الضفة الغربية. ومن الصعوبة أن يصل الفلسطيني القادم من الضفة للقدس بسبب الحواجز العسكرية، ومنع الشباب من الدخول للقدس، كما عانى المقدسيون الحصول على لم شمل العائلات بسبب كثرة الأوراق المطلوبة.

خطط الصهاينة لبناء جدار الفصل العنصري الذي بني على أراض فلسطينية، وضمت إسرائيل كل ما هو داخل السور للقدس الكبرى. وقامت إسرائيل بالتعاون مع رجال الدين اليهود بحفر أنفاق تحت المسجد الأقصى. والهدف من ذلك زعزعة أركان المسجد ليتم هدمه، ويخطط الصهاينة لهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل مكانه. وقاموا بحرق المسجد عام 1969م على يد صهيوني قالت إسرائيل عنه أنه مختل عقلياً ولم تحاسبه على فعلته هذه. وبالرغم من ذلك كله تشبث الفلسطيني بأرضه ومدينته، ودافع عنها بالحجر والكلمة الصادقة.

10. إجابات التدريبات

تدريب (1)

تمتد حدود مشروع القدس الكبرى إلى مدينتي رام الله والبيرة حتى تصل إلى حدود قرية سنجل العربية شمالاً، وتمتد جنوباً لتضم مدن بيت لحم، وبيت ساحور، وبيت جالا، لتصل إلى قرى بيت فجار، ومجدل عين، أما شرقاً فتمتد هذه الحدود لتصل إلى عرب السواحرة والعبيدية.

تدريب (2)

استنجد المفتي ببلديتي رام الله والخليل، وطلب منهما إرسال سيارات الإطفائية، التي حضرت على الفور، وبدأ عمال الإطفائية الذين حضروا بإطفاء الحريق إلى أن أخمدوا النيران.

تدريب (3)

تعرض الصحفيون الأجانب للضرب من قبل الجنود الإسرائيليين في القدس بسبب نقلهم أخباراً وصوراً عن الانتفاضة. وعقد الصحفيون مؤتمراً في القدس تحت رعاية جمعية الصحافة الأجنبية في إسرائيل، وأصدرت بياناً في نهاية المؤتمر احتجت فيه على 150 حالة تعرض فيها الصحفيون لمعاملة قاسية من الشرطة والجيش الإسرائيلي في الأشهر الستة الأولى للانتفاضة.

تدريب (4)

سكان القدس ملزمون إذا أرادوا السفر خارج البلاد باستصدار تصاريح للسفر لمدة ثلاث سنوات عبر الجسر الأردني، ولمدة عام عبر المطار. وإذا لم يعد المواطن في أثناء هذه المدة أو لم يجدد تصريحه فإنه معرض لفقدان حقه في الإقامة في القدس.

11. مسرد المصطلحات

- **حارس أملاك الغائبين:** هو الشخص اليهودي المسؤول عن أراضي العرب الذين غادروا القدس إلى الدول المجاورة، وحسب القانون الإسرائيلي يحق لهذا الحارس إدارة هذه الأملاك أو تأجيرها أو بيعها.
- **الأرنونا:** هي ضريبة إسرائيلية، وتعرف بالمسقفات، وتفرض على المساكن، يدفعها سكان القدس.
- **ثغرة الدفرسوار:** هي منفذ على قناة السويس دخل منها شارون في أثناء حرب عام 1973م بقصد تطويق الجيش المصري شرقي القناة.
- **إنتفاضة الحجارة:** هي الانتفاضة الفلسطينية التي جرت عام 1987م، والتي استعمل فيها الفلسطينيون الحجارة ضد السيارات العسكرية الإسرائيلية.
- **وثيقة الاستقلال:** هي وثيقة تم اكتشافها لدى فيصل الحسيني في مكتب جمعية الدراسات العربية، وتتحدث عن إنشاء دولتين في فلسطين: الأولى عربية، والثانية يهودية حسب قرار الأمم المتحدة رقم 181 الصادر عام 1947م.

12. المصادر والمراجع

1- النفكجي، خليل، التهويد المبرمج للبلدة القديمة لمدينة القدس، دائرة الخرائط والمساحة، بيت الشرق، القدس، 1999م.

2- حكيم، سامي، القدس والتسوية، دار النضال، بيروت، 1987م.

3- جامعة القدس المفتوحة، المؤتمر العلمي الأول، الصراع الديموغرافي العربي الصهيوني خلال القرن العشرين، منطقة خان يونس التعليمية، غزة، 2003م.

4- جابر، فايز، القدس ماضيها، حاضرها، مستقبلها، دار الجليل للنشر، عمان، 1985م.

5- جبارة، تيسير، الانتفاضة الشعبية الفلسطينية من النواحي السياسية والإعلامية، جامعة النجاح، نابلس، 1989م.

6- جبارة، تيسير، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، دار الفرقان، عمان، 1985م.

7- جريس، سمير، القدس في المخططات الصهيونية – الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981م.

8- الدويك، موسى القدسي، المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة وقواعد القانون الدولي العام المعاصر، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2004م.

9- عبدالهادي، مها، فلقيلية، مجلة السبيل، العددان الثالث والرابع، كانون الأول، 1997م.

10- أبو عرفة، عبد الرحمن، القدس تشكيل جديد للمدينة، منشورات دار الكرامة، عمان، 1986م.

11- العضايلة، عادل، القدس بوابة الشرق الأوسط للسلام، دار الشروق، عمان، 2007م.

12- عناب، محمد رشيد، الاستيطان الصهيوني في القدس، 1993-1967م، ط1، بيت المقدس للنشر والتوزيع، رام الله، 2001م.

13- القرعي، أحمد يوسف، القدس من بن غوريون إلى نتنياهو، مركز الدراسات العربي والأوروبي، باريس، 1997م.

14- المسيري، عبد الوهاب، الاستيطان الصهيوني في القدس 1993-1967م، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1982م.

15- مصاروة، إيمان، الاستيطان في القدس القديمة، مركز القدس للحقوق الاجتماعية والاقتصادية، القدس، 2000م.

16- منصور، جوني، الاستيطان الإسرائيلي، ط1، مؤسسة الأسوار، عكا، 2005م.

17- نجم، رائف، الحرم الشريف خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي، أبحاث ندوة المدينة العربية،

تحرير اسماعيل سراج وسمير الصادق. الرياض. المعهد العربي لإنماء المدن. 1981م.
18- النقيب. فضل مصطفى. تأثير انتفاضة الأقصى في الاقتصاد الإسرائيلي. مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد 54. ربيع عام 2003.
19- الوزيري. رضا. كشافات القدس. قائمة بيليوغرافية عن كل ما كتب عن مدينة القدس.
20- حكيم. سامي. القدس والتسوية. دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. 1987م.
21- الدار. عكيفا. وزرطال. عديت: أسياد البلاد المستوطنون ودولة إسرائيل 1967 – 2004م. ترجمة عليان الهندي. 2006م. دون دار نشر.
22- أبو حسنة. نافذ. بيت المقدس. رقم 74 ....www.palestine.info

المراجع الالكترونية

1. www.pnic.gov.ps/arabic/alquds/alquds.html
2. www.islamonline.net
3. www.ismailyonline.com
4. www.mofa.gov.ps/arabic/main_issue/jerusalem/index.php
5. www.mediapal.org/readarticle.php?art_id=115+lang=artcet_id

المجلات والجرائد

1. جريدة القدس 16/12/1987م عدد 6575
2. جريدة النهار 25/5/1988م عدد 459
3. شؤون فلسطينية عدد 186 عام 1988م
4. فلسطين الثورة 4 أحداث
5. الأهرام 21/12/2007م
6. الأخبار المصرية 4/10/2007م
7. الموقف العربي عدد 98 عام 1988